أحمد عبده القاضى

كنت فى السعودية

رؤية ذاتية .. بعيون مصرية

مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة
تليفون: ٢٥٩٠٨٩٢٠

أحمد عبده القاضى

كنت في السعودية
"رؤية ذاتية .. بعيونٍ مصرية"

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

٢٠١١م

١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

مقدمة

عدت إلى أحضان الوطن بعد غيبة في المملكة العربية السعودية استغرقت ما يزيد عن عقدين من الزمن منذ عام ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ) حتي عام ٢٠٠٧م (١٤٢٧هـ)، عملت خلالها خبيرا اجتماعيا معارا من وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية، تنقلت خلالها في محطات عمل حكومية، وأخرى دولية..، سبقتها مباشرة غيبة أخرى كنت مبتعثا خلالها في بعض الدول الأوربية، والآسيوية شملت كل من إيطاليا، وفرنسا، وسويسرا، والهند ..

وبمناسبة العودة والاستقرار في أرض الوطن، تقاطر على منزلي في القاهرة الأقارب والأصدقاء لتحيتي وتهنئتي بسلامة العودة بعد طول غياب.

وفي غمرة هذه الحفاوة والترحيب دارت أحاديث.. وحكايات .. وطرائف .. وحوارات .. في موضوعات

شتى وكان محور الاهتمام الذي اشترك فيه الجميع يتعلق بمسيرتي العملية والمجتمعية في المملكة العربية السعودية.. وأهمية التعرف على هذه المسيرة بأبعادها المختلفة .. وانطباعاتي عن الواقع المجتمعي السعودي بأطيافه التي كانت تربطني به علاقات عديدة ، وأيضا رؤيتي عن الدور التنموي المتواصل للمملكة وما تملكه من إيجابيات، وقدرات بشرية، وتنويرية .. كما تساءل الحضور عن العمالة المصرية في السعودية، ودورها، وانطباعات المجتمع السعودي حيال هذا الدور، وصور العلاقات فيما بين هذه العمالة سلبا وإيجابا .. كما تساءل بعض الحضور من المثقفين والاجتماعيين عن الدور العملي والمنهجي الذي قمت به خلال هذه الفترة في محطات عملي بالسعودية ..

كانت هذه التساؤلات وفضول المعرفة، تسيطر دائما على الزائرين الذين وفدوا على مدار أكثر من أسبوعين للترحيب بحضوري .. وحاول البعض منهم بعد سماع تجربتي بحلوها ومرها أن يحرضني على تسجيلها، بل واستعملوا في ذلك العديد من وسائل الاستثارة والإقناع باعتبار أنها تجربة ثرية كما يقولون جديرة بالتسجيل، فيها

الكثيـر مـن الـدروس المستفادة التـي قد تنيـر الطريـق أمـام الكثير من العاملين المصريين وغيرهم، سواء في المملكة أو غيرها .. كما أنها تلقي الضوء بأمانـة وموضـوعية عن إنجـازات المملكـة ومـسيرتها النهـضوية غيـر المـسبوقة تطويرا وتجديدا ومواكبة للمستجدات العالمية .. وأيضا قد تسدّ نهم البعض وممن يهمه الأمر في التعرف على المزيد مـن عبقريـة الزمـان والمكـان لأرض النبـوة والحـرمين الشريفين ..

وبعد انفضاض هذه الزيارات والمجاملات، خلوت لنفـسي بعـض الـشيء، متـأملا شـريط ذكريـاتي فـي السعودية.. ومشواري الطويل هنـاك .. وعلاقـاتي مع هذا المجتمع من قاعـه إلـى قمتـه .. وطـاف بمخيلتـي محـاولات الاسـتثارة والتحـريض التـي حاصـرتني مـن الـبعض، كـي أسـجل هـذه التجربـة الثريـة باعتبـاري صـاحبها، وكـشاهد عصر أيضا على حقبة سعودية غير مسبوقة في إنجازاتهـا وعملقتها..

تـرددت كثيـرا.. فقـد تخـونني الـذاكرة فأتجـاوز فـي حديث قد ينال من البعض، أو يفرط فـي الثنـاء علـى من لا يستحق، أو يضعني فـي منزلـة ليست لـي، أو قـد يشتمّ منـه

رائحة مفرطة في الذاتية أو الشخصنة، فتجربتي العملية كانت من خلال عمل فريقي معظمه من قيادات العمل والكوادر السعودية ذات الكفاءات العالية .. فأنا لم أغرد وحدي داخل هذا السرب، ولولا ذلك ما كانت التجربة ثرية ذات إضاءات..

طافت في مخيلتي كل هذه الأفكار واقتنعت.. خاصة أنّ لديّ مرجعية قد تحميني من الشطط... وهذه المرجعية لا تكذب، ولا تتجمل.. أنها مفكرتي التي لا تفارقني وأدوّن فيها يومياتي .. رصدتُ فيها كل ما تعرضت له من مواقف وما شاركت فيه من دراسات.. بمحاورها.. وخطوطها العريضة.. وما صادفته أو شاهدته من أحداث.. ومواقع .. وما كونته من علاقات وأصدقاء... كما أن معظم منطلقات هذه التجربة مازالت حية، وطازجة في ذاكرتي، فلماذا أتهيب أو أتردد في سرد هذه التجربة ..؟ إلى أن كان لقاء مناسبة في أمسية صيفية جميلة على ضفاف نيل القاهرة الساحر مع نخبة من زملاء الدراسة، والمثقفين.. واستأنف البعض منهم الإلحاح عليّ لكتابة تجربتي في السعودية، ولماذا أتردد؟.. أنها كما يقولون تجربة ثرية تشرّف كل مصري، وتجربة

حياة لمن يرغب في التأسي بمعطياتها وخاصة ممن هم في بداية الطريق، سواء خارج مصر أو داخلها .. أو لبعض أطياف من المجتمع السعودي في كل موقع ..

نصحوني بالبدء في هذا العمل، وألا أفرغ التجربة من المضامين العلمية والمنهجية التي كانت بمثابة البوصلة التي لازمتني فيما قمت به أو شاركت فيه من دراسات وأعمال ...

اختمرت الفكرة في ذهني، واستقر رأيي على تسجيل هذه التجربة .. ومن ثم كانت ولادة هذا الكتاب...، وفيه رصدٌ أمينٌ للوقائع، والأحداث، والتجارب، انقلها في خط مستقيم، وصريح بلا تنميق، أو تجميل، ومحاولا المزج بين الواقع الذي عايشته في السعودية، وبين المنطلقات ذات الدلالة التاريخية، والجغرافية، والاجتماعية، دون إغفالٍ لما يواجه المجتمع السعودي من تحديات، ودون إهمالٍ لمعلومة قد تكون ضرورية، أو تعظيم أخرى قد تكون سلبية أو إيجابية، دون تعصب أو انغلاق ..

حاولت في سردي أن أنقل صورة حية من أرض الواقع لما أتيح لي من مشاهدات في المملكة التي تمثل في جغرافيتها واتساعها قارة كاملة، تحدثت عن القرى والهجر،كيف كانت، وكيف أصبحت، تحدثت عن النهضة العمرانية الشاملة والمتوازنة للريف والحضر، تحدثت عن العمارة في الحرمين الشريفين، وما تقدمه المملكة من خدمات ورعاية للحجاج والمعتمرين، تحدثت عن الكثير من المواقع الأثرية، والترفيهية، تحدثت عن ناطحات السحاب والقصور والفيلات الجميلة ولم أغفل الإشارة إلى ما قمت أو شاركت فيه من دراسات وبحوث في مختلف المواقع، تحدثت عن الضبط الاجتماعي، والانضباط في العمل وفي الشارع، وفي السلوكيات، ولم يَخْلُ حديثي من كرم الضيافة الذي جبل عليه المجتمع السعودي.

لم أغفل أيضا الإشارة إلى بعض الصور والأحداث من داخل المجتمع السعودي، وكذلك عن علاقاتي الممتدة مع بعض المصريين العاملين في السعودية وانطباعاتهم، وحرصت على أن ينتهي الكتاب بدليل إرشادي للعمال الوافدين للعمل في المملكة أو من هم في سبيل العمل بها، لينير الطريق أمام الجميع، ويدرأ

بعض ما قد يحدث من مقاطعات بين أطراف العمل من العمال وأصحاب العمل، فهو يحدد الحقوق والواجبات لكل طرف، والمظلة القانونية لكليهما.

نقلت كذلك بعض انطباعات السعوديين – كما لمستها – حول قيادته الرشيدة التي تحققت على يديها عبر مراحل تاريخها الكثير من الإنجازات غير المسبوقة .. التي لم تصنعها مصادفات التاريخ، بل هي ثمرة كفاح "آل سعود"، وعملهم الدؤوب من عهد المؤسس المغفور له الملك عبد العزيز إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز .. ترجمت أحاسيس المجتمع السعودي كما أحسستها وكأنه يتغنى بملحمة وطنه اعتزازا وافتخارا به، فالوطن عنده قيمة إنسانية كبيرة.... فهو الأرض ..، والجذور..، والتاريخ..، والانتماء .. وهو الذات .. والهوية.. وهو الماضي .. والحاضر .. والمستقبل ..

وأخيرا أود أن أؤكد على نقطتين هامتين : الأولى أنه مهما عظمت الإنجازات، وتعملقت المعطيات فلا يخلو أي مجتمع من المجتمعات من تحديات تواجهه، فلا وجود للمجتمع الكامل، أو المدينة الفاضلة كما تخيلها أفلاطون، وأمّا النقطة الثانية فتتعلق بتجربتي التي سطرتها.. وهنا لا

أدعي بأنني كنت المثالي، أو المتفرد الوحيد في قدراتي وعملي ... ولكن كانت هناك فرق عمل سعودية وغير سعودية معي دائما.. نظيرة، ومشاركة، وفاعلة، ولكني حاولت وثابرت واجتهدت .. فإن كنت أصبت أو أخطأت فأنا بشر، والكمال لله وحده ..

البداية ..

والآن .. أبدأ من البداية .. حتي تكون الصورة كاملة .. ومتواصلة .. فقد عدت إلى أرض الوطن في أواخر عام ١٩٨١ بعد نهاية بعثة بالهند في مجال التنمية الاجتماعية الريفية. سبقتها بعثة أخري في إيطاليا تابعة لمنظمة العمل الدولية في مدينة " تورينو الإيطالية" وجولات دراسية وميدانية في كل من فرنسا وسويسرا تتعلق بمجالات تنمية الموارد البشرية واستثمارها.

كنت أعمل آنذاك في وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية التي تقلدت فيها عدة مواقع قيادية. وفي الوقت نفسه كنت نقيبا للاجتماعيين بمحافظة كفر الشيخ.

كانت مصر في ذلك الوقت تعاني من بنية أساسية متدهورة ومشكلات متباينة نشأ عنها توقف في بعض الخطط التنموية.. كما كان المواطن يعاني من نقص في الخدمات العامة والاستراتيجية، وانخفاض في مستوي المعيشة، إلى اختناقات مستمرة في بعض السلع الأساسية

والتي عرفت مصر بسببها ثقافة الطوابير .. فهناك طوابير الـدقيق، والأرز، والـسمن، والبقـول، وأنابيـب البوتجـاز، والصابون، (وفراخ الجمعيـة الاستهلاكية) .. وغيرهـا من السلع ..

ومـردّ ذلـك قـد يرجـع إلـى مـا خاضـته مـصر مـن حروب ومواجهات عدوانيـة كلفتها الكثير من مواردهـا .. وشـتان بـين هـذه البنيـة الأساسية المتـدهورة ومـا صـاحبها من آثار ومشكلات، وبين مـا تملكـه مـصر حاليـا من بنيـة أساسية قوية، وتحديث وتطـوير لهذه البنيـة .. وإن كـان قـد واكبها بعض الظواهر الاجتماعية والاقتصادية السلبية.

رغـم تلـك الـصعوبات والمـشكلات آنـذاك فـي بدايـة الثمانينات من القرن الماضـي إلا أنه للحق والتـاريخ كانـت سـلوكيات المجتمـع المـصري أكثـر انـضباطاً، ومفعمـا بشعور وطني عارم، كما أن الإطار العام للبعد الاجتماعي الثقـافي وعناصـره كـان يحتـوي فـي معظمـه علـي قـيم إيجابية...كانضباط في السلوكيات عامة، وسلوكيات العمل وأخلاقياتـه بخاصـة، والالتـزام نوعـاً مـا بمـا يجـوز ولا يجوز.. والفصل بين ما هو مرغوب فيه، وما هو مرغـوب عنه، أي أنه يوجد رأي عام متفق فيـه علي ثوابت لـضبط

السلوك المجتمعي، فكانت هناك معانٍ كثيرة متعارف عليها منها المواطنة والإنتماء، الصبر، الكرم، الكرامة، الوفاء، الجمال، الجدية، المحبة، الشهامة، العقلانية، والوجدانية..

في هذه الأثناء من عام ١٩٨٢ طلب مكتب التوظيف السعودي في القاهرة من وزارة الشؤون الاجتماعية ترشيح عدد من المتخصصين لديها في المجالات الاجتماعية والتنمية الريفية، فأعلنت الوزارة ذلك علي موظفيها والشروط المطلوبة، والتي تتضمن في معظمها التميز في مجالات عدة، وانه سيجري اختبار تحريري للجميع، وآخر شخصي لمن يجتاز الاختبار التحريري وذلك بمعرفة الوزارة.

تقدمت لهذه الوظائف واجتزتُ الاختبار التحريري، ثم عقد الاختبار الشخصي لمن اجتازوه، وكانت لجنة الاختبار تضم وكلاء الوزارة المعنيين وبعض كبار المتخصصين بها. وأعلنت النتيجة النهائية باختياري كأول المجموعة، لثلاثة تم اختيارهم ومن ثم صدر قرار وزيرة الشؤون الاجتماعية بإعارتي للعمل بالمملكة العربية السعودية وإخطار مكتب التوظيف

السعودي بذلك، وإبلاغي بالتوجه للمكتب لاستكمال الإجراءات ..

توجهت إلى مكتب التوظيف وكان موقعه في ذلك الوقت بحي الدقي بالجيزة وكان مدير المكتب آنذاك الأستاذ عبد العزيز العنقري وكان رجلاً مهذباً قابلني بترحاب، وقدمت له الأوراق والوثائق المطلوبة واستكملت الإجراءات الإدارية من قبل المكتب، وأبلغني أن الجهة الطالبة للوظيفة التي رشحت لها هي وزارة الشؤون البلدية والقروية بالرياض، وأعطاني خطاب الترشيح إليها، وتذكرة السفر بالخطوط السعودية، وتحدد موعد السفر من القاهرة إلى الرياض يوم ١٥ مايو ١٩٨٢م الموافق ٢٣ رجب ١٤٠٢ هـ.

أكملت الإجراءات الإدارية الخاصة بعملي في الشئون الاجتماعية، وودعت الزملاء والأصدقاء والأهل، وسافرت إلى الرياض في نفس الموعد وهبطت الطائرة في مطارها القديم حوالي الساعة الثالثة عصراً تقريباً، وعند نزولي من علي سلم الطائرة واجهتني موجة حارة لم يسبق أن شهدت مثيلا لها في سفرياتي السابقة ... سواء في الدول الأوروبية، أو الهند التي يتسم مناخها بارتفاع

في درجة الحرارة ولكن ليس بهذه الدرجة، كما أن المطار لم يبهرني كما كنت أتوقع حيث كان متواضعا في مبناه ومرافقة ولا يتناسب مع النهضة التنموية التي سمعت عنها، ولهذا تم فيما بعد إنشاء المطار الجديد (مطار الملك خالد الدولي) الذي يضاهي في معماره ومرافقه أحدث المطارات الدولية في العالم أجمع.

انتهت إجراءات الخروج من المطار فوجدت في استقبالي بعض الأصدقاء الذين كنت اتصلت بهم مسبقاً لمقابلتي فرحبوا بي وهونوا عليّ قسوة حرارة الجو وبأن المكيفات كفيلة بمواجهة هذه المشكلة.

اصطحبني زميل منهم بسيارته إلى مسكنه في مقر الشركة التي يعمل بها بحي العليا، وكانت السيارة مكيفة مما خفف عليّ قسوة حرارة الجو، وأثناء سير السيارة ألقيت نظرة سريعة على الشوارع فوجدتها نظيفة، ومرصوفة رصفا بلا مطبات ولا حفر، ولم أشاهد عسكري مرور في الشارع، وتكفلت إشارات المرور بمهمته وبدا لي أن الجميع يلتزم بها فهي لديهم – كما قال مضيفي – كالقاضي الصامت والعادل الذي لا يظلم ولا يُظلم ...

استضافني هذا الصديق في مسكنه بالمؤسسة التي يعمل بها لمدة أسبوعين، وأتاحت لي هذه الضيافة فرصاً مواتية لاكتساب معارف شخصية جديدة، ومعلومات أولية عن بعض موروثات وتقاليد وسلوكيات المجتمع السعودي، ولم تَخْلُ بدايات هذه اللقاءات سواء مع الأخوة المصريين أو غيرهم من عناصر التشجيع، أو الإحباط كما أن بعضها شابهُ النميمة والسخط، إلا أنها في معظمها علي الأقل كان مبشرا بالخير، وداعيا إلى التفاؤل، ولا أخفي أنني كنت دائماً وبخباثة أحاول سبر غور هؤلاء للحصول علي مزيد من المعلومات التي تشبع فضولي، ولربما كنت متأثراً في ذلك بنهجي في استكشاف الجديد دائما انطلاقا من مسيرتي العملية الطويلة في الحقل الاجتماعي، ومن ثم تكونت لدي حصيلة أولية من المعلومات لا بأس بها، وأن استرجاعها أفادني كثيراً في محكّات التعامل اليومية.

وفي اليوم التالي لوصولي إلى الرياض توجهت إلى وزارة الشؤون البلدية والقروية بمقرها في حي الناصرية، وقدمت نفسي وخطاب الترشيح إلى إدارة شؤون الموظفين، التي استكملت الإجراءات الإدارية

لتسلمي العمل، ووجهتني إلى وكالة الوزارة للشؤون القروية التابعة لها، وهي جهة عملي المستقبلي .. وتقع في حي شمال المربع، وتبعد عن مقر الوزارة بحوالي ثلاثة كيلومترات، فأخذت سيارة ليموزين لتوصيلي وكان سائقها باكستانياً وشرحت له موقع الوكالة كما وُصف لي، وفهمت منه أنه يعرف الموقع إلا انه بدأ متخابثاً فاخذ يلف ويدور ويسأل بخباثة عن الموقع، وبعد جهد وصلنا وكان عداد الليموزين قد وصل إلى حوالي (٣٠) ريالا رغم ما قيل لي من أن قيمة التوصيلة لن تزيد عن (١٥) ريالاً، ولكن ما باليد حيلة وأنا لا أعرف بعد شيئاً عن جغرافية الرياض، فامتثلت لابتزاز هذا السائق متحفظاً، وان كان ذلك ذكرني بموقف مماثل لي في الهند عند سفري إليها مبتعثا حيث كان مقر البعثة في مدينة حيدر أباد التي وصلت إليها من مطار بومباي مساء، وفي وقت متأخر وناديت على سيارة تاكسي لتوصيلي إلى المقر الذي سأقيم فيه وكان بجوار الجامعة العثمانية ويبعد عن مطار حيدر أباد بحوالي أربعة كيلومترات وسط منطقة زراعية غير مأهولة ومخيفة وحسب المعلومات التي قيلت لي قبل السفر فإن أجرة التاكسي لن تزيد عن عشر روبيات،

واتفقت مع السائق على ذلك إلا انه بعد أن قطعنا حوالي (٢٠٠) متر في هذه المنطقة المعزولة أفهمني أن الأجرة (١٠٠) روبية، فبدأ الشك والخوف يتسرب إلي نفسي خاصة وأني في منطقة خلوية، وأبديت له انزعاجي مدعيا بأني نسيت حقيبتي في المطار وبها حافظة نقودي وجواز سفري ومن الضروري استرجاعها ليأخذ أيضا أجره فوافق، وكان معي شنطة أخري كبيرة في التاكسي طلبت منه إنزالها وحمْلها وعدم تركها في السيارة خوفاً عليها ليذهب معي إلى داخل المطار، وتوجهت على الفور إلى أحد الضباط المتواجدين على أحد أبواب المطار وشرحت له الموقف وما أن رأى الضابط يتجه نحوه حتى ترك الشنطة وفرّ مسرعا، وأفهمني الضابط بأنه لا ينبغي أن أركب سيارة في هذا الوقت المتأخر إلا بعد الاتصال بمكتب في المطار ليدبر لي ذلك وتسجيل رقم السيارة التي ستقلني، وقام المكتب بتدبر سيارة تاكسي أخري بمعرفته بالأجرة المعلومة وهي (١٠) روبيات.

نترك هذه المواقف ، ونستأنف الحديث عن وصولي لاستلام العمل بوكالة الوزارة للشؤون القروية حيث كانت تشغل مقراً مؤجراً عبارة عن فيلا من دورين،

ووجهني المعنيوّن في الوكالة لمقابلة مدير عام الشؤون القروية المرحوم/ حمود السلم وكان رجلاً دمث الأخلاق ومثقفاً، ويعتبر حجة في مجال التنمية الريفية وشؤون البادية في المملكة، ويحمل ودا للمصريين، ويقدر عملهم، ودار حديث حول مؤهلاتي وخبراتي، وبعض الجوانب الأخرى المتعلقة بسيرتي الذاتية، ثم اصطحبني كي أقابل وكيل الوزارة للشؤون القروية الأستاذ/ عبد الله المقيل وقدمني إليه مشيراً إلى المعلومات المتعلقة بي والتي حصل عليها تواً مني، وكان هو الآخر رجلاً مهذباً قليل الكلام كثير الاستماع، له هيبة ووقاراً ويعتبر موسوعة مرجعية في مجال التنمية الريفية وشؤون البلديات والمجتمعات القروية، وشربنا معه القهوة العربية وأبلغني أن عملي سيكون بإدارة الدراسات والبحوث في الوكالة، وتمنى لي التوفيق في العمل، وطيب الإقامة، وعقب خروجنا من مكتب وكيل الوزارة توجهت مع المدير العام إلى إدارة الدراسات والبحوث التي سأعمل بها حيث قدمني إلى مدير الإدارة الأستاذ حمد المبارك الذي رحب بي وشرح لي بإيجاز طبيعة العمل.

قضيت أمسية هذا اليوم منفرداً في سكن المضيف أفكر في مجريات اليوم، ومقابلاته والتصور المستقبلي لبدايات العمل، واسترجعت مؤشرات بوصلة عملي في مصر خلال السنوات الماضية، وما أتيح لي من خبرات متنوعة، ومتجددة في كل عمل تقلدته ، مما شكل لي فكراً منهجياً متكاملا من المهم توظيفه الآن في مجتمع العمل بوكالة الوزارة للشؤون القروية، ولتكن البداية هنا هي المزج بين الحوار مع المختصين في الوكالة، ومخرجات الوثائق ذات الدلالة، ثم الانطلاق للعمل الميداني، لتكوين قاعدة معرفية ارتكز عليها، ويمكن استخدامها فيما يسند إلي من أعمال ودراسات في مجال التنمية الريفية، وهو المجال الرئيسي لعملي كما تحدد خطه العريض عند اللقاء الأول مع مدير عام الشؤون القروية، ووكيل الوزارة للشؤون القروية.

انطلاقاً من ذلك وضعت في مخيلتي تصوراً لمرحلة البداية تعتمد علي منهجية علمية تبدأ بالرجوع إلى الوثائق، والسجلات، والملفات، والإحصاءات، والأنظمة واللوائح ذات العلاقة بمهام ومسئوليات وكالة الوزارة

للشؤون القروية، باعتبار أن تحليل مضامينها يعدّ مصدرا أساسيا يقود إلى المرحلة الميدانية التي خططت لها.

في صباح اليوم التالي توجهت إلى الوكالة، ولما كان الوقت مبكراً التقيت بالعديد من الزملاء، وكان أغلب الموظفين من المتعاقدين ويحملون جنسيات مختلفة أغلبهم من المصريين ونفر قليل من الأردنيين والسوريين واللبنانيين والفلسطينيين. وكانت مقابلة شابها من قبلهم بعض الفتور والفضول سواء من الأجانب أو السعوديين، وطرح بعض أسئلة واستفسارات شخصية غير مبررة اعتبرها بالمعنى السعودي قد تكون (لقافة) أو بالمفهوم المصري (حشرية). قابلت هذه التصرفات غير اللائقة بصبر جميل دون إشفاء غليل أصحابها .. ورغم ذلك كانت هناك بعض النماذج المشرفة والودودة من السعوديين والمصريين العاملين في الوكالة الذين قابلوني بترحاب اذكر منهم الأستاذ الفاضل المستشار محمد منير جويفل الذي كان يعمل كمستشار قانوني في الوكالة ... وحاليا هو نائب رئيس مجلس الدولة بجمهورية مصر العربية، وذو شخصية مهذبة، ومتواضع، وكريم .. وكذلك

قوبلت بترحاب من قيادات وكالة الوزارة للشؤون القروية والكثير من موظفيها.

قضيت بقية اليوم مع مدير إدارة الدراسات والبحوث نتجاذب أطراف الحديث وجله في العمل مؤكدا على أنه يأمل كثيرا في عطائي باعتبار أن الوكالة حاليا تعاني من نقص في الكوادر السعودية المؤهلة والتي هي في سبيل التكوين ليس في الوكالة وحدها وإنما على مستوي جميع الأجهزة الحكومية، وهو ما أدي إلى استقدام كمٍّ كبيرٍ من العمالة الوافدة، وفي الوقت نفسه، فإنه يتم معالجة أوضاع الموظفين السعوديين الحاليين وتهيئتهم من خلال برامج تدريبية هادفة..

تطرق الحديث مع مدير الإدارة في أمور شتي عن أوضاعي العملية في مصر، وعن أقامتي حالياً في الرياض، وأخبار السكن، والمعيشة بل عرض علي سلفة نقدية لتدبير أموري حتى اصرف بدل السكن، والراتب فشكرته علي ذلك موضحا أن بعض أصدقائي المصريين قاموا بالواجب، وفي ثنايا الحديث وجه لي دعوة علي الغذاء بمنزله في الرياض واستجبت لدعوته فيما بعد ..

وبعد أن عرفني بمتطلبات العمل بالإدارة والدور المستهدف مني، استدعاني المدير العام، وناقشني في خطتي المستقبلية بحضور مدير الإدارة، ولما كنت وضعت تصورا لهذه الخطة في مخيلتي وضحتها له بإيجاز، والمنهجية التي سأتبعها، في تنفيذها مضيفا أن نقطة البدء هي ملفات الوكالة ووثائقها باعتبارها المصدر الأساسي للحصول علي المعلومات الاستكشافية، وكان تحديدي لهذه الوثائق الورقية يرجع لعدم توفر وسائل إلكترونية وقتذاك في عام ١٩٨٢م، حيث لم تبدأ شبكة الإنترنت تستخدم إلا في عام ١٩٨٩م، ومن هنا جاء اقتراحي بالاعتماد علي المعلومات الورقية، وأنه في ضوء هذه المنهجية يمكن أن نناقش المرحلة التالية، فوافقني فوراً علي هذا التوجه، واعتبر أن ذلك يمثل خطوة علمية وموضوعية ووجه مدير الإدارة بتسهيل كل متطلباتي من وثائق وملفات وأنظمة وتعاليم وقرارات ..

كنت في ذلك الوقت أقيم ضيفا علي صديقي المصري في سكنه بالشركة التي يعمل بها، وذلك بصفة مؤقتة حتى أجد السكن المناسب ومن ثم استقدام أسرتي إلى الرياض، وكان تركيزي في البحث عن السكن خلال

فترة ما بعد العمل اليومي، وقيل لي من بعض المصريين والسعوديين أن أقرب مسكن للعمل قد يكون شارع الخزان أو شارع الوزير، أو حي الشميسي، وأصطحبني بعض الأصدقاء إلى المكاتب العقارية المختصة بعملية تأجير المساكن حيث أطلعتني علي عدد من الشقق لم ترق لي، فآثرت التريث بعض الوقت لحين الانتهاء من خطتي المكتبية الأولي في العمل، والتي انتهت بعد أسبوع من البداية كما خططت حيث حصلت على كمٍ من المعلومات التي رصدتها وأثرت بلا شك خبراتي وسلحتني بمعارف كثيرة ... وحسب منهجيتي كان لابد من رؤية ميدانية علي الطبيعة ..

انطلقت هذه الرؤية كما تصورتها من عدة أبعاد تبدأ من ركيزة العمل الأساسية في الوكالة وهي المجمعات القروية، والتي تقوم فكرتها علي أساس تركيز جهود الخدمات البلدية في مجموعات من القرى ذات التقارب والترابط الجغرافي والاجتماعي، بحيث يمكن تقديم هذه الخدمات بانتظام وبتكاليف معقولة، ويتم اختيار إحدى

القرى الرئيسية ذات الموقع الجغرافي المناسب بالنسبة لبقية القرى لتكون مقرا للمجمع القروي ومركزاً إدارياً لتقديم خدماته، وبدئ في إنشائها منذ عام ١٩٧٦م حيث أنشئ أول مجمع قروي ..

وقد توالي إنشاء المجمعات القروية بعد ذلك خلال السنوات التالية حتى أصبح عددها(٤٥) مجمعا قرويا حتى عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) تقدم خدماتها لأكثر من (٢٥٠٠) قرية، وتقوم المجمعات القروية بجميع المهام البلدية للقرى الواقعة في نطاقها، ويشمل ذلك التخطيط العمراني بكافة فروعه الفيزيقية، إضافة إلى الاحتياجات الأخرى من المرافق البلدية، وتنفيذ مشاريع البنية الأساسية للقرى كالشوارع، والأرصفة، والإنارة، وإنشاء الحدائق والأسواق والمجازر،والقيام بجميع أعمال الصيانة، والنظافة وصحة البيئة، وقد تم فيما بعد تحويل معظم هذه المجمعات القروية إلى بلديات وإحداث حوالي ٤٠ مجمعاً قروياً جديدا.

تبين لي كذلك من بعض الوثائق التي استطلعتها اتساع مساحة المملكة التي تبلغ حوال(٢.٢٥٠.٠٠٠) كم٢

وتباين طبيعتها وتضاريسها، بالإضافة إلى ندرة المياه في بعض الأماكن آنذاك، مما أدى إلى التوزيع الجغرافي غير المنتظم لأكثر من عشرة آلاف قرية وهجرة. ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى صعوبة تأمين الخدمات الأساسية لسكانها خصوصاً إذا كانت هناك صعوبة اتصال ومواصلات فيما بينها في ذلك الوقت ..

لمعالجة هذه الصعوبات قامت وكالة الوزارة للشؤون القروية بالبدء في إعداد مشروع لتنمية هذه القرى، يتمثل في لائحة لتنمية وتطوير القرى وكان المشروع وقتذاك قيد الاعتماد من مجلس الوزراء وهذه اللائحة – كما أطلعت على مشروعها – تضع الإطار العام والمداخل النظامية إلى التنمية الريفية الشاملة، وفق منهج متكامل من النواحي الاجتماعية والثقافية والعمرانية، بحيث تشارك فيه جميع وزارات الخدمات، ويتم تنفيذ ما جاء في اللائحة على مستويات مختلفة محلية، وإقليمية، ومركزية أو وطنية.

في إطار هذا الوضع الراهن كان من المهم التعرف المبدئي علي أرض الواقع، كما أوضحت ذلك

لمدير عام الشؤون القروية الذي شاركني في توجهي وأصدر قرارا بندبي لمدة شهر لزيارة عدد من المجمعات القروية في كل من منطقة مكة المكرمة، والباحة، وعسير، وجازان، وفضل أن تكون هذه الجولة بسيارة (لاندرفر) لمزيد من التعرف عن قرب علي هذا الواقع، ورافقني في هذه الرحلة زميل سعودي فاضل من إدارة الدراسات والبحوث هو الأستاذ أحمد الراجحي ومن أبناء منطقة جازان وسائق سعودي، وتحددت أهداف هذه الجولة كما جاء في قرار التكليف، وهو إجراء تقييم شامل للمجمعات القروية موضوع الزيارة، والتعرف علي المشكلات والصعوبات التي تواجهها والسياسات المقترحة لمعالجتها. وتحددت مهمة زميلي المرافق بتقديم برامج التوعية الريفية من خلال بعض المعينات السمعية والبصرية التي زود بها وإلقاء بعض المحاضرات ومساعدته في ذلك.

واستعداداً لهذه المهمة قمت بإعداد مسبق لنموذج عملية التقييم المستهدفة باعتباره نوعا من التقييم الإجرائي، وتعمدت أن يكون نموذج التقييم شاملاً ومقننا على قدر الإمكان.

قبل سفري لهذه المهمة، اتخذت الإجراءات الإدارية اللازمة لاستقدام أسرتي من القاهرة، كما واصلت البحث عن شقة مناسبة، ووجدتها في شارع الخزان وهو من الشوارع القديمة في مدينة الرياض، حيث الطرز المعمارية به تتشابه مع الطرز المعمارية المصرية، ويقولون أن المهندسين المصريين هم الذين قاموا بعمليات التصميم والإشراف على البناء السكني والتجاري بهذا الشارع، وتقع به أكبر عمارة بالمملكة في ذلك الوقت وتسمي عمارة الملك خالد، وتتكون من مبنيين مستقلين ومتقابلين، وبالشارع أكبر حديقة آنذاك وهي حديقة الفوطة، كما تكثر به مطاعم المأكولات والشواء بالذات.

كانت الشقة المناسبة التي اخترتها تقع في شارع الخزان يقطن بها مدرس مصري وأسرته، وانتهى عمله بالمملكة وسيغادرها بعد أسبوعين، ووعد هذا المدرس بتحويل عقد الإيجار باسمي بالاتفاق مع المالك بشرط أن أشتري منه الأثاث الخاص به والموجود بالشقة، وحدد ثمنا لهذا الأثاث بما يقارب من نصف بدل السكن الخاص بي، ووافقت على ذلك مدفوعا بعدم خبراتي بالأوضاع

المعيشية في المملكة، وثقتي في أن هذا المدرس لن يبتزني، فضلا علي أنه حفزني للقبول بعرضه بتدبير إقامتي كضيف عند زميل له يسكن بالعمارة بمفرده لحين إخلاء الشقة، ومن ثم انتقلت للإقامة مع زميله المصري، وربما كان هدفه الخفي من ذلك أن أكون رهينة لضمان الارتباط على بيع أثاث الشقة وسداد قيمته حيث لم أدفع القيمة في حينه انتظاراً لصرف بدل السكن، وسددت له القيمة المطلوبة بعد ذلك، وفي يوم مغادرته للرياض أعطاني مفتاح الشقة وكان أول ما لفت نظري هو الأثاث الذي لم أكن فحصته جيداً خجلاً لوجود أسرته بالشقة .. ولكني ذهلت مما رأيت بعد ذلك فهو أثاث معظمه متهالك، ومضي عمره الافتراضي، وعندما رآه بعض الزملاء أخبروني انه لا يساوي ربع القيمة التي دفعتها له، وكان ذلك أول إحباطاتي في التعامل مع بعض النماذج المصرية التي لا تتقي الله في تعاملها خاصة مع أبناء جلدتها ، وكان لسان حالي يقول حسبي الله ونعم الوكيل ..

إطلالة على القرية السعودية وعبقرية المكان ..

أجلت موضوع تجهيز الشقة وتعويض ما بها من أثاث هالك، لحين الانتهاء من جولتي الميدانية لزيارة المجمعات القروية والتي استغرقت شهرا وبدأت المهمة بزيارة للمجمع القروي في قرية القوز التابعة لمدينة القنفدة، بمنطقة مكة المكرمة، وكانت الرحلة من الرياض إلى هذا المجمع مجهدة خاصة وكنا في فصل الصيف رغم أن السيارة مكيفة، وخفف عنا الأخ السعودي المرافق وعثاء السفر بحديثه الطلي، وشرحه للمواقع التي نمر بها، ومما خفف علينا أيضا قضاء بعض الوقت في الاستراحات المنتشرة على طول الطرق البرية التي مررنا بها ، وشهدنا خلالها السلاسل الجبلية التي تحف بهذه الطرق، وكان من الملفت للنظر وجود كمٍ كبير من القرى والهجر المتناثرة على امتداد هذه المناطق الجبلية ذات التضاريس المتعرجة والطرق الوعرة مما أدى إلى انتشار هذه القرى والهجر على ارتفاعات مختلفة، منها ما

يقع فوق الجبال التي يسكنها نفر قليل من المواطنين منهم بعض العجائز والأطفال حيث يعمد الأهالي على تقييد حركة هؤلاء خوفا من سقوطهم من أعالي الجبال، ومنها ما يقع فوق الهضاب أو في الأودية، كما أن بعضها نشأ في أماكن معرضة للسيول الجارفة، وأخرى تحف بها النفوذ والرمال من كل ناحية رغم وجود مناطق صالحة للإقامة والسكن، إلا أنها تخلو من التجمعات السكانية نتيجة تمسك هؤلاء بالمنشأ وبعض القيم البدوية التي تعظمه.

من الجدير بالذكر أنه رغم توزيع هذه القرى بشكل متناثر تحت ظروف طبيعية متباينة، ومسافات شاسعة، وكثافة سكانية منخفضة، إلا أن الدولة قدمت لها الكثير من الخدمات وقتذاك واستمرت تواصل تقديمها لترقى إلى مستوى الخدمات التي تقدم للمدينة.

من المشاهد الممتعة تلك المنطقة الجبلية في الجنوب الغربي من المملكة بمزاياها المناخية (الارتفاع) التي لفتت نظري طوال رحلتي وشملت بعض مناطق من عسير، والباحة، والقسم الجبلي وغير الجبلي من مكة المكرمة، والتي تتمتع أيضا بإمكانيات متميزة جاذبة

للسياحة والاستجمام مما يؤهلها لتكون مناطق داعمة للتنمية المستقبلية ..

في هذا السياق تردد مسمى"الهجر" كثيرا حاولت أن أعرف مفهومه من رفيق السفر وكان على دراية بجغرافية وتاريخ المملكة، وأفاض في ذلك، فعرفت أنه قد بدئ في إنشاء هذه الهجر منذ بدايات القرن العشرين الميلادي بقرار من المغفور له الملك عبد العزيز، بهدف إسكان مجموعات من أهل البادية وتغيير نمط حياتهم بالاستقرار، وتطوير الزراعة بعيدا عن حياة الرعي والتنقل والارتحال مع احتفاظهم بنظمهم الاجتماعية وموروثاتهم القيمية..

في هذه الهجر تلقى البدو مبادئ الدين الإسلامي الصحيحة على أيدي المتخصصين من الفقهاء، إضافة إلى تنمية الروح العسكرية المقيدة بتعاليم الشريعة الإسلامية، ومن ثم تحولت هذه الهجر إلى قوى منظمة ساعدت في بناء الدولة السعودية الحديثة. ونما الكثير من هذه الهجر كما شاهدت فيما بعد وأصبحت الآن إما قرى كبيرة أو مدنا صغيرة، ولم يبق منها إلا القليل من هذه الهجر المتناثرة التي شاهدناها خلال تجوالنا في هذه الرحلة،كما

عرفت أيضا فيما بعد أن الكثير من أبنائها قد انتقل إلى المدن وخاصة من الهجر غير القابلة للنمو. بل وأصبح استعمال مسمى الهجر من التاريخ القديم في المملكة.

وعودة إلى بداية الزيارة في المجمع القروي بالقوز فقد وصلنا إلى هذا المجمع في الصباح الباكر، واستقبلنا رئيس المجمع بكل الحفاوة والتقدير، وأخذنا إلى مقر الإقامة المخصص لنا أثناء الزيارة وهو عبارة عن فيلا مجهزة تجهيزا لا بأس به، وقدم لنا الفطور والشاي والقهوة العربية والتمر، ثم انتقلنا إلى مقر المجمع القريب من الفيلا، وتبين لي من أول وهلة أن رئيس المجمع له شخصية قيادية، وأن نسبة كبيرة من موظفي المجمع أجانب أكثرهم من المصريين وخاصة المهندسين، ونسبة من هؤلاء الموظفين محارم من الوافدين مع زوجاتهم، وبادر رئيس المجمع بالتحدث عن المجمع وإنجازاته، والصعوبات، والمشاكل التي يواجهها كان أغلبها يتمركز حول الميزانية والصلاحيات المخولة له في الصرف من بنودها، وتشتت قرى المجمع مما مثل صعوبة في تقديم بعض الخدمات إليها ..

وبعد أن انتهى من حديثه بدأت في استطلاع كل ما قدمه من وثائق وأوراق وتقارير، وممارسة عملية التقييم المستهدفة، والتي تطلبت زيارة بعض القرى التابعة للمجمع، للوقوف على ما يقابل الأهالي من مشكلات تتعلق بعمل المجمع القروي، ومقترحات معالجتها، والتي تمحور معظمها حول أهمية تكثيف الخدمات، وتقليل عدد القرى المربوطة بالمجمع، وذلك بإنشاء فروع للمجمع ببعض القرى البعيدة التابعة له ..

استغرقت زيارة هذا المجمع ثلاثة أيام كما كان مخططا لها، عملت فيها صباحا ومساء وشاركت زميل الرحلة في تقديم بعض برامج التوعية، تخللها كرم في الضيافة من رئيس المجمع، وبعض المشايخ والأعيان، وقدمت فيه أكلات عرفتها لأول مرة إذكر منها لحوم المندي والمظبي، والحنيذ، مع الكبسة السعودية المكونة من الأرز البسمتي أو البرياني، المخلوطة بالتوابل والليمون الجاف كما عرفت لأول مرة المرقوق، والكليجا، والقرصان، والجريش، وغير ذلك من أكلات سعودية شهية .. وكانت القهوة، والشاي، والتمر وبخور العود قاسما مشتركاً في كل هذه المناسبات.

أحسست لأول وهلة أن رئيس المجمع وموظفيه ربما فهموا أسباب زيارتنا خطأ، وأنها بغرض التفتيش والرقابة، رغم أنها ليست كذلك وحاولت التأكيد مرارا على هدف الزيارة، ولكن الشك كان يساورهم مما حجب عني بعض المعلومات، كما أن بعض الأهالي قد تصوروا أن بمقدورنا أن نحقق مطالبهم ونعالج الكثير من مشكلاتهم. وإن كنا أكدنا للجميع بأننا سننقل رغباتهم إلى المسؤولين في الوكالة.

وفي نهاية الزيارة أعددت تقريرا تقييميا وتفصيليا بنتائجها وفق العناصر المستهدفة وبما يتفق وأهداف الزيارة.

تخلل هذه الزيارة أمسيات للتسامر قضيتها مع بعض مشايخ القرية وأعيانها وأهاليها الذين رددوا مرارا في أحاديثهم ما قدمه لهم (عبد العزيز) هكذا يذكرون اسمه مجردا – فهو عندهم الأب، والمعلم، والمؤسس، وصاحب الفضل في نقلهم من البداوة إلى التحضر ومن الترحال إلى الاستقرار، ويدينون بالفضل كذلك لأبنائه من بعده الذين ساروا على درب الوالد – رحمه الله – فالحكومة الله يعزّها – كما يقولون دائما قدمت لهم الكثير خاصة مع

بداية الطفرة، ومستمرة في عطائها الذي غطى جميع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فتغيرت البنية الأساسية لقراهم وتحول الكثير من مساكنهم إلى مساكن حديثة، بعد أن كانت من الطين، وبيوت الشعر والخيام والتي تسنى لي رؤية بعضها وأنماط إقامتها فرأيت بعضها صغيرا ومرفوعاً بعمودين فقط، وبعضها مرفوعٌ بثلاثة أعمدة إلى ستة أعمدة، ويطلقون عليها مسميات معينة فهناك ما يسمونه (مكرونا) وهو الذي يرفع على أقل من ثلاثة أعمدة أما المرفوع على ثلاثة أعمدة، يسمى (مثولثا) وهناك أيضا المروبع، والمخموس، والمسدوس،وقد تداولت هذه المسميات كثيرا في سواليف بعض مشايخ وأهالي القرى التي زرتها.

من ملاحظاتي أيضا في هذه اللقاءات أن الأهالي يعطون اهتماما خاصا للسن، ويعتبرونه أساسا للاحترام والتمايز والتفضيل. كما أن لشيخ القبيلة كل الاحترام والتقدير والسمع والطاعة، وأحيانا قد يكون حلقة الوصل بين أبناء القبيلة أو أهالي القرية مع السلطات الإدارية على المستوى المحلي، أو الإقليمي، أو المركزي، كما أن هناك

مرتبة أعلى من شيخ القبيلة وهو "شيخ شمل" وتعينه مجموعة من القبائل في منطقة معينة ..

لا أود أن أطيل في هذا المجال فقد استجدّت بعض العناصر والأنماط الجديدة، كما حدث تطور شامل في المملكة، فالقبائل أصبحت تخضع للسلطة المركزية، وأصبحت مشروعات وبرامج تنمية البادية تلقى الاهتمام المتزايد من أجهزة الدولة في المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والإسكان، والطرق، والمواصلات وغيرها، والمتتبع لمشروعات تنمية البادية، والقرى، والهجر يجد – كما شاهدت – أنه تهيأت لسكانها حياة جديدة، فخطط التنمية المحلية التي تتبعتها المملكة شجعت الأهالي على التعليم في الحاضرة والبادية، وأنشأت المملكة شبكة من المدارس في مختلف المراحل في كل المناطق. وزاد عدد الجامعات، وابتعاث الكثير من الشباب السعودي للخارج في مختلف التخصصات للحصول على درجات علمية في مستوى الماجستير والدكتوراه.

في هذا السياق لاحظت أن القرى التي قمت بزيارتها يعمل بها الكثير من العمالة الأجنبية في مختلف المجالات، وتساءلت عن السبب في ذلك فكانت الإجابة أن

هذه إفرازات سنوات الطفرة التي حدثت في منتصف السبعينيات الميلادية من هذا القرن (الماضي) والتي عمت فورتها الاقتصادية جميع مدن وقرى وهجر المملكة، وتوسع على أثرها القطاع الحكومي والخاص في المشروعات التي تطلبت الكثير من الأيدي العاملة التي تفوق العرض من العمالة الوطنية بكثير، فكان توافد العمالة الأجنبية بوتائر عالية منذ ذلك الوقت للموازنة بين العرض والطلب في سوق العمل.

أن ما أشرت إليه من حكايات ورؤى كان مجرد طرح أولي أجاب على بعض تساؤلات البداية، وأنار لي بوضوح أكثر طبيعة البيئة والمجتمع الذي سأتعايش وأعمل فيه ..

انتهت زيارتنا للمجمع القروي بالقوز واقترح زميل السفر أن نقوم بأداء عمرة بمكة المكرمة فهي ليست ببعيدة عنا كما أنها قريبة أيضا من المحطة التالية للزيارة، والتي ستغطي المجمع القروي في المخواة بمنطقة الباحة..

ما أن وطأت قدماي أرض مكة المكرمة في أول زيارة لها وأول عمرة أؤديها وأمام المسجد الحرام

أحسست بجلال المكان ورهبته وعبقرية المكان والزمان وقدسيته وجلاله، ففي رحاب هذا البيت العتيق شاهدت جموعا من المعتمرين أتت من كل فج عميق، الكل بملابس الإحرام البيضاء لا فرق بين أبيض وأسود، أو عربي أو غير عربي أنهم جميعا يذكرون اسم الله تتعلق قلوبهم وأفئدتهم بالبيت الحرام وكعبته المشرفة، وهذا البلد الطيب الآمن.

أدينا مناسك العمرة مهللين ومكبرين، وعند طوافنا بالكعبة الشريفة كان معنا مطوف اتفق معه الزميل لنردد وراءه الدعاء المستحب في هذه المناسبة طلبا للرحمة والتوبة والغفران، وكذلك كان الحال في سعينا بالصفا والمروة ..

انتهت مناسك العمرة وهالني ما شهدته من حرص المملكة على تجنيد كل طاقاتها لخدمة المعتمرين والاستعداد لاستقبال ضيوف الرحمن من الحجيج في الموسم الحالي وتوفير أفضل ظروف الراحة والأمن والطمأنينة للجميع.

وتعلق بصري بإعجاب لما يتم من مجهودات لتوسيع الحرم المكي في ذلك الوقت، والإعداد لشق بعض الأنفاق حول الحرم المكي، لتسهيل حركة مرور السيارات، وكذلك الإعداد للتوسعة الجديدة للحرم المكي الشريف من الجهة الغربية، على أن يتم في هذا الإطار ضم مساحة السوق الصغير إلى الحرم كما قيل لي وحدث فيما بعد ..

وما أزعجني هي تلك الجموع من المعتمرين التي تفترش الأرض حول الحرم المكي أغلبهم أفارقة .. ويبدو أن هذه الظاهرة مازالت قائمة وتكثر أثناء موسم الحج ..

انتهت زيارتنا إلى مكة المكرمة بعد أن تجولنا في المناطق القريبة من الحرم تناولنا خلالها العشاء في أحد المطاعم السورية. وما زالت ملاحظاتي متكررة حول كثرة العمالة الأجنبية سواء في خدمات الحرم المكي الشريف، أو محلات القطاع الخاص المنتشرة حول الحرم، أو في أعمال المعمار العملاقة خاصة حول الحرم المكي ..

تواصلت رحلتنا إلى منطقة الباحة مرورا ببعض السلاسل الجبلية، وشاهدنا عملية إنشاء شبكات الطرق المسفلتة، وما يجري من توسعات عمرانية للتجمعات السكانية، باتجاه هذه الطرق الرئيسية التي تصل إلى المراكز الحضرية والريفية، كما رأينا حركة معمارية دائبة تتم على طول هذه الطرق تتمثل في تأسيس مختلف الدوائر الحكومية، والمدارس، والمراكز الصحية والمرافق العامة، والمحلات التجارية، كما لاحظنا أنه يتفرع عن هذه الطرق الرئيسية، طرق خدمة تتكون في أغلب الأحيان من فرع أو فرعين من الطرقات التي تصل إلى القرى والهجر. عمل دائبَ لا يكل كان سائدا في مختلف المواقع التي مررنا بها طوال الزيارات ..

وصلنا إلى مجمع المخواة مساء في وقت متأخر وأبلغ بعض الموظفين رئيس المجمع بوجودنا، وحضر على التوّ وأعد مقرا لإقامتنا في منزل حديث وتسامرنا بعض الوقت معه عن رحلتنا وأهداف زيارتنا وبدا عليه أنه توجس خيفة أيضا من أسبابها رغم تأكيدنا على أهدافها التقييمية وبحث ما يقابل المجمع من صعوبات ومشكلات .. ومواجهتها ..

وكما حدث في القوز من كرم أصيل.. نكرر أيضا في المخواة، وإن كان بمظاهر مختلفة إلى حد ما، حيث شارك بعض الأعيان في تكريمنا في وجبتي الغذاء والعشاء ودعوة مشايخ القبائل والأعيان، ورؤساء الدوائر لهذه المآدب .. وعرفت أن تجهيزها تم في مطابخ تجارية خاصة يعمل بها أجانب من اليمن والباكستان والهنود والمصريين وغيرهم ..

وأثناء الطعام كان يدور حديثنا حول (الحكومة الله يعزها) التي هيأت لهم كل شئ ونهضة تنموية غير مسبوقة، حتى أنواع الطعام الذي كان في السابق يعتمد على اللبن والتمر، وبعض الأكلات الأخرى التي كانت تقتصر - كما ذكروا - على أنواع تراثية مثل الأقط المصنوع من اللبن ، والعصيد من القمح أو الدقيق، والعريس المصنوع من الذرة المحمر في اللبن، وأنواع أخرى يطول شرحها مثل الدويف، والمراصيع، والمطازيز، والعبيط من التمر والسمن، وأنهم لم يعرفوا الأرز، وأنواع كثيرة من الفواكه، والسلطات، والأجبان، والأسماك، والعصائر، والياميش وغير ذلك .. إلا حديثا

مع حقبة التحول الاقتصادي الذي عمت آثاره الاقتصادية والاجتماعية كل أنحاء المملكة.

أما التمر فهو القاسم المشترك في جميع القرى والهجر التي زرتها وكذلك في جميع المدن حيث يقدم مع القهوة العربية أثناء الضيافة وكذلك قبل الأكل وبعده، وقد يكون مهروسا، أو مكبوسا، أو رطبا مثلجا، وتعتبر المملكة من أولى الدول في إنتاج التمور، ويدبر السعوديون احتياجاتهم السنوية من هذه التمور التي لا ينقطع تقديمها صيفا وشتاء.

في هذا السياق علمت – فيما بعد – من أستاذ جامعي سعودي في كلية الزراعة جامعة الملك سعود ومن أصدقائي بأنه يوجد في المملكة ما يزيد عن (١٥) مليون نخلة من جميع الأنواع منتشرة بخاصة في المنطقة الشرقية، ومنطقة المدينة المنورة، ومنطقة القصيم وغيرها ..

ومن أنواعه البرحي، الخلاص، السلي، نبوت السيف، السكري الملكي، البرني، الشقري، الصقعي، السلاطين، حلوة، لبانة، ربيعة، سويداء، أفندي، ساريه..

وغير ذلك من الأنواع التي يقرب عددها من أربعمائة نوع ..

بل هناك بعض السعوديين في مختلف المناطق يغرسون في حدائق منازلهم وقصورهم أنواعا من فسائل النخيل المثمر وقد يعتمدون على إنتاجها في توفير احتياجاتهم السنوية من هذه التمور ..

وإذا ما شاهدت أسواق التمور في المملكة سترى طرقا جذابة ومبتكرة لعرضها فهناك عبوات مغلفة بالتمور المكبوسة في أكياس من البلاستيك، وهناك صفائح من التنك، وكذلك التمر الملوز المخلوط باللوز أو السمسم، وأيضا التمر الرطب المحفوظ في البرادات وهكذا ..

وللسعوديين طقوس في تقديم القهوة شاهدتها لأول مرة أثناء هذه الزيارات فهم يعتبرونها من الطقوس الرئيسية للضيافة، وتقدم بسكر أو بدونه مخلوطة بالهيل (الحبهان) أو القرنفل ويطلقون عليه المسمار، والزعفران وتغلى هذه التركيبة في الماء بطرق لها أصولها الفنية التي يتقنونها.

ومن طقوس تقديم القهوة كما لاحظتها هي أن يقدمها أصغر الحاضرين سنا من أهل المضيف ولا يجلس إلا بعد الانتهاء من تقديم القهوة، ثم الشاي، فيمسك دلة القهوة بيده اليسرى التي يصب بها القهوة وفي يده اليمنى عددا من الفناجين الصغيرة يصب فيها القهوة، ومن لا يرغب في استمرار تناول القهوة يضع يده فوق فوهة الفنجان أو يهزه، وبعد ذلك يمر بصينية الشاي وعليها أكواب صغيرة تسمى بيالات مفرد (بيالة) مملوءة بالشاي الأحمر أو الأخضر. وعادة ما يتسم تقديم القهوة سواء في المنازل أو المكاتب بنوع من كرم الضيافة التي جبل عليها المجتمع السعودي، كما تقدم تقديرا لشخصية الضيف. وكان بخور (العود) هو القاسم المشترك أيضا مع القهوة العربية في جميع الزيارات.

التقيت أثناء الزيارة بموظفي المجمع القروي وجلهم من الأجانب أيضا ودار حوار حول ما يقومون به من أعمال، وما يواجههم من صعوبات في تقديم خدمات المجمع، ومقترحات حلها، ولم تخرج هذه الصعوبات التي أكد عليها رئيس المجمع عما تكشف لنا أثناء زيارة مجمع القوز.

وفي نهاية الزيارة عكفت على إعداد تقرير التقييم المستهدف وودعنا رئيس المجمع شاكرين له ولأهل القرية حفاوتهم وكرمهم.

وأخذنا بعد ذلك طريقنا إلى منطقة عسير في اتجاه المجمع القروي بالمجاردة التي تقع بمنطقة عسير في الجزء الجنوبي الغربي للمملكة، وتتميز منطقة عسير بموقع استراتيجي هام لوقوعها عند طرق إقليمية تؤدي إلى الطائف، ونجران، وجازان، والرياض بالإضافة إلى مركزها الإداري والتعليمي والسياحي وكان العمل متواصلا لاستكمال هذه المقومات.

وفي مدينة أبها عاصمة المنطقة تقابلنا مع مدير عام الشؤون البلدية والقروية وكان وقتذاك الأستاذ عبد العزيز أبو ملحة، الذي رحب بنا وأوضحنا له مهمتنا، وأهدافها وأن في خطتنا زيارة المجمع القروي بالمجاورة، وركز في حديثه على بعض النقاط التي ينبغي دراستها بالنسبة للمجمع كما شرح لنا بالتفصيل – باعتباره من أبناء المنطقة – خصائص ومعالم منطقة عسير وأنه يمكن تقسيمها إلى ثلاث وحدات رئيسية لكل منها خصائصها المميزة وهي سلسلة جبال السروات، والهضبة الشرقية،

وتهامة عسير والتي يرتفع بعضها عن سطح البحر بمسافات عالية، كما أوضح أن منطقة عسير من أغنى مناطق المملكة بالأمطار والزراعة، وبالمنطقة آثار كثيرة حيث ارتبط اسمها بحضارات ما قبل الإسلام، كما ارتبط بعد ذلك بالحضارة الإسلامية منذ زمن قديم، وتوجد في مختلف أنحاء عسير آثار كبيرة تتمثل في النقوش والرسوم المحفورة على الصخور، وعلى جدران الكهوف وفي بقايا بعض المدن. كما اعتبر أن منطقة عسير من المناطق السياحية المهمة في المملكة لما لها من جو معتدل وكثافة الغطاء النباتي، والمراكز السياحية العديدة، والمتنزهات الطبيعية الخلابة، والمهرجانات الصيفية والثقافية والرياضية التي تعتبر عوامل جذب للسياحة الداخلية والخارجية .. وانتهت المقابلة متمنيا لنا رحلة سعيدة، واستدعى مدير العلاقات العامة، بالمديرية ليصحبنا في رحلة ميدانية بالمنطقة، وتقديم واجب الضيافة وتجول بنا مدير العلاقات العامة في المناطق الأثرية، ومركز الزوار ومنتزة عسير الوطني وهو أول منتزة وطني بالمملكة، ويمثل أول منطقة محمية للنباتات، والحيوانات البرية على نطاق المملكة، ويعتبر المكان الوحيد للعديد من النباتات

التي لا تنمو إلا في هذا الجزء من عسير، هذا فضلا عن وجود كمٍ كبير من أنواع الطيور الجارحة ..

وفي النهاية دعانا مدير العلاقات العامة لتناول الغذاء في مركز الزوار الذي يقع على بعد كيلو مترين من وسط مدينة أبها، ومن قمته استمتعنا بالمناظر الطبيعية الخلابة لمنحدرات تهامة، والقلاع الأثرية على قمم الجبال الشامخة، ونزلنا بعد ذلك بيسر وسهولة عبر كتل صخرية ذات ألوان، وأشكال بديعة، تحضنها شجيرات، ونباتات عطرية، بما يمكن الزائر من الاستمتاع بسحر الطبيعة.. وأخيرا شكرنا مرافقنا واتجهنا إلى الطريق المؤدى إلى مجمع المجاردة فوصلناه في الفترة المسائية، ووجدنا المجمع مغلقا فطلبنا من الحارس أن يبلغ رئيس المجمع فأفادنا بأنه لم يحضر اليوم وأنه سيبلغ أحد الموظفين السعوديين بالمجمع بحضورنا، وحضر هذا الموظف وفتح لنا استراحة ملحقة بالمجمع قضينا فيها ليلتنا مع الموظف المذكور، وفي اليوم التالي حضر رئيس المجمع مبكرا بعد إبلاغه بحضورنا، وبعد إفهامه بمهمتنا وأهدافها مارست دوري في العمل المستهدف، وانتهت زيارتنا بعد

إجراء عملية التقييم التي تبين من نتائجها تدني مستوى الأداء في المجمع مقارنة بسابقيه.

تابعنا الخطى بعد ذلك إلى منطقة جازان مرورا بالطريق الرئيسي (أبها – الطائف) والذي امتد نحو نجران في الجنوب الشرقي ونحو جازان وتهامة، ويشكل هذا الطريق الذي كان مسفلتا العمود الفقري الذي ساهم في تغيير بيئة المناطق والقرى على امتداده وقيل لنا أنه قبل زيارتنا بحوالي عامين تم الانتهاء من أعمال شق الطريق الرئيسي مكة المكرمة – جازان مارا بسفوح وتلال تهامة.

ومما لا شك فيه أن هذين الطريقين الرئيسيين قد ساهما في إنهاء عزلة هذه المنطقة الجبلية المحصورة بينهما، وكثفا من تقديم الخدمات اللازمة للقرى في هذه المنطقة النائية وهو ما تحقق فيما بعد كما تبين لي في زيارات لاحقة..

وبدأنا بزيارة لبلدية منطقة جازان قبل التوجه إلى المجمعات القروية بهذه المنطقة فتقابلنا مع رئيس بلدية المنطقة المهندس محمد الشنقيطي، الذي أسهب في شرح

ما تم من إنجازات تتعلق بهذه الطرق، حيث أوضح لنا أن الخطوة التالية قيد الإنجاز حاليا وهي وصل الطريقين الرئيسيين فيما بينهما بواسطة عدد من الطرقات المستعرضة التي تجتاز الحواجز الصخرية الصعبة التي تفصل فيما بينهما، ولقد تم حتى الآن إنجاز العديد من هذه الطرقات، كما أن هناك العديد من الطرقات ما زالت قيد الدراسة والتصميم، وفي نفس الوقت هناك العديد من الطرقات الترابية التي تتفرع منها فروع ثانوية تصل إلى مختلف الطرق الموجودة في المنطقة، وتقوم الجهات المعنية بمتابعة جهود الأهالي في هذا المجال، وشق طرق جديدة غالبا ما تكون محاذية للطريق القديم الذي سيضحى مهجورا فيما بعد.

إنها فعلا ملحمة في بدايتها.. اكتملت فيما بعد وأصبحت كل الطرق الرئيسية والفرعية بالمملكة بعامة مسفلتة، ويتصل بعضها ببعض في سهولة، ويسر، وانسياب قلما يوجد مثله في دولة أخرى من الدول العربية.

نعاود الحديث عن بدء زيارتنا لمدينة جازان بوابة جميع المجمعات القروية بالمنطقة التي سنقوم بزيارتها

وهي مجمعات، وادي جازان – أحد المسارحة، فرسان، الطوال. وما أوصانا به رئيس بلدية المنطقة هو ضرورة التعمق فيما تقدمه المجمعات القروية من خدمات، ومدى رضاء الأهالي عن هذه الخدمات، وطلبت منه أن يحدثنا عن جغرافية جازان وملامحها الرئيسية فذكر لنا حكايات طريفه سجلتها في مفكرتي ومنها ما يحكي من أن مدينة جازان كانت المدينة التي يسجن فيها نبي الله سليمان عليه السلام جنّه، وقد أمّر عليهم من أكابر الجن آنذاك وكان يدعى "زان" وعندما يصيحون (جا) (زان) أي قدم أو أتي فغلب عليها ذلك الاسم.

ومن أهم ملامح هذه المدينة أيضا كما قال الكثيرون من أهلها أشجارها حيث لا توجد أشجار على وجه البسيطة تحتفظ بفاكهتها على مدار العام كأشجارها، كما أن معظم شبابها – كما قال شيوخ وأبناء المدينة والقرى –لا يمكن أن يبلغ سن العشرين دون زواج.

ويطلق الأهالي على مدينتهم (المدينة المتكاملة) لوجود البحر، والجزر، والسهل، والجبل، والصحراء، والضباب، والبرد، والثلج..

أما عن موقع المدينة فهي تقع في أقصى الجنوب الغربي للمملكة، على ساحل البحر الأحمر، ومن هنا يعتبرها أهلها لؤلؤة الجنوب، وعروس الفل والكادي، والتاريخ العريق، وخاصة للأدب والثقافة..

مناخها متوسط الحرارة ونسبة الرطوبة بها عالية، وتمتاز مناطقها الجبلية بالاعتدال في الصيف، وشدة البرودة في الشتاء..

في نهاية زيارتنا لرئيس بلدية منطقة جازان أصر على دعوتنا على الغذاء باستراحة البلدية إلا أن زميل السفر الأستاذ أحمد الراجحي استأذن ليذهب إلى قريته "أحد المسارحة" القريبة من جازان، وعرفت منه فيما بعد أن سبب استئذانه هو ترتيب إقامتي في منزله أثناء زيارة مجمعات المنطقة التي قد تستغرق ما يقارب من أسبوعين. وبعد انتهاء الغذاء خلدت للراحة بعض الوقت في استراحة البلدية، إلى أن جاء زميلي واصطحبني إلى قريته وتوجهنا إلى منزله فوجدت أنه جهز لي إقامة في غرفة مجهزة بمكيف جديد، ومفروشات جديدة أيضا، ووفر أيضا مقرا آخر للسائق بنفس المنزل، وفور وصولنا كان في انتظارنا إخوانه وأقاربه وعلى رأسهم والده – يرحمه

الله – وكان عمره يتجاوز آنذاك ربما الثمانين عاما، كما عرفني بأقاربه وأصدقائه الذين واظبوا على زيارتنا في الفترة المسائية للتسامر، وكما يقولون حكي السواليف عن السعودية، ومصر وبخاصة (المساخيط) الموجودة بها ويعنون الآثار الفرعونية من التماثيل والمعالم وغيرها وتبادل الأحاديث الشيقة، وكنت محور الاهتمام بهذه الأحاديث باعتباري كما يقولون ضيفاً عزيزا عليهم.. كانت الإقامة في منزل صديقي كاملة من حيث المأكل والمشرب، وما يتصل بهما من أغراض، وبعد تناول إفطارنا الصباحي نتوجه إلى المجمع القروي المراد زيارته، والذي بدأ بزيارة مجمع وادي جيزان، وكالعادة شرحت أهداف مهمتنا، ووضع رئيس المجمع تحت تصرفي السجلات والأوراق الخاصة بالمجمع التي أطلعت عليها وسجلت فيها ملاحظاتي، كما أتاح لنا اللقاء مع بعض الأهالي وأولموا لنا غذاء في أول يوم للزيارة كالعادة.

استغرقت زيارتنا لهذا المجمع يومين وكنا نعود في نهاية كل يوم إلى أحد المسارحة بمنزل زميلي ..

والزيارة الثانية كانت للمجمع القروي بالطوال على حدود اليمن وهذا المجمع كان في طور التأسيس، ولم يستكمل جهازه الوظيفي بعد، وكانت فرصة للمشاركة مع رئيس المجمع في وضع الخطة المستقبلية لعمله، والقوى الوظيفية المطلوبة له ووضع الدروس المستفادة من الزيارات السابقة أمامه ليستفيد من معطياتها في عمله وإدارته لهذا المجمع.

وبعد ذلك حل موعد زيارة المجمع القروي بفرسان، وفرسان – كما سجلت في مفكرتي نقلاً عمّن التقيت بهم – هي أحد الجزر التابعة للمملكة، وتبعد حوالي (٤٠) كيلو متراً عن مدينة جازان، ويقول الأهالي أنه يتبعها حوالي (١٥٠) جزيرة أخرى.

ويقول الشيبة من الرجال (العواجيز) من أهالي فرسان أن جزيرتهم تأثرت بالحضارات التي كانت في جنوب جزيرة العرب، وبها آثار قيل أنها ترجع لمملكة حمير، وكانت بمثابة محطة التقاء، واستراحة للرحلات التجارية وبأن العثمانيين من المحتمل أن يكونوا قد أخضعوا هذه الجزيرة لهم إلى أن خرجوا منها، وتوالت بعد ذلك حقبات تاريخية عليها إلى أن قام الملك عبد

العزيز بضمها للدولة السعودية، وفي عهده استطاعت هذه الجزيرة أن تتعلم وتتمتع بكل الخيرات مثلها مثل أي بلد سعودي.

ومن خلال جولتنا في فرسان تبين لنا أن بها بعض الآثار، والقلاع، والمساجد الأثرية، ذات الطابع التاريخي لأوضاعها السابقة، كما أنها تحتوي على كثير من المناظر الطبيعية الخلابة.

وللوصول إلى هذه الجزيرة كانت الوسيلة هي قارب بخاري ياباني حديث نقلنا إلى الجزيرة في الذهاب والعودة.

التقينا برئيس المجمع القروي بها وبعد اطلاعنا على ما لديه من معلومات وأوراق وسجلات تبين أن مستوى الإنجاز في المجمع متدنٍ نسبياً.

وبانتهاء زيارة مجمع فرسان بقى لنا مجمع أحد المسارحة بالقرية التي أقيم بها عند زميلي. وتعتبر هذه القرية من أهم قرى جازان، وكان شبيبة القرية يحكون لي أثناء سوالفهم بأن أهلها اشتهروا بأنهم رجال حرب، وأنها اشتهرت بالزراعة، وبها العديد من الدوائر الحكومية، وقد

تكون مستكملة الخدمات، وبمعايشتي في القرية لحوالي أسبوعين تجولت بصحبة زميلي في أنحاء القرية، وشاهدت سوقها الأسبوعي وموعده يوم الأحد من كل أسبوع والذي كان يشتمل على مستلزمات كثيرة من الملابس والأجهزة المنزلية، والمفروشات، والفواكه، والخضروات، ومعظم المعروضات كانت أجنبية، كما كانت حركة البيع والشراء لا تهدأ، أيضا هيأ لي زميلي زيارة ودية لقرى صبيا وصامطة وأبي عريش المجاورة لأحد المسارحة، ومما شد انتباهي وجود الكثير من بيوت الشَعر في قرى منطقة جازان بما يفوق عن أماكن أخرى زرتها.

قبل زيارة المجمع القروي بأحد المسارحة، أعطاني زميلي رفيق السفر خلفية عن هذا المجمع، ورئيسه، وخدماته، استمعت إلى ذلك بحيادية تامة دون تعليق أو تأثير، انتظاراً للواقع الميداني، وعندما توجهنا إلى المجمع تقابلنا مع رئيسه وقدمت له نفسي، وكان برفقتي زميلي، وأوضحت له أهداف الزيارة، وبدأت بالاطلاع على أوضاع المجمع الراهنة، وإنجازاته ومناقشته في كل شيء دون تأثير أو حساسية، وتعاملت

بكل موضوعية في عملية التقييم، غير متأثر بما سمعته أو شاهدته، وللحقيقة تبين لي أن المجمع قام بإنجازات لا بأس بها، كما أن أوضاعه التنظيمية والهيكلية قد تفوق بعض المجمعات الأخرى، وأن جميع الموظفين تقريباً يلتزمون حرفياً بتوجيهاته، وانتهيت من مهمتي شاكراً له حسن الضيافة وودعني بكل ود وثناء على مسلكي وحيدتي معه أثناء الزيارة.

وهنا انتهت الجولة وبدأنا رحلة العودة إلى الرياض التي وصلناها في أواخر شهر شعبان ١٤٠٢هـ وبعد وصولنا بأيام وتحديداً كما جاء – في مفكرتي – يوم ٢١ شعبان –قطع التليفزيون السعودي برامجه وأعلن وفاة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز ومبايعة ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز ملكاً على البلاد، وتعطلت المصالح الحكومية وأغلقت المؤسسات، والمحلات التجارية أبوابها لمدة أيام، وبعدها بحوالي ثلاثة أسابيع تقريباً أصدر الملك فهد – رحمه الله – مرسوماً ملكياً بصرف راتب شهر منحة ملكية لجميع موظفي الحكومة السعوديين والأجانب بمناسبة مبايعته ملكاً على البلاد.

عند وصولي الرياض قابلت وكيل الوزارة والمدير العام للشؤون القروية ومدير الإدارة وأوضحت لهم بإيجاز محصلة الزيارة، وما واكبها من رؤى وقضايا، وعرضت على الوكيل تقارير التقييم التي أعددتها عن كل مجمع قروي قمت بزيارته.

في هذا السياق أود أن أوضح مفهوم وشكل تقارير التقييم التي قمت بإعدادها هي من نوع التقييم الإجرائي للمشروعات ومن ثم حرصت على أن تكون مقننة قدر الإمكان ووفق نموذج استلهمت محاوره من خبراتي السابقة، وكذلك من حصيلة استكشافي الأوّلي الوثائقي الذي عكفت على استطلاعه بوكالة الوزارة للشؤون القروية قبل سفري، وعرضت إطار نموذج التقييم على مدير الإدارة ومدير عام الشؤون القروية ووكيل الوزارة وكانت لهم بعض الرؤى الإيجابية عدلت بعض عناصر التقرير بموجبها، وتكونت لدي في ضوء ذلك حصيلة ثرية عن أوضاع هذه المجمعات، والقضايا المتصلة بها، ومن ثم أعددت نموذجاً يمكن أن يعكس رؤية ميدانية موضوعية وذات مصداقية عن هذه المجمعات، وكان المحور الأساسي للتقييم يتركز – كما جاء في النموذج –

حول تقدير مدى ما حققه المجمع القروي من نتائج من حيث الفعالية، والمدخلات، والمخرجات، والآثار، والتأثيرات وذلك من خلال عناصر فرعية من أهمها : عدد القرى التي يخدمها المجمع، والمسافة بين أقرب قرية ومقر المجمع، ونوعية الخدمات التي قدمها المجمع في إطار مهامه، ومدى وجود خطة عمل لدى المجمع، وبنود الميزانية ونسبة الصرف منها، وما تم صرفه من بنود الميزانية للقرية مقر المجمع مقارناً بما صرف للقرى التابعة له، والجهاز الوظيفي ومدى كفايته فنياً وإدارياً وتأهيليا، ومدى تحقيق المهام المستهدفة من المجمع كما هو محدد في النظام، والمشروعات المستقبلية التي تقتضي تدخلات الوكالة لتحقيقها، والدروس المستخلصة من المرحلة السابقة وتوظيفها من أجل التخطيط المستقبلي، والجهات الحكومية، والأهلية التي تعاونت مع المجمع، سواء عن طريق عقد الاجتماعات، أو المشاركة، والصعوبات والمشكلات التي تواجه المجمع سواء كانت تنسيقية أو تدعيمية أو تنظيمية أو تخطيطية.

بعد عرض ملف التقييم كما أشرت، أفاد وكيل الوزارة بأنه والمدير العام ومدير الإدارة سيتولون

دراسته، ومن ثم اتخاذ ما يلزم نحو ما اشتملت عليه هذه التقارير..، وبعد ذلك ذهبت في صحبة مدير الإدارة إلى مكتب خصص لي بمفردي في إحدى الغرف المجاورة له، وذلك بصفة مؤقتة إلى حين الانتقال للمبنى الجديد الخاص بالوكالة الذي أوشك على الانتهاء.

أتيح لي التلاقي أكثر مع زملائي بالإدارة، من السعوديين والمصريين، رحبوا بي جميعاً وعرضوا خدماتهم على بحكم حداثة وجودي في المملكة وعلى رأسهم كما سبق أن ذكرت المستشار القانوني الأستاذ محمد منير جويفل والذي يعتبر حجة قانونية في عمله ويلقى كل تقدير واحترام من جميع السعوديين وهو حالياً نائب رئيس مجلس الدولة في مصر ويداوم الأستاذ منصور العساف مدير عام الإدارة التي كان يعمل بها على زيارته عند حضوره إلى القاهرة وقد شاركته في بعض هذه الزيارات.. والأستاذ منصور من السعوديين الأفاضل حاتمي الكرم .. خلوق .. ودود .. محدث لبق .. يعد من المرجعيات التاريخية الذي يعرف الكثير عن تراث المملكة وأصالتها وعبق تاريخها بين الأصالة والمعاصرة.

في سياق لقائي مع الزملاء حرصت على أن ينال كل منهم الاحترام الواجب. وبدأت عجلة العمل المستهدف تدور .

ثلاثية التنمية ..

أخبرني مدير الإدارة بأنه سيتم عقد اجتماع مشترك مع وكيل الوزارة والمدير العام، وذلك في صباح اليوم التالي لمناقشة ما ورد في تقارير التقييم ..

في هذا الاجتماع بدأ المدير العام بقوله أنه اطلع على التقارير كافة، وتبادلها مع مدير الإدارة واستمتع بما جاء فيها، وقدم ملخصا عنها لوكيل الوزارة، وأثنيا على جهودي التي قمت بها معتبرين أن ما قمت به من عمل يعتبر أرضية يعتمد عليها كثيرا في الخطة المستقبلية، ثم سألوني وماذا بعد .. فقلت لهم أن البعد هو ما سبق أن وضعتم أنتم فكرته، ويتمثل في مشروع لائحة تنمية وتطوير القرى، وأهمية سرعة إصدارها من المقام السامي (رئيس الوزراء). فما ورد في هذه اللائحة يؤدي إلى المساهمة في تحقيق التنمية الريفية المتكاملة من خلال ما ورد فيها من قنوات ومسارات تتمثل في لجان عامة، وأخرى محلية لتنمية وتطوير القرى، وتحديد أدوار الجهات المعنية بما يحقق المفهوم الكامل للتنمية الريفية.

خاصة أن اللائحة أسندت لوزارة الشؤون البلدية والقروية ممثلة في وكالة الوزارة للشؤون القروية مسؤولية وضع الخطط والبرامج، واقتراح السياسة العامة للتنمية الريفية للقرى من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية بالتنسيق والتعاون مع الوزارات والجهات المعنية ومتابعة تنفيذ تلك السياسة .. وأن المجمعات القروية تمثل الأجهزة الإدارية المحلية التي تباشر تنفيذ هذه السياسة كما جاء في مشروعها..

واسترسلت في حديثي مضيفا بأن الجانب الثاني من الخطة التي استهدفها قد جاء في نفس مشروع اللائحة وهو قيام الوزارة (الوكالة) بإجراء مسح شامل لقرى المملكة، وتصنيفها في مجموعات تضم كل منها عدة قرى بما يسهل انسياب برامج التنمية إليها، حيث أن إجراء هذا المسح يوفر قاعدة من المعلومات الكاملة عن قرى وهجر المملكة، تكون بياناتها في متناول كافة الجهات المعنية بالتنمية الريفية، وعلى أساسها يمكن وضع برامج هذه التنمية على أسس سليمة من البيانات الكاملة، كما أن قاعدة المعلومات هذه تعتبر إحدى العمد الأساسية في

عمليات التنسيق المتوخاة مع الوزارات والجهات ذات العلاقة.

استأنفت بعد ذلك الحديث عن جانب ثالث رصدت أبعاده أثناء استكشافي الأولي لعمل الوكالة، حيث وجدت ملفا كاملا يحتوي على بعض الأوراق والمسودات الخاصة بمقترحات سابقة للتعاون بين وكالة الوزارة للشؤون القروية وبين إدارة التعاون الفني للأمم المتحدة للتنمية من خلال مشروع للتنمية الريفية المتكاملة، وأن الأمر يتطلب تفعيل هذا التعاون المستهدف .. وأنهيت كلامي قائلا بأن ما أشرت إليه من رؤى يمثل ثلاثية يمكن أن تحقق تنمية ريفية متكاملة ومنسقة توفر مناخا تنمويا ملائما، وأن ذلك قد يتطلب إيجاد الهياكل الإدارية المناسبة لذلك، ومشاركة أهلية توجه هذه التنمية لصالح أبناء القرى، وأن ذلك يتأتى عن طريق عمل فريقي يأتي في مقدمته الكوادر السعودية بمشاركة خبراء دوليين بموجب اتفاقية دولية تحدد الأبعاد، والأهداف، والبرامج، والسياسات، والآليات اللازمة لتنمية وتطوير القرى كما جاء في توجهات لائحة تنمية وتطوير القرى ..

وما إن أكملت حديثي حتى بادرني وكيل الوزارة بأن ما ذكرته هو ما دار بخلده بعد عرض ما جاء في تقارير التقييم، وأنه لدى الوكالة تصورات وتوجهات كاملة حول الموضوع، وفق ما هو متوفر لديها من دراسات وتقارير، وأنهم بصدد تفعليها موجها الحديث لي: وعليك مع المدير العام ومدير الإدارة تفعيل ما أشير إليه من ثلاثية في هذا الإطار. عكفنا نحن الثلاثة على العمل وفق هذه الخطة المقترحة والعرض أولا بأول على وكيل الوزارة الذي كانت له مقترحات ورؤى موضوعية وبعد دراسة كافية متضمنة لجوانب هذه الثلاثية، استقر الرأي على دعوة متخصص مسؤول من البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة بالرياض لمناقشته في أساليب التعاون الممكنة مع الأمم المتحدة، فاتصل المدير العام بالممثل المقيم للبرنامج في ذلك الوقت الأستاذ عدنان الصغير وهو لبناني فلسطيني الأصل وجدد معه فكرة التعاون مع الأمم المتحدة والتي سبق مناقشتها معه في لقاءات سابقة، وطلب منه إيفاد خبير دولي متخصص للمشاركة في وضع مسودة اتفاقية للتنمية الريفية المتكاملة.

في اليوم التالي حضر للوكالة (د.شاه) وهو باكستاني الجنسية، واشتركنا معا في حوار طويل حول الجوانب المستهدفة من الاتفاقية، وطلبنا مساعدته في وضع مسودة الاتفاقية المقترحة، وعرضها على الوكالة سريعا، شاملة لأهداف الاتفاقية، ونوعية الخبراء الدوليين اللازمين ومهامهم، ومدة الاتفاقية وتكلفة المشروع وحصة الحكومة السعودية من هذه التكلفة ..

بعد أسبوع حضر د.شاه ثانية مع فريق عمل من البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة ومعهم مسودة للمشروع قرأها علينا وطلب منه المدير العام إعطاء فرصة لدراستها .. وأعطيت لي لإجراء هذه الدراسة فاقترحت بعض التعديلات في الأهداف والمهام ونوعية تخصصات الخبراء، وعددهم ، وأساليب التقييم والتقارير الفترية، وبعرض نتائج الدراسة على المدير العام أجرى هو الآخر بعض التعديلات، وعرض الأمر على وكيل الوزارة الذي أضاف بعض الرؤى، واتفق معنا فيما جاء في مسودة الوثيقة، وتوجهنا بها إلى مقر البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، وكان بحي العليا وسلمت المسودة للدكتور شاه وأن المطلوب حاليا هو صياغتها كوثيقة رسمية يمكن

توقيعها بصفة مبدئية من الممثل المقيم، ليمكن في ضوء ذلك استكمال ما يلزم نحو توقيع الوكالة عليها، بعد موافقة معالي وزير الشؤون البلدية والقروية ..

حضر بعد ذلك أحد كبار مسئولي إدارة التعاون الفني للأمم المتحدة بنيويورك وهو د.محمد أحمد وهو عراقي الأصل أمريكي الجنسية ومعه الممثل المقيم للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة بالرياض، وكذلك د. شاه، حيث تقابلوا مع المدير العام ثم وكيل الوزارة وكنت حاضرا في هذه المقابلات التي تبين منها الحرص الكامل من جميع الأطراف على اعتمادها.

بعد ذلك أخذت الوثيقة الدور الإجرائي في الاعتماد من كافة الأطراف .. وتحملت المملكة تكلفة المشروع بالكامل، وكان حوالي ستة عشر مليون ريال، على مدار سنوات أربع... واكب ذلك صدور لائحة تنمية وتطوير القرى بموجب قرار من مجلس الوزراء في أول المحرم عام ١٤٠٣هـ ... وأوكل إلي إعداد المسودة الأولية للوائح الداخلية للجان العامة والمحلية كما تقتضي اللائحة...

في خلال تلك الفترة انتقلنا إلى المبنى الفخم الجديد لمقر الوكالة، والمجاور للوزارة في حي الناصرية، وكان مكونا من دورين كل دور ينقسم إلى جناحين كبيرين يتكون كل منهما من عدة غرف متقابلة يفصلهما ممر طويل ....

تحدد مكتبي في غرفة مستقلة متسعة تجاور مكتب المدير العام، ووكيل الوزارة بالدور الثاني وخصصت باقي غرف الجناح لمشروع التنمية الريفية المزمع تنفيذه.. أما إدارة البحوث والدراسات فقد خصص لها جزء من الجناح العلوي الثاني مع بعض الإدارات الأخرى ...

في هذه الآونة وردت موافقة الجهات المعنية على استقدام أسرتي من القاهرة، وإرسال التأشيرة للقنصلية السعودية بالقاهرة حيث علمت بذلك فور عودتي من زيارة المجمعات القروية. هاتفت زوجتي بكفر الشيخ وكان وضع التليفونات في مصر عموما في ذلك الوقت (١٩٨٢م) في أسوأ حالاته، وكان من الصعب الاتصال الدولي بالتليفونات المنزلية، وكان التليفون الدولي الوحيد في مكتب المحافظ، ولما كنت أعرف مدير مكتبه الأستاذ زكريا شريف وهو إنسان فاضل ومحترم، فقد سهل لي

عملية الاتصال فكنت أطلب تليفون المحافظة ثم يوصلني بتليفون منزلي عن طريق وضع سماعة تليفون المحافظة على تليفوني المنزلي، وقد أبلغت زوجتي بأن تتوجه للقنصلية السعودية في القاهرة للحصول على تأشيرة السفر، ثم حجز تذاكر السفر وتستعد للحضور مع الأنجال خلال إجازة عيد الفطر المبارك والتي تبلغ حوالي أحد عشر يوما، لأتمكن من ملازمتهم أكبر مدة ممكنة حتي يتكيفوا بأوضاع الرياض .. وكنت قد استكملت تأثيث الشقة وتعويض الأثاث المستهلك .. وحضرت الأسرة والأبناء ريهام، وبسام، ومحمد في ثاني أيام عيد الفطر المبارك واستقبلتهم في المطار القديم وقتذاك .. وكانت أول شكوى لهم هي حرارة الجو التي لا تطاق وهو نفس ما واجهته في بداية حضوري .. وطمأنتهم بأن المكيفات كفيلة بمعالجة هذه المشكلة ..

كانت الأولوية الأولى لديّ بعد حضورهم هو البحث عن المدارس القريبة من السكن لإلحاق الأبناء بها واستكمال الإجراءات لقبولهم حيث كانت الإبنة ريهام قد حصلت على الشهادة الابتدائية من مصر، أما بسام فقد انتهى من السنة الرابعة الابتدائية، ومحمد كان طفلا عمره

حوالي أربعة أشهر.. ووفقني الله إلي قبولهما بالمدارس الحكومية القريبة من سكني بسهولة ويسر، ودون عناء فكانت مدرسة بسام لا تبعد سوى خطوات من المسكن، أما ريهام فمدرستها هي الأخرى قريبة، وكان هناك أوتوبيس مدرسي مجاني مخصص لنقل الطالبات ذهابا وعودة يوميا أيا كان مكانهم وحمدت الله على هذا التوفيق...

انتهت إجازة عيد الفطر المبارك واستأنفنا العمل فعكفت على قراءة اللائحة، وتحليل بنودها، ومنها إجراء المسح الشامل للقرى والهجر فعرضت ذلك على مدير الإدارة والمدير العام وأعددنا مذكرة تفصيلية بالموضوع، أرسلت للوزارة لاتخاذ الإجراءات اللازمة لإجراء هذا المسح، وتدبير الميزانية اللازمة له ضمن ميزانية العام القادم حيث اعتمد لإجراء هذا المسح في الميزانية، (١٤ مليون ريال) وتقرر عرضه على المكاتب الاستشارية المتخصصة وتولت الإدارات المعنية في الوزارة بمعاونة المختصين الماليين في الوكالة إعداد بنود المنافسة التي سيتم طرحها على الشركات الاستشارية المتخصصة حيث رست على شركة فرنسية بالتعاون مع شركة وطنية،

وتحدد لإنجاز عملية المسح (٢٤) شهرا بدأت في نهاية عام ١٩٨٢م.

شكل وكيل الوزارة لجنة للإشراف على هذا المسح كنت أحد أعضائها وتضم مدير التنسيق الإقليمي في الوكالة واثنين من المهندسين أحدهما سعودي والآخر مصري وباحث إحصائي وآخر جغرافي من إدارة الدراسات والبحوث.

عقدت هذه اللجنة اجتماعات إشرافية متواصلة بحضور الاستشاري لدراسة ما قدمه من تقارير تقدم عمل أو تقارير رئيسية أخرى ... كان أسلوب العمل في هذه اللجنة وما يجري فيها من مناقشات يجري في إطار فريقي وفي ضوء مفاهيم منهجية المسح الاقتصادي والاجتماعي الشامل إلى أن انتهى المسح وقدم الاستشاري أربعة تقارير رئيسية كما ينص عقد الدراسة تغطى نتيجة مراجعته للدراسات السابقة، والأوضاع الراهنة من واقع المسوح الميدانية، والوضع المستقبلي، ومقترحاته، ثم التقرير الختامي عن الاستراتيجية المقترحة للتنمية الريفية.

من الأرقام التي سجلتها في مفكرتي أسفر المسح على نتائج عدة منها أن عدد القرى والسكان في جميع مناطق المملكة الأربعة عشر في ذلك الوقت يزيد عن عشرة آلاف قرية وهجرة، وأن تعداد السكان الريفيين حوالي مليونين ونصف، وأن متوسط عدد السكان في القرية الواحدة أو الهجرة حوالي (٤٠ نسمة فقط) كما جاءت في التقارير المعلنة عام ١٤٠٤هـ.

وتواصلا مع خطة عملي فقد عكفت خلال ذلك أيضا على إنهاء مسودة اللوائح الداخلية المقترحة للجان العامة والمحلية لتنمية وتطوير القرى، بمشاركة بعض الأخصائيين السعوديين وعرضتها على مدير الإدارة الذي عرضها على المدير العام، الذي عرضها بدوره على وكيل الوزارة، واستقر الرأي على تشكيل لجنة من الوزارة، والوكالة لمناقشتها حضرت جميع اجتماعاتها إلى أن انتهت الصياغة النهائية لمشروع اللائحة عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) وأصبحت في انتظار الاعتماد من معالي الوزير، وكان وقتذاك معالي الشيخ إبراهيم العنقري وأحيل إليّ ملف الموضوع لحين طلبه للحصول على اعتماد الوزير عندما ينتهي مؤتمر رؤساء البلديات

والمجمعات القروية المنعقد في مدينة الدمام آنذاك برئاسة معاليه في شهر جمادى الثانية ١٤٠٤هـ وأثناء انعقاد هذا المؤتمر هاتفني مدير عام الشؤون القروية من الدمام طالبا سرعة إرسال ملف اللوائح الداخلية إليه مع مخصوص إلى الدمام في نفس اليوم، حسب طلب معالي الوزير لاعتمادها ونسقت في ذلك مع مدير مكتب سعادة الوكيل، الذي أوفد أحد الموظفين في نفس اليوم ومعه مشروع اللوائح حيث اعتمدها معاليه في نفس يوم انعقاد المؤتمر.

وبإكمال هاتين المرحلتين من الثلاثية تتبقى لنا المرحلة الأخيرة منها وهي وثيقة مشروع التنمية الريفية المتكاملة، حيث اعتمدت له التكلفة اللازمة في ميزانية عام ١٤٠٥هـ وتطلب منا ذلك التحديد الدقيق لتخصصات خبراء المشروع، وما يتصل بهم من وصف وتوصيف، وزودنا الممثل المقيم للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة بذلك، لتقوم الجهات المختصة في إدارة التعاون الدولي للأمم المتحدة بنيويورك لإعلانه على الدول كافة كالمتبع في تلك المشاريع، ووردت إلى الوكالة مجموعة كبيرة من الترشيحات من مختلف دول العالم عكف عليها مدير عام الشؤون القروية ومدير الإدارة بمعاونتي في اختيار

العناصر المناسبة من الخبراء وانتهينا بترشيح مجموعة من عشرة خبراء في تخصصات مختلفة كأولوية أولى، وعشرة آخرين كأولوية ثانية ...، ووافقت الأمم المتحدة على هذه الترشيحات ذات الأولوية الأولى، والتي كانت تضم رئيس الخبراء وهو مصري وله باع طويل في أعمال التنمية الريفية هو المرحوم الدكتور علي فؤاد أحمد الذي يعتبر موسوعة في التنمية الريفية، وكذلك خبراء في مجالات التخطيط الريفي، والتقويم، وتنمية المجتمع، والمؤسسات الريفية، والمجال الاقتصادي الاجتماعي السكاني، والوسائل السمعية والبصرية، والإرشاد الريفي، والإحصاء والمعلومات، وإدارة المؤسسات الريفية، والمجال الاقتصادي الزراعي، وأيضا مساعدي خبراء في بعض هذه المجالات وكان الجميع من جنسيات مختلفة أغلبهم مصريين والآخرين من جنسيات أمريكية وباكستانية ومغربية ولبنانية وفنلندية وسورية وسودانية ..

بدأ المشروع في صيف عام ١٤٠٥هـ واستهل الخبراء عملهم بوضع مشروع خطة عمل كل منهم والتي تركزت حول المشاركة في تدعيم اللجان العامة والمحلية لتنمية وتطوير القرى، كي تتولى مسؤولياتها بكفاءة

وفعاليـة، والقيـام بزيـارات ميدانيـة وتعريفيـة لهـا، ودعـم قدرات وكالـة الـوزارة للشؤون القرويـة للقيام بمسئولياتها المباشـرة والتنسيقية، ومعاونتهـا في تهيئـة المنـاخ الملائـم، وإيجاد قنوات اتصال مشتركة لتحقيق التعاون الوثيق مع الوزارات والجهات المعنية بالتنمية الريفية، وإيجاد كـوادر وطنيـة مـن النظـراء الـسعوديين، وتـدريبهم ليحلـوا محـل الخبراء بعد انتهاء المشروع، وإكسابهم المهارات اللازمـة لـذلك .. والقيـام بـبعض الدراسـات والبحـوث ذات العلاقـة بالمشروع.

فـي هـذا الإطـار واصـل المـشروع عملـه، وكانـت المحصلة في نهاية السنة الأولـى ذات دفعـة قويـة وإن كـان أغلبها أنصّب علـى دراسـات نظريـة، دون احتكـاك بالعمـل الميداني حيث أن بعض الخبراء كـانوا يفتقرون إلـى هـذه المهنية الميدانية ومنهجيتها على أرض الواقع.

لنترك قليلا دوامـة العمل ونعود إلـى قدوم أسـرتي من القاهرة في بداية إجازة عيد الفطر المبارك كما أسلفنا، فـانتهزت فرصـة هـذه الإجـازة لاصـطحاب الأسـرة إلـى بعض المتنزهـات والمراكـز التجاريـة المختلفـة القائمـة فـي أحيائهـا القديمـة المجـاورة إلـى مـسكني، حيث أن الريـاض

وقتذاك لم تكن بهذا التوسع أو التطور كما هي في صورتها الحالية التي أضافت لها شهرة واسعة بين عواصم العالم، وقد عاصرنا مراحل هذا التوسع منذ بداياته حيث كان التطوير الجاري يتم في اتجاه الشرق والشمال، وفق مخطط تنموي يهدف إلى التوسع الطولي باتجاه الشمال والشمال الغربي، وإيجاد طرق متطورة للمواصلات، تربط بين الرياض والمدن الرئيسية، كما كان يهدف هذا المخطط التنموي إضافة الكثير من المشروعات العملاقة مما يتناسب والتحديات المستقبلية.

قضينا يوما في حديقة الفوطة وكانت في ذلك الوقت من أشهر حدائق الرياض في أحيائها القديمة، وتمتع الأبناء بركن الألعاب القائم في الحديقة، وتناولنا طعام الغداء من المشويات التي يشتهر بها شارع الخزان الذي تقع فيه هذه الحديقة، وفي يوم آخر تجولنا في سوق الذهب بالبطحاء وما يحيط به من محلات تجارية، معظم من يعمل بها من اليمنيين وبخاصة الحضارمة منهم، ومررنا في حلة القصمان، ببيوتها التقليدية ومعظمها حينذاك كان من الطين.

وفـي الأيـام التاليـة اصـطحبت الأسـرة إلـى مركـز الـشعلة التجـاري فـي شـارع الـوزارات، وكـان مـن أشـهر وأكبـر المراكـز التجاريـة فـي ذلـك الوقـت، هـو وأسـواق العقاريــة القديمــة .. ولــم تكــن قــد أنــشئت بعــد المراكــز التجاريـــة العملاقـــة مـــن نـاطحـــات الـــسحاب كالفيـــصلية والمملكة ..

حدث أثناء تجوالنا بمركز الشعلة بعد عصر أحد الأيــام أن شـــاهدنا أحـــد المطـــوعين مـــن رجـــال الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر، – وهذه أول مرة أشاهدهم عن قرب – يمسك بفتاة كاشفة الوجه والشعر، وقد تكون سورية أو لبنانية، وضربها على صدرها بعصا خيزران، وقال لها عيب يا حرمة غطي وجهك وشعرك وأمسكها من شعرها، فصرخت الفتاة وتجمع رواد المركز، وفجأة وجدت أحد الشخصيات التي يبدو أنها مهمة وذات سلطان من إدارة المركز يمسك بهذا المطوع ويؤنبه وكاد يضربه قائلا له، ما هكذا تكون رسالة رجال الأمر بالمعروف والنهــي عــن المنكــر مــع ضــيوف المملكــة، وصــفق الحاضرون لهذا المشهد وطيب هذا الشخص المهيب خاطر الفتاة معتذرا لها ..

المهم تواصلت جولاتنا على مدار أيام الإجازة ووقت الفراغ في أحياء الرياض القديمة للتعرف على مزيد من معالم الرياض فقضينا وقتا في حديقة عليشة وغيرها من الحدائق التي تزخر بها الرياض في أحيائها القديمة والجديدة وأعجبنا بمستوى النظافة، والأبسطة الخضراء، والزهور المنتشرة بهذه الحدائق، وما بها من وسائل ترفيه للأطفال، وما يتوفر بها من أمن وأمان واحترام، حتى أن هناك حدائق مخصصة للعوائل فقط وغير مسموح للعزاب بدخولها، كما أن دخول جميع الحدائق بالمجان، بل إن بعضها به نخيل مثمر كنا نأكل منه في فصل الصيف ..

أما عن الحديقة الملاصقة لقصر الضيافة في حي الناصرية فحدث ولا حرج فهي بستان شامل للنباتات المختلفة التي تغطي أرضه، وتصنع منها لوحة جمالية قل أن تشهد مثلها في الكثير من عواصم العالم، بالإضافة إلى غابة كثيفة من النخيل المثمر لتمور من جميع الأنواع، ويعمل بها مجموعات كبيرة من المهندسين الزراعيين وعمال البستنة وغيرهم في مختلف المجالات الزراعية وكلهم من الأجانب معظمهم من المصريين.

لا يتسع المقام هنا للحديث عن الأحياء القديمة في مدينة الرياض وقتذاك والتي يفضل الأجانب السكنى فيها لرخص الإيجارات، وكذلك أسعار جميع المستلزمات ومن هذه الأحياء: أم الحمام، أم سليم، البديعة، ثلم، الحلة، دخنة، شارع الوزير، الظهيرة، السويلم، الشميسي القديم والجديد، المربع، الملز، والمرقب، ولفت نظري وجود مدرسة بهذا الحي كتب عليها المدرسة التذكارية وأنشأتها الحكومة المصرية بمناسبة زيارة الملك عبد العزيز إلى مصر ..

بدأ العام الدراسي وواصل الأبناء دراستهم، وكان عدد الطلبة أو الطالبات في الفصول لا يزيد عن (٣٠) طالبا أو طالبة، والمدرسون والمدرسات معظمهم من الأجانب وخاصة المصريين، وسعد الأبناء بما شاهدوه من انضباط مدرسي، وجدية في التعليم، والنظام والمستوى المتميز للمدرسين، والمدرسات، وكانوا أكثر سعادة بالمناهج الدينية ضمن مقررات الدراسة المعمول بها في المملكة .. وفي موسم حج هذا العام وفقني الله في أن أؤدي فريضة الحج مع زوجتي ووالدتي - رحمها الله - التي حضرت ضمن أفواج الحج من مصر، وكانت هذه أول حجة لي فتمتعنا بها كثيرا .. وأضاف لنا وجود الوالدة – رحمها الله بهجة وسرورا اكتملت بها روحانيات مناسك الحج .. والإقامة بجوار بيت الله الحرام والصلاة في رحابه أمام الكعبة المشرفة..

وعودة إلى دوامة العمل إذ فاجأني، مدير عام الشؤون القروية بقوله أن الوزارة بصدد إعداد مشروع

خطـة التنميـة الرابعـة للـوزارة (١٤٠٥ ـ ١٤١٠هـ)، وطلب منه وكيل الوزارة للتخطيط والبرامج الدكتور خالد العنقري (حاليا وزير التعليم العالي) ترشيح بعض الخبراء المتميزين في مجال التنمية من السعوديين، والأجانب لينضموا إلى فريق العمل حيث أنه قرر لأول مرة أن يتم وضع مشروع الخطة بمعرفة الوزارة، وبأيد وطنية .. بعد أن كانت هذه الخطة تسند إلى شركات استشارية أجنبية، وتكلف الدولة كثيرا، وكان هذا التوجه من وكيل الوزارة للتخطيط والتطوير مبادرة غير مسبوقة في مجال إعداد هذه الخطط ..

كنت أحد من رشحهم المدير العام للعمل في مشروع الخطة، وأن عملي في هذا المشروع سيكون في الفترة المسائية، وأيام الخميس والجمعة من كل أسبوع، وأكد عليَّ بأنه ينبغي ألا يشغلني ذلك عن عملنا الأساسي، الذي نحن بصدده، فأمامنا مشروع التنمية الريفية المتكاملة، والمسح الاقتصادي الاجتماعي الشامل للقرى والهجر، وكذلك متابعة أعمال اللجان العامة والمحلية لتنمية وتطوير القرى، ووعدته بأنه لن يكون هناك خلط في الأوراق فلكل عمل وقته وبالكفاءة المستهدفة ..

عقد الدكتور خالد العنقري اجتماعا مطولا للمجموعة المختارة للعمل في الخطة، معظمهم من السعوديين العاملين في الوكالات المختلفة بالوزارة، إلى جانب القليل من الأجانب، وشرح لنا في هذا الاجتماع خطة العمل، مؤكدا على أن الوطنين أصبحوا في المحك وعليهم إثبات وجودهم في أداء هذا العمل لأول مرة بعد أن كانت تقوم به الشركات الأجنبية وبتكلفة عالية جدا، وأنه على الخبراء الأجانب في الوزارة تقديم كل عون ومساعدة بالخبرات اللازمة لأداء هذا العمل والتعاون معهم في إنجازه بالجودة المستهدفة، بما يمكن الوزارة بالاعتماد الكامل على أبنائها عند إعداد الخطط الخمسية التالية، واستغرق أداء العمل في مشروع الخطة حوالي شهرين، وكانت دماثة خلق الدكتور خالد العنقري وتواضعه وصفاء قلبه وحكمته وخبراته الثرية.. الدافع للجميع في إنجاز العمل كما كان مخططا له وبالجودة التي كان يسعى إليها، وبعد انتهاء العمل صرفت للجميع مكافأة "خارج دوام " حسب النظام وكانت جد مجزية .. ومنذ هذا التاريخ كانت الخطة الخمسية للوزارة تعد بأيد وطنية فقط ..

بمناسبة الحديث عن الخطة والمملكة العربية السعودية، أود القول بأن المملكة تتخذ منهج التخطيط أساسا في كل مشروعاتها، فتضع خططا خمسية للتنمية.. تعكس الاحتياجات والأولويات المستقبلية لعملية التنمية المتجددة، وفق توقيتات محددة، تلعب الوزارات والهيئات والأجهزة المختلفة الدور المحدد لها، نحو تنفيذ المشروعات المدرجة لها وفق مستهدفات الخطة التي تأخذ في الاعتبار المتغيرات المحلية والإقليمية والعالمية..

من هنا فإن خطط التنمية الوطنية الخمسية تتواصل دون انقطاع منذ وضع خطة التنمية الأولى في عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) وإذا ما ذكرت خطط التنمية.. ذكر اسم المهندس الأول الذي وضع الخطوط العريضة لها وهو معالي الأستاذ هشام ناظر الذي كان وزيرا للتخطيط.. وفي عهده وضعت الخطط الخمس الأولى للمملكة للأعوام من ١٩٧٠- ١٩٩٥م (١٣٩٠- ١٤١٥هـ) وعلى يديه تخرج جيل جديد من الكوادر السعودية أصبحوا روادا في وضع خطط التنمية وتم الاستغناء نهائيا عن الشركات الأجنبية وغيرها.

لقد أكدت خطط التنمية الخمس في عهده - وما زالت - على ضرورة تنويع الاقتصاد، وخلق بدائل إنتاجية إضافة إلى صناعات البترول، ودفع القطاع الخاص للعب دور أكبر في النمو الاقتصادي للمملكة، كما أكدت الخطط على تطوير القوى البشرية من خلال التدريب، والتعليم، وما يتصل بهما من بحوث ودراسات علمية وعملية .. وكان حجر الأساس في هذا المجال هو قيام مدينتين صناعيتين في كل من الجبيل وينبع... تحت إشراف هيئة ملكية رأسها المغفور له الملك فهد شخصيا، وبحكم أن الوزير هشام ناظر كان نائبا للرئيس ومديرا تنفيذيا لهما فقد نهض بأعباء بناء المشروع منذ بدايته.

إن الوزير هشام ناظر موسوعة اقتصادية عالمية كما يتحدثون عنه، فهو من مدرسة علمية لها منهجيتها، وأصولها، مما أدى إلى نجاحه وتميزه في كل موقع تقلده، سواء في وزارة التخطيط، أو وزارة البترول، أو كونه أول رئيس مجلس إدارة سعودي لشركة أرامكو، الذي قام بإكمال شرائها، ليحقق بذلك برنامجه الديناميكي لتكامل صناعة النفط، مع الصناعة العالمية في مجالات النقل، والتكرير، والتسويق، كما أنه عين إدارة جديدة للشركة

وهي التي تعتبر أكبر شركات البترول في العالم .. وله أدوار أخرى رائدة وعالمية في هذا المجال.. وبعد حياة حافلة بالعطاء محليا ودوليا أصبح معاليه سفيرا لخادم الحرمين الشريفين في مصر، وفي أكثر من محفل جمعني وبعض النخبة من المثقفين والمفكرين المصريين جاء ذكر معاليه بكل تقدير وأنه استهل عمله بالبحث عن رموز الثقافة في مصر التي يعرفها جيدا فهو من خريجي كلية فيكتوريا بالإسكندرية التي تخرج منها ملوك وأمراء، فعقد منتديات الحوار مع المثقفين والمفكرين المصريين، مستعرضا معهم هموم الثقافة العربية وفعّل الأمسيات السعودية في المناسبات، وخارج إطار المناسبات، مؤكدا لهم بأن السفارة ليست هي الممثلية التي ترعى مصالح مواطنيها المغتربين فحسب، ولكنها نافذة مشرعة تطل منها إشراقات الثقافة السعودية، وتدخل عبرها معطيات الثقافة المصرية، مما يكرس لثقافة عربية متجددة، وهناك صالون أدبي باسمه في القاهرة ويعقد أسبوعيا ويرتاده عمالقة الفكر، والثقافة والاقتصاد في مصر والسعودية والعالم العربي، وتدار من خلاله حوارات هادفة، كما أوضحت هذه النخبة أن العلاقات المصرية السعودية في

عهده شهدت مزيدا من القوة والتنسيق والمتانة مما يصب في مصلحة الدولتين بخاصة، والعربية بعامة. إنه أعطى للدبلوماسية طعما جديدا ونكهة مميزة بعيدا عن البروتوكولات الرسمية، والياقات المنشاة، والأسوار الفاصلة، فاستحق تقدير وتعظيم وامتنان كل مصري أو سعودي مقيم على أرض مصر الكنانة، من هنا أطلق عليه الكثير من المصريين بأنه "الدبلوماسي الذكي، والإنسان المثقف"، الذي يؤمن بالحراك مع المجتمع المصري بما يزيد جسور التواصل والثقة فهو بحق نموذج للإدارة الدبلوماسية المبنية على الوضوح وسعة الاطلاع، والثقافة فما أجمل أن تجتمع الإدارة والدبلوماسية فيتجسد فيهما روح التضحية والعطاء ..

مرة أخرى نعاود تقليب صفحات مفكرتي واستقرأ منها أن وزارة الشؤون البلدية والقروية كانت بصدد إعداد المؤتمر الثاني لرؤساء البلديات والمجمعات القروية، وأنه صدر قرار من معالي الوزير بتشكيل لجنة تحضيرية للإعداد لهذا المؤتمر، الذي سيعقد في المدينة المنورة في الأسبوع الأخير من شهر جمادى الثانية ١٤٠٦هـ، وكانت هذه اللجنة برئاسة الدكتور صالح المالك وكيل الوزارة

للشؤون البلدية - يرحمه الله - الذي طلب من وكيل الوزارة للشؤون القروية ترشيح أحد الخبراء من ذوي الكفاءة بالوكالة، للمعاونة في أعمال اللجنة التحضيرية في الفترة المسائية لحين انعقاد المؤتمر، وكان ذلك قبل انعقاده بحوالي شهر ونصف، ورشحت لذلك، وكنت أزاول العمل من خلال مكتب الدكتور صالح، مع مجموعة تضم مدير مكتبة الأستاذ عبد الله الفايز الذي أصبح وكيل إمارة منطقة مكة المكرمة فيما بعد والأستاذ محمد الحمود مدير إدارة العلاقات العامة آنذاك ..

بدأنا في التحضير لعقد المؤتمر واختيار موضوعه وهو "توثيق العلاقة بين البلديات والأجهزة الحكومية الأخرى" وحددنا الموضوعات التي ستطرح في الاجتماع، وأسماء من سيتولون إعدادها، وأهم المحاور التي ستدور حولها، كما وُجهت الدعوة للمشاركين في المؤتمر، وهم رؤساء البلديات والمجمعات القروية، بالإضافة إلى المسؤولين في الوزارة والمختصين في الوزارات والجهات ذات العلاقة.

شكلت لجان فرعية للمؤتمر واخترت عضوا في لجنة الصياغة والتوصيات بناء على ترشيح الدكتور

صالح المالك وصدر قرار وزير الشؤون البلدية والقروية رقم ٦/٦٤ بتاريخ وعضوية ١٤٠٦/١/١٤ بتشكيل اللجنة برئاسة وكيل الوزارة للشؤون البلدية الدكتور صالح المالك وعضوية :

الأستاذ إبراهيم البليهي

مدير عام الشؤون البلدية والقروية بمنطقة القصيم

الأستاذ محمد بن عمر بن عقيل

مدير عام الإدارة القانونية

الأستاذ سامي الجبان

المستشار بالإدارة القانونية

الأستاذ أحمد عبده القاضي

خبير التنمية الريفية بالشؤون القروية

وتتولى هذه اللجنة :

- دراسة الوقائع التي ترد إليها من مقرري الجلسات.
- صياغة قرارات وتوصيات المؤتمر.

- طباعة التوصيات وتوزيعها على كافة الجهات المعنية.

تقرر سفر بعض المسؤولين في الوزارة، ومنهم الأستاذ حمود المسلم وشخصي إلى المدينة المنورة قبل بداية المؤتمر بعشرة أيام، للإعداد وتجهيز المقر، حيث سيعقد المؤتمر في فندق شيراتون المدينة وأن إقامة المشاركين فيه ستكون إقامة كاملة، وأعدت هذه المجموعة كل الترتيبات اللازمة ..

من الجدير بالذكر أنه قبل عقد المؤتمر بأسبوع عين المغفور له الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أميرا لمنطقة المدينة المنورة، وتسلم عمله قبل عقد المؤتمر بيوم واحد واختار لإقامته مع أسرته مؤقتا نفس فندق شيراتون المدينة، وتم تجهيز دور كامل من الفندق له مما اضطر اللجنة المشرفة على تدبير فندق آخر يستوعب باقي المشاركين إضافة إلى فندق شيراتون..

وبدأ المؤتمر في ١٤٠٦/٥/٢٤هـ (١٩٨٦/٢/٣م) وافتتحه المغفور له الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز- يرحمه الله - واستمر لمدة أربعة أيام، وكان هناك عمل

دائـم مـع لجنــة الـصياغة والتوصـيات حيـث كـان يـتم استخلاص التوصيات من محاضر المناقشات أولا بأول..

فـي غمـرة العمـل الـدؤوب وإعـداد الترتيبـات اللازمـة، لانعقـاد جلسات المؤتمر لـم أغفل زيـارة مـسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، وصحابته الأبرار، وكنت أصلي العشاء يوميا في المسجد النبوي الشريف مع بعض الزملاء، فكان ذلك بردا وسلاما وسكينة وإحساسا غامرا بهذه المتعة الروحية، كما شاهدنا ما يحدث من مشروعات وبنية حديثة، في المدينة المنورة، وتقابلنا مع الكثير من أبنائها الذين يتميزون بالطيبة، والكرم وحسن المعشر، وحـب زوار مـسجد المـصطفى عليـه الـصلاة والـسلام وحكـوا لنـا كثيـرا عـن بـدء ملحمـة الإنجـاز فـي المدينـة المنورة، وكانوا يفخرون بافتتاح الملك فهد بن عبد العزيز – يرحمه الله – طريق مكة المكرمة – المدينة المنورة، منذ سنة ونصف تقريبا وكذلك افتتاحه لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، كما أن العمل جار بلا هوادة نحـو تحـسين وتجميل وتطـوير مـداخل المدينـة المنـورة، والطرق الفرعية وخطوط المرور فيها، وتحسين شارع المطار وعمل مسارات خدمة على جانبي الطريق وفتح

شوارع بالأماكن المزدحمة لإيجاد منافذ جديدة، كما رأيت العمل الذي يجري على قدم وساق بالمسجد النبوي الشريف، وتوسعته بإضافة ما يقرب من مائة ألف متر مربع – كما قالوا – حيث سبق أن وضع الملك فهد حجر الأساس لهذه التوسعة.

تخللت إقامتنا في المدينة المنورة زيارة لبعض معالمها الدينية والأثرية ومنها مسجد قباء، الذي كان العمل جار لتوسعته بعد وضع الحجر الأساسي للمشروع، وكذلك مسجد القبلتين، ومقبرة البقيع، وجبل أحد الذي يعد شاهدا على موقعه أحد الشهيرة وعدد آخر من المساجد المنتشرة في المدينة المنورة الذاخرة بكم كبير بأسماء السلف الصالح.

من القلاع الوطنية المبهرة، والتي تدعو إلى الفخر، والاعتزاز ليس للسعوديين فقط، وإنما للعالم الإسلامي بعامة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، حيث تم ترتيب زيارة للمشاركين في المؤتمر لهذا الصرح الذي أصبح معلما مهما من معالم المملكة العربية السعودية.

وهنا أقف برهة لاستقراء ما سجلته في مفكرتي عن هذا المجمع الذي افتتحه الملك فهد طيب الله ثراه في شهر صفر عام ١٤٠٥هـ أي قبل انعقاد الندوة بحوالي سنة وثلاثة شهور وكما قال لنا المسؤول أثناء الزيارة بأن مساحته تقدر بحوالي مائتين وخمسين ألف متر مربع، وهو وحدة عمرانية متكاملة في مرافقها حيث يضم مسجدا، ومبان للإدارة، والصيانة، والمطبعة والمستودعات والنقل، والتسويق، والسكن، والترفيه، والمستوصف، والمكتبة، والمطاعم وغيرها.

وتبلغ الطاقة الإنتاجية للمجمع حوالي عشرة ملايين نسخة من مختلف الإصدارات سنويا في الوردية الواحدة، من مصاحف كاملة وأجزاء وترجمات وكتب للسنة والسيرة النبوية وغيرها. وأنتج المجمع - كما أوضح لنا المسؤول عنه - منذ افتتاحه وحتى تاريخ زيارتنا حوالي عشرة ملايين نسخة، موزعة على مجموعة كبيرة من الإصدارات، وزع منها حوالي ثمانية ملايين نسخة تلبية لاحتياجات الحرمين الشريفين ومساجد المملكة وكذلك مختلف الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية في دول العالم.

وفــي نهايــة الزيــارة أتحفنــا مــسؤول المجمــع بمجموعـة مـن المـصاحف والإصـدارات القيمـة مـن إنتـاج المجمع شَرفنا بها .. ويا لها من هديـة عزيـزة علـى نفوسـنا وأحتفظ بها للآن في مكتبتي ..

وبهـذه المناسـبة أود القـول بأنـه لا يوجـد بيـت فـي مـصر إلا ويقتنـي مـصحفا أو أكثـر مـن إصـدارات مجمـع الملك فهد لطباعة المصحف الـشريف، كمـا أنـه يتـوافر فـي المساجد والجمعيـات الخيريـة المـصرية الكثيـر منـه كهديـة من المملكة.

نواصـل الحـديث عـن المـؤتمر فقبـل نهايتـه بيـوم واحـد، وقبـل اختتامـه كثفـت لجنـة الـصياغة والتوصـيات اجتماعاتها لإعداد التوصيات النهائية المنبثقة عن جلسات النـدوة، وعنـد الانتهـاء منهـا تـولى رئـيس اللجنـة الـدكتور صــالح المالــك – يرحمــه الله – عرضــها علــى معــالي الـوزير، ثـم عرضـت فـي النهايـة بعد تنقيحهـا بالتعـديل أو الإضافة على المشاركين الذين أقروها.

وبانتهــاء الجلـسات الختاميــة للمــؤتمر بحــضور صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد ابـن عبد العزيـز

أميـر منطقـة المدينـة المنـورة – يرحمـه الله – ومعـالي الوزير بدأ بعض المشاركين في العودة إلى بلدانهم حسب جـدول رحـلات الطيـران واضـطر الـبعض الآخـر إلـى المبيت بالفندق والسفر صباحا وكنا منهم ..

بعد العودة إلى الرياض باشرت عملي في الوكالة واستدعاني الدكتور صالح المالك - رحمه الله - إلى مكتبه وكلفني مع مجموعة مكتبه بإعداد كتاب يشمل بحوث المؤتمر، وآخر يلخص ما دار في جلساته من مناقشات ولم يستغرق ذلك منا وقتا طويلا ..

وبعد عرض كتاب الأبحاث وكتاب الجلسات عليه كلـف المسؤولين الإداريـين بطباعتـه بمطـابع الحـرس الـوطني حيث قـام المسؤولون بالمطـابع بعمليـة الطباعـة وإخراجها إخراجا فنيا رائعا، ولم تدفع الوزارة أي تكاليف لذلك ..

وبعد أن انتهينا من أعمال المؤتمر وإعداد وثائقه وطباعتها تلقيت خطـاب شكر من معـالي وزير الـشؤون البلديـة والقرويـة، آنـذاك الـشيخ إبـراهيم العنقـري أشـرف بعرض نصه :

المملكة العربية السعودية

وزارة الشؤون البلدية والقروية

الرقم ٦/٩٤٢

التاريخ ١٤٠٦/٧/١٥

سعادة الأستاذ أحمد عبده القاضي

وكالة الوزارة للشؤون القروية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بمناسبة اختتام أعمال المؤتمر الثاني لرؤساء البلديات والمجمعات القروية الذي عقد في المدينة المنورة في الفترة من ٢٤ – ١٤٠٦/٥/٢٧هـ وقيامكم بالعمل كعضو في بعض اللجان العاملة في المؤتمر.

يطيب لي أن أشكركم على ما بذلتموه من جهد صادق في المساهمة في تنظيم أعمال المؤتمر وتوفير سبل الراحة للمشاركين مما أظهر المؤتمر بالمظهر اللائق فكانت له آثاره الإيجابية في الوصول إلى النتائج المرجوة.

ولكم خالص تحياتي ،

وزير الشؤون البلدية والقروية

توقيع

إبراهيم العنقري

إلى الأمم المتحدة ..

زاد العمل في زخمه وتشعبه ، وأثمرت ثلاثية العمل على نتائج مشجعة ، خاصة بعد أن ساندها أيضا عدد من الكوادر السعودية التي عادت للوطن بعد انتهاء بعثاتها، كما واكب ذلك أيضا تدفق في أعداد خريجي الجامعات السعودية الذي انضم بعضهم للعمل بالوكالة، ويمكن القول بأن الهيكل التنظيمي للوكالة قد أصبح مستكملا، وإن كان ذلك قد أدى إلى الاستغناء عن بعض المتعاقدين فليس من المنطقي أو العقلاني، وجود كمٍ كبير من العمالة الوافدة بعامة وفي القطاع الحكومي بخاصة، في ظل تدفق أعداد خريجي الجامعات، وعودة المبتعثين، وأهمية تدبير الوظائف المناسبة لهم وفي القطاع الحكومي كأولوية أولى بما يرضي طموحات الكثير من هؤلاء الخريجين وتطلعهم للعمل في هذا القطاع، ومن البديهي أن وكالة الوزارة للشؤون القروية لا تنفصل عن هذه الرؤية..

بدأ انطلاق مشروع التنمية الريفية بكامل طاقته وبذل بعض الخبراء جهودا في سبيل التواصل مع قضايا المجتمع الريفي السعودي ومشكلاته وتشخيصها واقتراح حلول لتنميته وتطويره وتحديثه، وتقتضي مني الأمانة، أن أقول أن محكات العمل أظهرت أن بعض خبراء المشروع لم يكونوا على المستوى المستهدف، واعتمدوا في عملهم على تقديم دراسات وبحوث تنظيرية، قد لا يتفق بعضها مع الواقع المجتمعي في المملكة، كما أن معرفة البعض باللغة العربية كان عنصرا كابحا لديهم، لم يمكنهم من العمل بانسجام وتواصل مع فريق الخبراء، ناهيك عن عدم التناغم والتجانس فيما بين البعض منهم، رغم ما كان يبذله رئيس الخبراء من جهود في دعم العمل الفريقي.. مما اضطر الوكالة إلى الاستغناء عن بعض الخبراء، وكذلك إنهاء عمل مساعدي الخبراء جميعهم ..

ساد التناغم والتنسيق نسبيا بين فريق الخبراء، ووضعت خطط للمتابعة الميدانية لأعمال لجان تنمية وتطوير القرى العامة منها والمحلية، وكان نتيجة ذلك تراكم حصيلة أولية عن ملامح التنمية في وضعها

الراهن، وفي إطارها يمكن بلورة خطة مستقبلية للانطلاق ..

كانت الوكالة حريصة على إكساب كوادرها السعودية خبرات عملية في مجال التنمية الريفية المتكاملة.. فجهزت مجموعة من النظراء السعوديين من جميع الإدارات يلازمون الخبراء أثناء العمل اليومي، وأصبح كل خبير مسئولا عن ثلاثة نظراء، ويقدم الخبير والنظير تقريرا كل شهر عما اكتسبه النظير من خبرات، وما قدمه له الخبير من برامج تأهيلية كما يوضح الخبير مرئياته عن مدى استجابة النظير وسعيه إلى اكتساب الخبرة .. ومقترحاته في هذا الشأن ..

كانت هذه التقارير تحال إلي من مدير عام الشؤون القروية لإبداء ما عليها من ملاحظات، وعرضها عليه، وما قد تتطلبه من تصحيح للمسار أو مزيد من الإثراء واستخلاص التجارب الرائدة منها ونشرها بين الخبراء والنظراء للاستفادة من معطياتها ..

كان عدد الخبراء يتقلص أولا بأول حسب احتياجات كل مرحلة .. وفوجئت في منتصف عام

١٤٠٦هـ وبعد انتهاء المؤتمر الثاني للبلديات والمجمعات القروية، باستدعائي لمقابلة وكيل الوزارة الأستاذ عبد الله المقيل فتوجهت إليه ووجدت مدير عام الشؤون القروية المرحوم / حمود المسلم جالسا معه، وبادرني الوكيل بقوله ضاحكا ما رأيك أننا سنستغنى عنك ؟ وابتسم المدير العام، فقلت لهما أنتما أصحاب القرار ولا نملك إلا التنفيذ قال لي الوكيل بعدها أبشر.. لقد رشحناك لتكون خبيرا بالبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة للعمل في مشروع التنمية الريفية المتكاملة، الذي شاركت في تخطيطه ومتابعته، مضيفا: أن ذلك جاء انطلاقا من جهودي المتعددة، وخبراتي الثرية، وحاجة المرحلة القادمة للمشروع لتوظيف هذه الخبرات العلمية والميدانية، وأردف المدير العام مضيفا أن هذا يعتبر مكافأة لي عن جهودي غير العادية، مذ عملت بالوكالة والكم المتراكم من أعمالي بالكفاءة والاقتدار ..

كان هذا الموقف مفاجأة ألجمت لساني، فلم يسعفني الرد لأنهما اخجلا تواضعي، وعندما استعدت نفسي شكرتهما مفيدا بأنني في أي موقع، سأكون عند حسن ظنهما، شاكرا لهما تقديرهما وثقتهما في شخصي ..، وفي

نهاية اللقاء الذي تخلله الكثير من الود والثناء، طالباني بالتوجه إلى مقابلة الممثل المقيم للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة بالرياض، حيث أن لديه كل ما تم من إجراءات حول الموضوع، وكان أيرلنديا، وقدمت له نفسي، فأحالني إلى الإدارة المختصة بتوظيف الخبراء، وأوضح لي أنه كانت هناك سلسلة كبيرة من الإجراءات السرية، سبق اتخاذها بتكتم من قبل الوكالة ورئيس الخبراء والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة انتظارا لموافقة – إدارة التعاون الفني بنيويورك على تعييني كخبير اجتماعي في مشروع التنمية الريفية المتكاملة، وأتت الموافقة قبل يومين، سبقتها موافقة وزارة الخارجية السعودية ممثلة في الإدارة العامة للتعاون الفني بها، وكان رئيسها آنذاك الأستاذ عبد الملك الفراش ..

المهم طلبوا مني مجموعة من الأوراق ليمكن استخراج تأشيرة للعمل بالبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة وإرسالها للسفارة السعودية بالقاهرة ... وأنه لابد من إنهاء عملي بالوكالة وطي قيدي وإخلاء طرفي أولا .. ومن ثم العودة للقاهرة والحصول على التأشيرة بجواز سفر

جديد.. وفعلا أنهيت عملي رسميا بالوكالة .. وصفيت متعلقاتي الخاصة.

هنا برزت مشكلة فاختبارات الأبناء على الأبواب، وتاريخ إقامتي في تصريح الإقامة سينتهي بعد يومين، ومن المفروض أن أجددها، إلا أن صلتي بالوظيفة التي كنت أعمل بها في الوكالة قد انتهت، وأنه يتعذر علينا جميعا السفر، في ذلك الوقت لأسباب الاختبارات، ولا بديل إذن إلا تجديد الإقامة ..

هنا تجلت بعض المواقف الإنسانية من سعادة وكيل الوزارة والمدير العام اللذان لم يمانعا من تجديد الإقامة مؤقتا.

انتهت الاختبارات، واجتازها الأبناء بتفوق وامتياز، وسافرنا إلى القاهرة حيث مكثنا بها شهرا، وحصلت على التأشيرة الجديدة من القنصلية السعودية، والتي منحت لي بناء على طلب البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، وقضينا الإجازة مع الأهل، والأقارب، والأصدقاء، وعدنا إلى الرياض، وباشرت العمل ضمن فريق خبراء الأمم المتحدة في إطار مشروع التنمية

الريفية المتكاملة، ومن نفس مكتبي السابق، وأضيفت إلي مهمة جديدة باتفاق المدير العام ورئيس خبراء المشروع، وهو القيام بدور ضابط اتصال بين وكالة الوزارة للشؤون القروية، والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة ..

وضعت لنفسي خطة تبلورت محاورها من زياراتي الميدانية، ومنطلقات ثلاثية التنمية التي أشرت إليها، ودراسة تجارب الدول الأخرى التي زرتها أو أطلعت على محصلتها من التقارير والوثائق التي كانت متوفرة في مكتبة البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، وتحليل مضمونها ومحاولة التعرف على إيجابياتها وسلبياتها، وإمكانية وصلها بتجارب المملكة، التي تركز على عملية التوازن الريفي الحضري في خططها التنموية، وأن يكون للتنمية الريفية وضع مميز بالنسبة لتنمية المجتمع كله، في إطار أوضاع الموارد المحلية، والعناصر البشرية، وأساليب التنسيق الكفء، وتحديات التنمية في دولة شاسعة كالمملكة، التي تمثل شبه قارة، وما يتطلبه ذلك من قوى بشرية كبيرة، مدربة ذات كفاءات ملائمة، تقع على عاتقها مسئوليات هذه التنمية، وإن توفير ذلك يحتاج إلى وقت ليس بقصير، وخاصة في دولة كالمملكة سريعة

النمو .. ولازمني في بلورة هذه الخطة الأستاذ عبد الله الفارس الذي أضاف إليها بعض المستجدات التي أكتسبها من بعثته في أمريكا والتي تتفق مع ظروف المجتمع السعودي.

في ذلك الوقت بدأت طلائع أخرى إضافية من الكوادر السعودية في العودة إلى الوطن.. حيث عاد بعض المبتعثين الحاصلين على شهادة الدكتوراه، والماجستير، والمؤهلات الجامعية بالإضافة إلى مزيد من مخرجات جامعات المملكة لمواجهة متطلبات هذه المرحلة في مجالاتها المختلفة.

كانت مرجعيتي الرئيسية في خطتي.. تبدأ بتطبيق منهج التكامل في التنمية الريفية على أرض الواقع، في إطار لائحة تنمية وتطوير القرى التي تمثل الإطار العام والمداخل النظامية إلى التنمية الريفية الشاملة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية.. وتفعيل مشاركة جميع وزارات الخدمات المعنية، بمستوياتها المحلية، والإقليمية، والمركزية أو الوطنية، اعتمادا على قاعدة البيانات الأساسية عن القرى والهجر، التي أسفرت عنها نتائج المسح الاقتصادي والاجتماعي الشامل للقرى

السابق الإشارة إليه.. باعتبارها القاسم المشترك في رسم السياسات الميدانية للتنمية الريفية المتكاملة، لما للمعلومات من دور مهم وأثر بارز في اتخاذ القرار، بشأن هذه السياسات ومتابعة تنفيذها على كافة الصعد.

أن نقطة البداية في هذه المرحلة تتطلب التركيز أيضا على العمل الميداني مع اللجان العامة والمحلية لتنمية وتطوير القرى.. فهي الركيزة الأساسية في انطلاق مسار التنمية الريفية المتكاملة، ومن ثم فإن هذه المرحلة تتطلب اتخاذ عدة تدابير من أهمها : تعظيم مشاركة أهالي القرى في مسارات التنمية الريفية المتكاملة، واقتراح برامجها وسياساتها، وإيجاد الهياكل الإدارية المناسبة لعمل اللجان العامة والمحلية، والتوعية والإرشاد الريفي، والعمل الفريقي باعتباره الأساس الذي تبنى عليه هذه التنمية، ومع ذلك كله توفير التدريب الفريقي لمختلف التخصصات الأهلية والتنفيذية في مجال التنمية الريفية المتكاملة ..

عرضت المحاور الرئيسية لهذه الخطة على رئيس خبراء المشروع، فأثنى عليها وعقد اجتماعا لخبراء المشروع لمناقشتها، وكانت هذه الاجتماعات هي السمة

المميزة لعمل المشروع حيث.. يعرض خلالها دراسات وإنجازات الخبراء، والبرامج والسياسات المستقبلية لعمل كل منهم حسب تخصصه ..

بعد مناقشة الخطة في هذا الاجتماع الإشرافي – كما كان يسمى – وتعديل بعض المحاور، والمنطلقات طلب رئيس الخبراء ترجمتها إلى برامج زمنية موقتة، وقد كان ..

من هنا انطلق عملي في المشروع، ولم يكن ذلك، بجديد.. فما اقترحته هو المكمل الثاني للثلاثية المستهدفة.. من منظور ميداني .. وتطبيقي ..

أسندت إلي في إطار العمل بالمشروع مسئوليات.. أخرى من أهمها العمل الميداني مع اللجان العامة والمحلية لتنمية وتطوير القرى من خلال زيارات تنشيطية لها، وتصميم الدلائل الإرشادية لعمل اللجان، وتحليل التقارير الفترية لها، والمشاركة في عمليات تدريب الكوادر الإدارية المتصلة بهذه اللجان على المستوى المحلي والإقليمي والوطني، وإعداد دليل إرشادي للأسس والمعايير والضوابط التي تتخذ أساسا لتقديم الخدمات

للقرى، ومسارات التنسيق في تقديمها، لتسترشد به اللجان العامة والمحلية عند اقتراح ما تراه من التوصيات .. وتدريب النظراء السعوديين وغير ذلك ..

لمّا كانت مدة مشروع الأمم المتحدة للتنمية الريفية المتكاملة أربع سنوات انتهت في عام ١٩٨٩/ (١٤٠٩هـ) وكان هناك فائض في ميزانية المشروع فقد تم تجديده لسنتين إضافيتين، واقتصر فريق المشروع على رئيس الخبراء واثنين من الخبراء كنت أحدهما، وقررت الوكالة إنشاء إدارة مستقلة للتنمية الريفية ضمن هيكلها الإداري لتتولى مهام المشروع خاصة بعد نهايته .. كما تم تدريب عدد كبير من النظراء السعوديين عن طريق مزاملتهم لفريق الخبراء كل في مجاله، ليمكن الاعتماد عليهم بعد ذلك في مواصلة تحقيق مستهدفات المشروع ..

في نهاية هاتين السنتين.. انتهى عمل رئيس خبراء المشروع ومهندسه المرحوم الدكتور علي فؤاد أحمد، ولحاجة المشروع إلى مواجهة بعض المستجدات تقرر إبقائي وخبير آخر لمواصلة العمل وفق هذه المستجدات، وذلك في إطار مشروع آخر للأمم المتحدة بالوزارة، تنفذه وكالة وزارة الشؤون البلدية والقروية لتخطيط المدن،

وهو التخطيط العمراني الهيكلي، وذلك لصالح مشروع التنمية الريفية المتكاملة، واستمر الحال على ذلك سنة أخرى كانت منصبة في الأساس على إعداد التقرير الختامي للمشروع، وفق ما تنص عليه وثيقته، وكذلك على مواصلة الزيارات الميدانية للجان العامة والمحلية لتنمية وتطوير القرى. وفي هذه السنة اكتفى بخبير واحد تمثل في شخصي وواصلت العمل، وكان جلّه ينصب في بناء إدارة التنمية الريفية التي أنشئت وعُين لها الأستاذ عبد الله الفارس كأول مدير يتولى هذه الإدارة وشارك معي وأعددت خطة عملها، ومهامها ومسؤولياتها، وتدريب كوادرها .. وهو حاصل على ماجستير في علم الإجتماع من إحدى الجامعات الأمريكية وزاول عمله بالوكالة محملاً بذخيرة أكاديمية علمية وثقافية متطورة كان لها مردودها الثري في مواقع عمله بالوزارة بعامة وفي أعمال التنمية الريفية في الوكالة بخاصة حيث إشترك معنا في وضع خطتها وتفصيلاتها ومتابعتها إلى أن عين كأول مدير لهذه الإدارة وكان قد تولى من قبل وظائف إشرافية وقيادية بوزارة الشؤون البلدية والقروية وأثبت جدارته في تولي هذه المهام.

وبجانب ذلك المشاركة في تصفية المشروع نهائيا بحكم كوني أيضا ضابط الاتصال فيما بين وكالة الشؤون القروية والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة ..

لقد كانت السنوات الأخيرة للمشروع كما أسلفنا منصبة على إعداد الكوادر الوطنية لتولي مهام المشروع،مع التركيز على متابعة العمل الميداني، ومزاملتهم لي أثناء القيام بهذه الزيارات .. هالني خلال هذه الزيارات ما شهدته من تغير اجتماعي، واقتصادي، وعمراني شامل لمعظم القرى التي سبق أن زرتها في بداية عملي، فلقد أدت سياسات الاهتمام بالقرى والهجر والجهود التي بذلتها الدولة لتنميتها وتطويرها، وإقامة المزيد من المشروعات والبنى الأساسية إلى نتائج إيجابية، وساعدت إلى حد كبير في تضييق الفجوة بين المدن والقرى والمناطق الحضرية والريفية ... فيما يعدّ تقدما مبهرا لتجربة المملكة في مجال استراتيجية التوازن الريفي الحضري.

ومن هنا بدأ المجتمع القروي يبعد عن العزلة، وبرزت لديه الثقافات المتجددة، وحكى لنا بعض شيوخ القرى الذين تقابلنا معهم.. بأنه نتيجة ما تشهده المملكة من

تقدم ونماء وحضارة، نشأت في القرى عادات جديدة غير موروثة، كما حدث الكثير من الانفتاح في مختلف المجالات، وزاد السفر إلى الخارج، كما ظهر الاستهلاك الترفي، الذي كان بعضه مقصورا على المدن فقط .. وغير ذلك من مستجدات كثيرة ..

لقد لفت انتباهي أيضا في بعض القرى التي سبق أن زرتها ما حدث من تقدم عمراني ومعماري.. فازدادت الطرق المرصوفة، والجسور، والأنفاق ومشروعات المياه والصرف الصحي، والكهرباء التي كانت تعتمد في السابق على مولدات خاصة، وأزيلت معظم البيوت الطينية والشّعر والمبنية بالطابوق، وحلت محلها فيلات على أحدث طراز، ومنازل بالمسلح يتجلى فيها الذوق.. مع المحافظة على التراث، وذلك نتيجة ما يقدمه صندوق التنمية العقاري من قروض طويلة الأجل، والتي غطت كثيرا من القرى والمدن، كما انتشرت المدارس في معظم القرى والهجر، وكذلك المستوصفات والمراكز الصحية المختلفة، وشاهدنا المساحات الخضراء الجديدة، والحدائق والبساتين، والزراعات المثمرة، وغير ذلك من إنجازات عمت مختلف أنحاء المملكة.. بسبب انطلاق الجهود

الإنمائية غير العادية التي تحققت.. نتيجة لتكامل جهود ومبادرات القطاعين العام والخاص، ومشاركة الأهالي ..

لقد أكملت مهمتي مع مشروع الأمم المتحدة للتنمية الريفية المتكاملة.. وفي نهايتها أقامت لي وكالة الوزارة للشؤون القروية حفل تكريم في خيمة بإحدى الاستراحات بصحاري الرياض، في أمسية جميلة ضمت قيادات الوكالة وموظفيها وبعض أعضاء البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، وقدمت في هذا الحفل الأطباق السعودية الشهيرة من الطعام، وتخلل الحفل بعض الكلمات الرقيقة، وتقديم الهدايا التذكارية لي، وفي النهاية أوجزت كلمة قصيرة شاكرا وممتنا لما أحاطتني به الوكالة والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة من تقدير وتعاون وتشجيع ..

وبنهاية عملي في المشروع توجهت إلى مقر البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة حيث ودعت الطاقم الدولي، والإداري الذي كنت على اتصال به، كما ودعت الممثل المقيم للبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة السفير حسن عيسى، وكان في السابق سفيرا لمصر في عدة دول وبعد

انتهاء عمله في البرنامج عين مساعدا لوزير الخارجية المصري، مع العلم بأنه سبقه في تولي هذا الموقع السفير أحمد نامق وهما وجهان يشرفان بحق مصر والمصريين وقد حصلت من البرنامج على شهادة بطبيعة عملي به ومدته.. يسعدني أن أشيرإلي مضمونها :

"يشهد برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن السيد / أحمد عبده القاضي قد عمل بمشاريع التعاون الفني بين حكومة خادم الحرمين الشريفين ومنظمة الأمم المتحدة، ساو/٠٠٥/٨١، وساو ٠٠٤/٨٩ – التنمية الريفية المتكاملة، وساو ٠٠٨/٩٠ – التخطيط العمراني الهيكلي من ١٦ أغسطس ١٩٨٧ حتى ٣١ ديسمبر ١٩٩٣م كخبير اجتماعي.

ننتهز هذه الفرصة لنعبر عن شكرنا، وتقديرنا العميق للأداء الممتاز، والجهود المثمرة التي ساهم فيها السيد / القاضي في أعمال المشاريع آنفة الذكر والتي أثنت عليها كافة الجهات الحكومية التي تعاون معها .. "

توقيع

المنسق المقيم للأمم المتحدة،

والممثل المقيم لبرنامج الأمم المتحدة الانمائي

(حسن عيسى)

في هذا السياق من الجدير بالذكر أنه قد واكب مرحلة تصفية مشروع التنمية الريفية المتكاملة، صدور أمر ملكي لنظام المناطق، على مستوى الإدارات الرئيسية لمناطق المملكة وعددها (١٣) منطقة، وقسمت هذه المناطق إلى محافظات ومراكز برئاسة أمير لكل منها.

يقضي هذا النظام بتشكيل مجلس لكل منطقة رئيسية برئاسة أمير المنطقة، ونائبه نائبا للرئيس، وعضوية وكيل الإمارة، ومحافظي المحافظات، ورؤساء الأجهزة الحكومية في المنطقة، وعدد من الأهالي لا يقل عن عشرة أشخاص..و قد يصل إلى عشرين أو أكثر في بعض المناطق من أهل العلم، والخبرة، والاختصاص يتم تعيينهم بقرار من رئيس مجلس الوزراء (الملك)، وللمجلس اختصاصات منها دراسة احتياجات المنطقة، واقتراح إدراجها في خطة التنمية، ودراسة واقتراح المخططات التنظيمية لمدن وقرى المنطقة، ومتابعة ما يخص المنطقة من مشاريع.

ومن مهام المحافظات والمراكز، العمل على تطوير المنطقة اجتماعيا، وإداريا، واقتصاديا، وتنمية الخدمات العامة، وغير ذلك من مهام .. ألست معي بأنه قد

أصبحت هناك ازدواجية بين عمل اللجان العامة والمحلية لتنمية وتطوير القرى؟ وكذلك ازدواجية بين مهام لائحة تنمية وتطوير القرى، ونظام المناطق .. وأن الشمولية في التنمية أصبحت اكثر امتدادا، وفعالية في نظام المناطق؟ومن ثم أصبحت تجب في مرجعيتها لائحة تنمية وتطوير القرى وهياكلها .. ؟

ومن هنا انتهى عمل اللجان العامة والمحلية لتنمية وتطوير القرى، وكذلك لائحة تنمية وتطوير القرى منعا للازدواجية .. وقيام المجالس المنبثقة عن نظام المناطق بدور أكثر شمولية، وأن التنمية الريفية المتكاملة أصبحت عنصرا أساسيا في محاور هذا النظام .. ومن ثم صدر قرار مجلس الوزراء بإيقاف العمل بلائحة تنمية وتطوير القرى منعا للازدواجية في عملية التنمية الشاملة ..

وفي هذا السياق لا يفوتني أن أنوه ببعض الكوادر السعودية في وكالة الوزارة للشؤون القروية التي لها بصماتها في تارخ العمل بالوكالة، وهي نماذج وطنية مشرفة أخص منها على سبيل المثال وليس الحصر الأستاذ منصور العساف والأستاذ عبد الرحمن اللعبون، والأستاذ ناصر حمدان الباتل، والأستاذ عبد الكريم

العُمَير، والأستاذ سالم الأحمدي، والأستاذ عبد الله الخميس والمهندس أحمد السالم ... وغيرهم من النماذج والكوادر المشرفة.

الأبناء والمسيرة ..

واصل الأبناء مسيرتهم التعليمية في مدارس مدينة الرياض، فحصلت ريهام على الشهادة المتوسطة (الإعدادية) عام ١٩٨٥ وكانت من الخمس الأوائل على مستوى مدينة الرياض، وحضرت زوجتي حفل تكريمها مع الأوائل في مدرستها، وواصلت الدراسة في المرحلة الثانوية بمدرسة قريبة من سكننا.

حصل بسام على الشهادة المتوسطة بعد أخته بسنتين وجاء ترتيبه الثالث على مستوى مدينة الرياض، أما الأول فكان الأمير عبد العزيز نجل المغفور له الملك فهد، و وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء حاليا، وأقامت وزارة المعارف حفلا كبيرا للأوائل بقاعة تابعة لها بجوار برج الرياض القريب من شارع الوزير، ودعت الوزارة أولياء أمور الأوائل لحضور هذا الحفل الكبير، وتخلله إلقاء بعض كلمات التكريم وتوزيع الجوائز على الأوائل .. والتحق بسام بعد ذلك بالمدرسة الثانوية القريبة من محل السكن ..

في هذه الآونة وفي بداية عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) فوجئنا بأن التليفزيون السعودي ينقل خطابا للملك فهد – رحمه الله – من المدينة المنورة يعلن فيه استبدال لقب صاحب الجلالة بلقب خادم الحرمين الشريفين .. حيث أنه يعتز بهذا اللقب وأنه يتم عن رغبة ملحة تخامره، ويشرفه أن يحتله.

كان بسام من عشاق كرة القدم وكان يصطحبه أحد زملائي في العمل لمشاهدة مباريات الدوري العام وكأس خادم الحرمين الشريفين في الإستاد الرياضي بالملز، وكان من مشجعي نادي الهلال. كما أن الكثير من السعوديين يعشقون هذه اللعبة ولكل منهم ناديه الذي يشجعه ويتعصب له، وينقسم هؤلاء المشجعين بين أندية الهلال والنصر بالدرجة الأولى، ثم الاتفاق والاتحاد، كما أن المنتخب السعودي الذين يطلقون عليه الأخضر وصل إلى المونديال أكثر من مرة وإن لم يوفق في تحقيق مراكز متقدمة .. هذا بالإضافة إلى حبهم لرياضة الفروسية ومسابقاتها وكذلك مسابقات الهجن، ويلاقي ذلك كله دعما متواصلا من الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

وبالنسبة لمحمد فقد التحق بالمرحلة الابتدائية في السنة الأولى بمدرسة الدوحة الخاصة والقريبة من شارع الخزان وذلك في عام ١٩٨٨م ..

استمر الأبناء في مسيرتهم التعليمية، وكانت زوجتي نعم المتابع لمذاكرتهم وتقديم كل ما يحتاجونه من دروس إضافة إلى رعايتهم وتنشئتهم على السلوك القويم، وأصول الدين الحنيف باعتدال، ودون مغالاة، ودون نسيان أيضا لجذورهم المصرية الأصيلة مع اكتساب لكل قيمة أخلاقية متحضرة في المجتمع السعودي الذي يتعايشون معه وأحبوه ..

اكتسب الأبناء صداقات كثيرة مصرية وسعودية، وتوطدت هذه العلاقات حتى أصبحت على مستوى الأسر، فكنا نقضي مع بعض الأسر المصرية خاصة نهاية الأسبوع في إحدى حدائق الرياض، كما كنا نتزاور دائما مع هذه الأسر، وغيرها من الأسر المصرية والسعودية التي تعرفت عليها أثناء العمل، وفي المناسبات المختلفة ..

تعـرف الأبنـاء على معظـم معـالم مدينـة الريـاض وأحيائها الجديدة والقديمة، شـاهدوا المتحـف الـوطني.. هذا المعلم الذي يوفر بيئة تعليميـة حديثـة لشرائح مختلفة من المجتمـع الـسعودي، وغيـره مـن الأجانـب وتتنـوع بـه المعروضـات، لتـشمل القطـع الأثريـة، والمخطوطـات، ولوحات العرض، كما يمتاز المتحف بتكامل معروضـاته، وبتقديم موضـوع متسلـسل مـن بدايـة خلـق الكـون، إلـى العصر الحديث، ويدور محـوره الأساسـي حـول الجزيـرة العربية، وزرنـا دارة الملك عبد العزيـز التـي تأسست فـي عهد الملـك فيـصل – رحمـه الله –، والتـي أقيمت لتخليـد ذكرى مؤسس وموحد الجزيرة – المغفور له – الملك عبد العزيز، ويعد مركـزا للبحـوث العلمية يتخـصص فـي جمـع وتحقيق، وترجمة كل ما كتب عن المملكـة والعـالم العربـي والإسـلامي باللغـات الحيـة، وهـو فـي متنـاول المهتمـين والباحثين، ويـضم المتحـف مكتبـة تحـوي كـل مـا لـه علاقـة بتـاريخ الجزيـرة العربيـة، كمـا تـضم قسما خاصـا للمكتبـة التي أهداها الرئيس الأمريكي ترومـان للملك عبد العزيـز عـام ١٩٥٠م، تعرفت الأسـرة أيضـا علـى أمـاكن سـياحية أخرى في الريـاض وزيارتهـا منهـا حصن المصمك الـذي

يمثل الانطلاقة التي تم على أثرها تأسيس وتوحيد المملكة على يد المغفور له الملك عبد العزيز في فجر الخامس من شهر شوال ١٣١٩هـ، ويمثل الاستيلاء عليه استعادة مدينة الرياض، وقد سألنا عن مفهوم عبارة المصمك أو المسمك كما يطلقون عليه أحيانا، فقيل لنا أن هذه الكلمة معناها البناء السميك المرتفع الحصين. ومن أهم مكونات المصمك بوابة القصر، والمسجد، والديوانية (المجلس)، والبئر، والأبراج الأسطوانية الشكل، كما يضم بعض المعروضات الأثرية ..

في هذا الإطار أيضا نظمت لنا الأمم المتحدة زيارة أسرية إلى مدينة الدرعية القديمة، واصطحبت أسرتي في هذه الزيارة مع مجموعة من أسر خبراء البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة وعرفت من محدثنا أنها المدينة التي صنع فيها التاريخ أمجاد الآباء والأجداد، إذ شهدت أكبر حركة إصلاحية دينية في العالم الإسلامي منذ عام ١٧٤٥م حيث جرى الاتفاق على ميثاق الدرعية بين أميرها الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، إذ اتفق الإمامان على الدعوة إلى تصحيح عقيدة الناس مما علق بها من الشرك، والبدع، والخرافات

وذلك بالعودة إلى ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح ..

شاهدنا آثار مدينة الدرعية من المتنزهات الممتعة التي تحمل عبق تاريخها، وتراثها، وكانت هي العاصمة التي شهدت تأسيس الدولة السعودية إلى أن انتقلت عاصمة المملكة إلى مدينة الرياض، وتبعد الدرعية عن مدينة الرياض بحوالي عشرة كيلومترات.

لما كانت مدينة الرياض تزخر بمنتزهات عدة فكنا نقضي يومي الأجازة الأسبوعية (الخميس والجمعة) في أحد هذه المنتزهات بخاصة الجديدة منها مثل حديقة الملك فهد، وحديقة الغرفة التجارية، وحديقة المناخ، وحديقة البديعة وغير ذلك من الحدائق الأخرى ..

كان الحي الدبلوماسي في بداية تشغيله بعد الانتهاء من إعداده ويضم معظم سفارات العالم التي لها تمثيل مع المملكة، وقمنا مع بعض أسر زميلات ريهام وزملاء بسام بزيارة لهذا الحي الممتع ببساطه الأخضر الجميل وأشجاره الباسقة ذات الروائح العطرية، ووروده، ونخيله، فهو تحفة تشكيلية رائعة بمبانيه ذات الطرز المعمارية

الحديثة التي لا تغفل تأصيل تراث المملكة، قضينا يوما كاملا في هذا الحي، ومما أسفنا له عدم وجود مبنى به للسفارة المصرية، وعلمنا فيما بعد أنه من الوارد مستقبلا بناء مقر للسفارة المصرية في هذا الحي الراقي بكل معاني الكلمة ..

كما نظم مشروع التنمية الريفية المتكاملة رحلة - في إحدى أجازات أيام الأسبوع - للخبراء وأسرهم لزيارة القرية الشمسية القريبة من مدينة الرياض قضينا فيها يوما، واستمتعنا بشرح المسؤولين بالقرية وما يصاحبها من تكنولوجيا متقدمة .. وتناولنا الغذاء معا في هذا اليوم الممتع ..

من عجائب مدينة الرياض مطارها العملاق، مطار الملك خالد الدولي الذي أنشئ في بداية عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، وهو تحفة جمالية تضارع أرقى مطارات العالم، ويبعد هذا المطار عن مدينة الرياض بحوالي ٣٥ كيلو متر ويشغل مساحة كبيرة جدا، تضم كل ما يتعلق بمرافقه المختلفة، وخدماته المتنوعة، وشركات الطيران العالمية والمحلية .. ويوظف في عمله التكنولوجيا المتقدمة المستخدمة في تقديم الخدمات

وعمليات الدخول والخروج، وغير ذلك كما يضم المبنى مسجدا غاية في الفخامة طرازا ونقوشا ..

هذه هي الرياض بعد تطويرها وتحديثها بمبانيها، وناطحات سحابها، وفيلاتها، وقصورها، وحدائقها، ومؤسساتها، ودواوين وزارتها، لا سيما مبنى وزارة الداخلية الجديد الذي بني على هيئة باخرة، ويقابله قلعة أخرى جديدة هي مبنى وزارة الشؤون البلدية والقروية والإسكان .. وغير ذلك من مبان تعتبر معلما حضاريا يتوافق مع الأصالة والمعاصرة التي تحرص عليها المملكة..

وما دمنا نتكلم عن ناطحات السحاب لا ننسى برجين مهمين أصبحا من أبرز معالم الرياض، ومن أعلى القمم العمرانية فيها أحدهما برج المملكة الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ٣٠٠ متر، ويحتوي على ٣٠ طابقا، ويتسم البرج بإطلالته المميزة، والتي يمكن مشاهدتها من أبعد نقطة في مدينة الرياض، يحتوي البرج على عدد كبير من مراكز التسوق العالمية والراقية والمتنوعة، كما يضم فندقا ذا سبعة نجوم، هو (الفورسيزون) ويشغل تقريبا عشرة طوابق من المبنى وغير ذلك..

أما برج الفيصلية فكما قيل لنا فهو بارتفاع حوالي ٢٦٠ مترا ويحتل المرتبة الأربعين ضمن أطول مباني العالم، ويسبقه طبعا برج المملكة في هذا التصنيف، ويتكون من (٣٠) دورا، يرتفع إلى أعلى بشكل هرمي مقوس الحواف، تعلوه كرة زجاجية وصالة للحفلات بدون أعمدة تتسع لحوالي (٤٠٠٠) شخص بالإضافة إلى الأسواق التجارية،وبه فندق خمس نجوم مقام على ثمانية أدوار من البرج وبالبرجين مواقف سيارات، وخدمات الطوارئ ..

انتهى العام الدراسي ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) وكان الأبناء قد أدوا الاختبارات حيث كانت ريهام في الثانوية العامة (علمي) وبسام في الصف الثاني الثانوي، ومحمد في الصف الأول الابتدائي ..

وبعد تأدية الاختبارات بأسبوع تقريبا ظهرت نتائج النقل بالنسبة لبسام ومحمد واجتازاها بتقديرات ممتازة وكانا من الأوائل. وبعدها بأسبوعين ظهرت نتيجة الثانوية العامة وفوجئت بتليفون منزلي في الرياض يدق فجر يوم جمعة وكان المتحدث والد إحدى زميلات ريهام يهنئني بنجاح ريهام بالثانوية العامة، وأنها جاءت في الترتيب

السادس على منطقة الرياض، حسب ما جاء في صحيفة الرياض التي اشتراها من مقر الصحيفة توا والمنشور بها أسماء العشر الأوائل من بنات الثانوية العامة بالمنطقة .. وسألته عن ابنته وأبلغني أنها نجحت بدرجة امتياز، ولكنها لم تكن ضمن الأوائل.. فشكرته على تهنئته الرقيقة ونزلت إلى الشارع في الصباح الباكر.. واشتريت الصحف المنشور بها اسم ابنتي.. ولا تسأل عن مدى فرحتي وفرحة أمها بذلك وتأثرنا الشديد بهذه النتيجة.. خاصة وان والدتها كانت في بداية وعكة صحية فجائية ما زالت تحت التشخيص، تبين فيما بعد أنها مصابة بمرض نادر، وتأكد من فحص عينة نخاع لها في ألمانيا عن طريق مستشفى الملك خالد التخصصي للعيون في الرياض، وهو صرح طبي متقدم يلجأ إليه أحيانا للعلاج بعض رؤساء الدول والشخصيات العالمية.. ولقيت زوجتي كل رعاية وعناية في هذا المستشفى، وغيره من المراكز الطبية في مدينة الرياض.. كما سبق ذلك بأيام وأثناء اختبارات الثانوية العامة وصول نبأ بوفاة شقيقي الذي كان معاراً بدولة اليمن ضمن البعثة التعليمية المصرية، والذي أبلغني به بعض الأقارب معزيا في وقت

غير مناسب.. رغم محاولة تكتم الأسرة بمصر هذا الخبر عنا ،والتنبيه بذلك علي الأقارب حتى لا يترك أثرا سيئا في مرحلة مرض زوجتي واستعداد ابنتي لاختبارات الثانوية العامة.. فأحاطنا الحزن من كل جانب وكان الله معنا في اجتياز هذه المحنة بسلام..

سافرنا في أجازتنا السنوية بعد ذلك، وتقدمت ريهام لمكتب التنسيق وتحققت رغبتها الالتحاق بكلية الطب جامعة عين شمس، واتفقنا مع خالها على أن تقيم مع أسرته بمدينة نصر بالقاهرة القريبة من الكلية.

فلنرجع إلى نهاية عام ١٩٨٥م حيث حدث تحول مهم في حياة الأسرة أيضا إذ رزقنا بطفلة جميلة أكملت عقد الأسرة، هي نسرين التي ولدت في مدينة الرياض، وعندما أحست والدتها بالآم المخاض اتصلت هاتفيا بي في العمل، فأسرعت إليها واتصلت بسيارة إسعاف الهلال الأحمر كما هو متبع، وكانت السيارة عندي في خلال خمس دقائق، ونقلتها إلى المستشفى المركزي في الشميسي، وتمت الولادة بحمد الله، وخرجت من المستشفى بعد ثلاثة أيام، وحدثتنا زوجتي عن الرعاية الفائقة التي لقيتها هي والطفلة من طاقم المستشفى. وكان

ذلك قبل الحالة الصحية التي طرأت على زوجتي بحوالي سنتين ..

وبعد انتهاء الأجازة عدنا إلى الرياض دون ريهام وواصلنا تتبع علاج زوجتي، وعرض التحاليل الطبية وتذاكر العلاج التي أجريناها في القاهرة مع كبار الأطباء المصريين المتخصصين في أمراض المخ والأعصاب، ومراكز الأشعة والتحاليل، ولم تخرج النتائج تحديدا عما سبق أن شخصّته المراكز الطبية بالرياض، وواصلنا تتبع الحالة وتقديم العلاج الذي نصح به الأطباء للحد من آثار هذا المرض ..

هذه نقاط شخصية جانبية ما كنت أود الدخول إليها.. ولكن أتت بحكم التسلسل الزمني لتجربة حياتي في السعودية، وعدم تفريغها من بعض مضامينها..

انتظم الأبناء في مدارسهم، وواصلت العمل وفق ما جاء من محطات.. دون إغفال للحالة الصحية لزوجتي شفاها الله .. إلى أن انتهى العام الدراسي ١٩٩٠م وأدى بسام اختبارات الثانوية العامة ومحمد في الصف الثاني الابتدائي.

بعد أسبوعين تقريبا من اختبارات الثانوية العامة أعلنت النتيجة في الصحف السعودية والتي جاء فيها أسماء العشرة الأوائل بمنطقة الرياض، وجاء ترتيب بسام الخامس على منطقة الرياض وكان ذلك في يوم خميس، وفوجئت بأول مهنئ وهو زميل في العمل.. يعمل مديرا لإدارة الأراضي في وكالة الوزارة للشؤون القروية وهو الأستاذ منصور العساف والذي سبق أن تحدثت عنه وعن كرمه، وطيب أسرته وعراقتها، ولم ينقطع رنين الهاتف طوال اليوم من أصدقاء وزملاء مصريين وسعوديين.... وسعدت أنا وزوجتي بهذا النجاح الباهر، وتقدم الأبناء وتميزهم مما خفف عنا كثيرا من الحالة المرضية للزوجة، وسبق ذلك نجاح محمد وانتقاله للصف الثاني الابتدائي بامتياز.

جاء موعد الأجازة فسافرنا إلى القاهرة، وعقدنا العزم على أن تبقى زوجتي والأنجال بها، حيث قُبل بسام كأخته بكلية الطب بجامعة عين شمس، والتحق محمد بمدرسة ابتدائية خاصة ومعه نسرين في مرحلة الحضانة بنفس المدرسة ... وأقام الجميع في شقتنا بمدينة نصر بالقاهرة.

عدت وحدي إلى الرياض لاستئناف عملي بعد ترتيب كل شئ بالنسبة لعلاج الزوجة ودراسة الأبناء، وداومت على زيارتهم مرة كل شهرين، والاتصال التليفوني شبه اليومي بهم إلى أن تخرجوا جميعا، ريهام أصبحت طبيبة بإحدى المستشفيات الكبيرة المتخصصة بالقاهرة، وحصلت على درجة الماجستير في الأمراض الجلدية والتناسلية، أما بسام فقد حصل على بكالوريوس الطب والجراحة بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف وكان ترتيبه السادس على الكلية، فعين معيدا بكلية الطب، حصل بعدها على الماجستير في طب وجراحة العيون، ثم الدكتوراه في نفس التخصص، وأصبح حاليا، أستاذاً مساعداً بالكلية، وأتيحت له منذ ثلاث سنوات سابقة فرصة العمل بالسعودية في مدينة الرياض بأحد المراكز الطبية الكبرى المتخصصة، ومكث بهذا المركز حوالي ستة شهور حيث أن الكلية أخطرته بصدور قرار بابتعاثه لمدة سنتين إلى أسبانيا، فاضطر إلى العودة للالتحاق بالبعثة التي تقررت له خاصة وأن أسبانيا من الدول المتقدمة في طب وجراحة العيون.. كما أنه سيحصل على زمالة إحدى الجامعات الأسبانية، وهذه أمنية قلّ أن تتحقق للبعض،

وقمت بزيارته في أسبانيا وأدهشني كثيرا الصرح العلمي الذي ابتعث إليه ورحب بي رئيسه الأسباني أيما ترحيب، كما أعجبت بالنهضة والتقدم الراقي في هذا البلد الذي تحقق حديثا بعد أن كانت أسبانيا في عداد الدول النامية، وذلك نتيجة الدعم غير المحدود من الاتحاد الأوروبي الذي يشبه إلى حد ما مشروع مارشال لإعادة تعمير أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.. والذي وضعه وقتذاك الجنرال جورج مارشال وزير الخارجية والدفاع الأمريكي .. وعاد بسام بعد انتهاء مدة البعثة ليواصل عمله الأكاديمي بالكلية ... كما أنه افتتح عيادة خاصة في ضاحية مصر الجديدة بالقاهرة.

أما محمد فتخرج من كلية الهندسة جامعة عين شمس قسم تكنولوجيا المعلومات، ويعمل حاليا مهندسا للمعلومات بشركة عالمية هي (إريكسون مصر)، وأخيراً نقل إلي نفس الشركة بجمهورية إيرلندا. وتخرجت نسرين من كلية التجارة قسم إنجليزي وتعمل حاليا في إحدى البنوك الاستثمارية بمدينة القاهرة.

تزوجت ريهام وزوجها الآن أستاذ مساعد بكلية الطب بجامعة عين شمس كما تزوج بسام من صيدلانية تعمل في إحدى المستشفيات المتخصصة بالقاهرة.

أما محمد فقد تزوج هو الآخر من زميلة له في كلية الهندسة تعمل حاليا مهندسة بإحدى الشركات العالمية للمعلومات بالقاهرة ..

توطدت علاقتي بالدكتور صالح المالك – يرحمه الله – منذ كان وكيلاً للوزارة للشؤون البلدية بوزارة الشؤون البلدية والقروية، خاصة بعد تجربتي معه في العمل بمؤتمر رؤساء البلديات والمجمعات القروية الذي عقد بالمدينة المنورة، وكنت على اتصال دائم به منذ ذلك وكان يكلفني ببعض الأعمال البحثية .. إلى أن ترك العمل بمحض اختياره في الوزارة حيث عمل مديراً لكبرى شركات المقاولات الخاصة بالرياض.. التي لم يستمر فيها أكثر من سنتين تقريباً، واستقال وأسس أول مركز للبحوث والاستشارات الاجتماعية والتنموية بالرياض في عام ١٤٠٩ هـ (١٩٨٩م). وكنت وقتها أعمل خبيراً للأمم المتحدة في مشروع التنمية الريفية المتكاملة على نحو ما أسلفت، وطلب مني أن أكون باحثاً متعاوناً بالمركز لبعض الوقت بالإضافة إلى عملي الأصلي .. وأبديت له استعدادي لذلك بشرط موافقة الأمم المتحدة ومن ثم حصل على موافقة البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة للقيام بعملية التعاون ..

كان المركز يقع في حي الملز وفي طور تكوين هيكله التنظيمي ..وتعاونت معه في إعداد هذا الهيكل، والخبرات المطلوبة، والتي تكونت من عناصر مختارة من الباحثين المتميزين وكان أغلبهم من المتعاونين لبعض الوقت وممن لديهم خبرة علمية وبحثية طويلة، لا سيما وأن الدكتور صالح حاصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع الحضري من جامعة متشجن في أمريكا، وعمل في مجالات عدة في الحقل الأكاديمي والاستشاري، وبحوث التنمية حيث كان أستاذاً في الجامعات السعودية، والسويسرية، والأمريكية، وله عدة أبحاث ومؤلفات مطبوعة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية وغيرها، وظل يعمل وكيلاً لوزارة الشؤون البلدية والقروية لمدة طويلة.. إلى أن استقال منها على نحو ما أشرنا إليه.. وأثناء عمله الحر عين عضواً بمجلس الشورى لأكثر من دورة وأخيراً أميناً عاماً لمجلس الشورى بالدرجة الممتازة (معالي) إلى أن توفاه الله في عام ٢٠٠٨م.

شاركت في أبحاث عديدة بالمركز ضمن فريق عمل من الخبراء والباحثين تحت إشرافه، حيث طلبت

بعض الجهات من المركز إعداد دراسات وبحوث تتعلق بعملها، اذكر منها كما رصدت مفكرتي طلب الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية من المركز وضع استراتيجية شاملة لتفعيل وتطوير العمل الاجتماعي في وزارات العمل والشؤون الاجتماعية بدول المجلس، من خلال تحليل الأوضاع الراهنة للأنشطة الاجتماعية التي تقوم بها هذه الوزارات.

وبعد الانتهاء من إعداد هذه الاستراتيجية تم عقد اجتماع موسع في الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية بالرياض.. في بداية عام ١٩٩٣م حضره مندوبون عن الدول العربية الخليجية الست كما حضره فريق عمل الاستراتيجية والذي كنت أحد أعضائه، بالإضافة إلى خبراء الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي، وفي هذا الاجتماع تمت مناقشة مشروع الاستراتيجية وتقويمها وفي النهاية التوصية باعتمادها ..

وشاركت في دراسة أخرى بالمركز لحساب وزارة الصحة حول المرأة السعودية والخدمات الصحية والأبعاد والمؤثرات الاجتماعية، بهدف التعرف على العوامل المحفزة والمشجعة لإفادة المواطنين – وبخاصة

المرأة السعودية – من الخدمات الصحية التي تقدمها الوزارة، مع تشخيص للعوامل الاجتماعية التي قد تضعف من تقبل المرأة لتلك الخدمات مما يمكن الوزارة من تطوير أساليبها في تقديم الخدمات وتوصيلها بشكل أكثر فعالية ..، والاستفادة من الإمكانات والاعتمادات التي تخصصها الوزارة للقطاع الصحي ..، واستعان المركز في إجراء هذه الدراسة.. بأستاذ فاضل من أساطين علماء الاجتماع في مصر والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية، هو الأستاذ الدكتور حسن الساعاتي – يرحمه الله– وكذلك أستاذة فاضلة ورئيسة لقسم الاجتماع بكلية البنات بجامعة عين شمي – آنذاك – الأستاذة القديرة الدكتورة سامية الساعاتي وهي كريمته، حيث انضما إلى فريق العمل واعتمدت هذه الدراسة بالدرجة الأولى على العمل الميداني .. وبعد الانتهاء من الدراسة عكف فريق العمل على استخلاص التوصيات التي تتفق مع نتائجها، وطلب مني الدكتور صالح عندما كنت بإجازة في القاهرة عرضها على الدكتور الساعاتي والدكتورة سامية حيث كانا قد انهيا مهمتهما في الرياض وتوجهت إليهما في منزلهما بشارع الثورة بمصر الجديدة

وعرضت عليهما التوصيات وبعد المناقشة أجريت بعض التعديلات عليها وصياغتها بصفة نهائية.

ويحضرني هنا إبراز ما توصلت إليه هذه الدراسة من توصيات، فقد يكون من المناسب استعادتها للوقوف على مدى ما تحقق منها على أرض الواقع في الوقت الراهن، وأين كنا وكيف أصبحنا، فقد دعت الدراسة إلى الاهتمام ببرامج التوعية والتثقيف الصحي، وإيجاد اللجان الإعلامية التخصصية، وتوفير وسائل الاتصال التقنية لها، وتوفير المزيد من الطبيبات السعوديات، ودعم أجهزة الخدمات الطبية المساعدة بالعاملات من المتخصصات، وتشجيع القبول في كليات الطب لتحقيق الاكتفاء الذاتي من الأطباء والطبيبات، وملازمة الأخصائيات الاجتماعيات أو الممرضات للطبيب أثناء الكشف على السيدات، في حالة عدم وجود محرم لهن، وإنشاء المزيد من المستشفيات والمراكز الصحية، وتعميم الملف الصحي، وزيادة إمكانات أقسام أمراض النساء والولادة بالمستشفيات، واستبعاد ما أشارت إليه الدراسة من عوامل تحد من حسن استفادة المرأة من الخدمات الطبية التي تقدم لهن.

هذه هي الصورة فـي عام ١٤١٣ هـ (١٩٩٢م) فما هو الواقع الآن؟ سأترك أرقام خطة التنمية الثامنة (١٤٢٥ – ١٤٢٠ هـ) تتحدث من أرض الواقع على ما تشهده المملكة من تقدم مرموق في الخدمات الصحية، والعلاجية، ورعاية الأمومة والطفولة وغيرها، في مدة زمنية قياسية تحقق خلالها تقدم كبير في مؤشرات الحالة الصحية..

لا أنسى هنا التفوق الطبي الذي أحرزته المملكة في مجال فصل التوائم السيامية، فقد أصبحت رائدة في هذا المجال وأجريت أكثر من عملية لأطفال سعوديين وأجانب قام بها الطبيب السعودي العالمي الدكتور عبد الله الربيعة وزير الصحة الآن.. حيث أجرى أكثر من عشرين حالة لفصل التوائم وأخذ شهرة عالمية وعلمية في هذا المجال.

من الدراسات الأخرى التي شاركت فيها، وربما كنت العنصر الفاعل في هذه الدراسة ضمن فريق العمل لخبرتي الثرية في مجالها، دراسة خاصة بأوضاع المعوقين في المملكة، وإعدادهم للأعمال التي تتناسب مع

عجزهم وأعمارهم، وذلك لحساب الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة في عام ١٤١٣هـ.

تعرضت هذه الدراسة إلى توضيح الاتجاهات المعاصرة في فهم المعوقين، وتصنيفات الإعاقة، وتحليل للأساليب الراهنة لرعاية المعوقين في المملكة، وحجم المشكلة ودراسة ميدانية عن أوضاع المعوقين، والتشريعات الخاصة بهم التي تعمل بها المملكة، وتحليل لجهود الوزارات المختصة في تقديم الخدمات للمعوقين وغير ذلك من محاور، وخلصت الدراسة من ذلك إلى عدد من التوصيات الموضوعية تتعلق معظمها بدمج المعوقين وتشغيلهم مع تحديد للأعمال التي يمكنهم القيام بها ضمن الإطار الشامل لتنمية الموارد البشرية..

عرضت الدراسة بعد الانتهاء منها على الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة، وكان لها بعض الملاحظات بخاصة فيما يتعلق بالتوصيات، ودور كل جهة في تنفيذها.. وتطلب ذلك مناقشة هذه الملاحظات مع الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة والمركز.. ممثلا في الدكتور صالح رئيس المركز، والباحث الرئيسي للدراسة – وهو شخصي – وتوجهنا إلى الأمانة العامة لمجلس القوى

العاملة، وتم عقد اجتماع مشترك بحضور الأمين العام للمجلس الدكتور /حسين منصور الحازمي، وبعض خبراء الأمانة، وقمت بعرض لمحاور الدراسة ومنهجيتها التي في إطارها تم اقتراح التوصيات، وأسهبت في ذلك من الناحية العلمية والمنهجية، التي أكد عليها الدكتور صالح، وكان لأمين عام المجلس بعض الرؤى الموضوعية التي في ضوئها تم إجراء بعض التعديلات على الدراسة ..

إن المصادفة قد تحدد بعض الأقدار، وهذا ما حدث أثناء مناقشة هذه الدراسة، حيث راق لأمين عام المجلس أسلوب عرضي، ومنهجيتي، وخبراتي البحثية الثرية، خاصة وقد ترددت أكثر من مرة على الأمانة العامة للمجلس بخصوص هذه الدراسة، وبدأت علاقة جديدة كلها احترام وتقدير متبادل .. وكان لذلك وقفة أخرى في مسيرة عملي في المملكة سنتعرض لها تفصيلاً في المحطة اللاحقة ..

في هذا السياق أيضا طلب وكيل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية من رئيس المركز إعداد إطارين لدراستين ترغب الوزارة إسنادهما لأحد المراكز الاستشارية عن طريق المفاضلة في العروض المقدمة،

إحداهما حول ظاهرة التسول في المملكة والوسائل الكفيلة بمكافحتها، والثانية حول تطوير العمل في مراكز التنمية والخدمة الاجتماعية بالمملكة.

كلفني رئيس المركز بإعداد إطار لكل دراسة منهما، وانتهيت من ذلك وبعد مناقشتهما معه، أرسلهما لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، مع العرض الخاص بالدراستين وفي ضوء ذلك فاز المركز بهاتين الدراستين، وتم دعم فريق عمل المركز ببعض الخبراء المعينين والمتعاونين.. للمشاركة في هاتين الدراستين التي أجريتا عام ١٤١٤ هـ.

وباستعراض محاور ونتائج الدراسة الخاصة بظاهرة التسول في المملكة نجد أنها اشتملت على محاور عدة.... منها البناء النظري للدارسة، وإطارها المنهجي، والدراسة الميدانية عن خصائص واتجاهات المتسولين المقبوض عليهم، وكذلك اتجاهات كل من مديري مكاتب مكافحة التسول والعاملين بها حول الظاهرة، وأيضاً اتجاهات المسئولين من ذوي العلاقة بمكافحة التسول في الوزارات والجهات المعنية، واستخلاص النتائج والتوصيات في ضوء ذلك.

من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن عدد المتسولين المقبوض عليهم آنذاك كان حوالي (٨٠٠٠) متسول ومتسولة، ربعهم من السعوديين والباقي من الأجانب، وتكاد تكون النسبة بين المتسولين والمتسولات متساوية، وأن الظاهرة أكثر انتشاراً في مدن المنطقة الغربية ، وبخاصة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة لا سيما في مواسم الحج والعمرة حيث بلغت نسبتهم حوالي ٧٥% من حجم المتسولين المقبوض عليهم، وأن أكثر من ثلثي المتسولين الأجانب قدموا من قارة أفريقيا، وكان المتسولون المصريون في مقدمتهم بنسبة تقارب النصف، أما القادمون من قارة آسيا فيمثلون حوالي ثلث عدد المتسولين الأجانب في مقدمتهم اليمنيون الذين يقاربون نصفهم.

من المهم أن نوضح أهم الأسباب البارزة لتزايد أعداد المتسولين الأجانب.. وتتمثل في الكفالات المفتوحة، العمالة السائبة، والتستر على العمالة الوافدة ربما للتربح، وعدم كفاية العقوبات التي تتخذ ضد المتسولين، وعدم وجود الضوابط الكافية لدى بعض الدول التي تصرح

لهؤلاء المتسولين بالقدوم إلى المملكة في مواسم الحج والعمرة، وغير ذلك ...

تعرضت الدراسة أيضاً إلى الخصائص والعوامل الذاتية والبيئية، وعلاقتها بأسباب ودوافع التسول، وكذلك أساليب التسول وأهم الأبعاد المتصلة به، وأجهزة وآليات مكافحة التسول الاجتماعية والأمنية مع التركيز على مكاتب مكافحة التسول وإمكاناتها، وكان عددها وقتذاك (١٢) مكتباً، كما استعرضت الدراسة ما يتعلق بالجانب الإعلامي والتوعية، والإرشاد لمكافحة الظاهرة، وكذلك الجوانب التنسيقية والتكاملية في مكافحة الظاهرة ، وانتهت الدراسة بتوصيات تتعلق بالجوانب الاجتماعية الخاصة بمكافحة الظاهرة، والجوانب الأمنية والجوانب الإعلامية، والجوانب التنسيقية والتكاملية المستهدفة.

لقد مضى على هذه الدراسة حوالي ستة عشر عاماً، فما هي أبعاد الظاهرة حالياً ومدى فعالية مكافحتها...؟ اعتقد أن الجهات المعنية ربما تكون قد ضاعفت جهودها في هذا السبيل واستخدمت آليات تنفيذية ومنطلقات جديدة لمكافحتها.

أما عن الدراسة الخاصة بتطوير العمل في مراكز التنمية والخدمة الاجتماعية فهذه المراكز قد بدأت أعمالها منذ عام (١٣٨٠ هـ) حيث تبنت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أسلوب تنمية المجتمعات المحلية كعملية للتغيير الاجتماعي الهادف.. كبداية تجربة لبرنامج تنسيقي يربط جوانب النشاطات المختلفة، ويطلق حركة النمو الذاتي داخل تلك المجتمعات، ويصل الجهد الحكومي بالجهد الأهلي، وكان عدد هذه المراكز وقت إجراء الدراسة في عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) ٢٣ مركزاً منها (١٢) مركزا للخدمة الاجتماعية تقع في بعض المدن الرئيسية، (١١) مركزا للتنمية الاجتماعية تقع في بعض القرى، حيث أن مراكز الخدمة تنشأ في المدن، أما مراكز التنمية فتنشأ في القرى .. وتتماثل فكرتها وطبيعة عملها وأهدافها مع الوحدات المجمعة التي شهدتها مصر في الخمسينيات، والتي كانت تابعة لما يسمى مجلس الخدمات آنذاك.

شملت الدراسة الميدانية مسحا بالعينة من الأسر، التي تقع في دائرة خدمات هذه المراكز، والأوضاع الراهنة لها، واتجاهات العاملين بها، ولجان التنمية

الاجتماعية المحلية التابعة لهذه المراكز، وانتهت الدراسة بمجموعة من التوصيات المتعلقة بالمراكز وهياكلها المجتمعية، وتوصيات أخرى خاصة بلجان التنمية الاجتماعية، وثالثة بتوصيات خاصة بالأجهزة العاملة بالمراكز، وأخيرة بأعمال التنسيق والمتابعة.

قد يطرح هنا تساءل أيضا عن أوضاع هذه المراكز حالياً، وهل تم إجراء دراسات تتبعية لها ..؟

هذه هي أهم الدراسات التي استقرأتها من مفكرتي، والتي كنت متعاوناً فيها مع مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية والتنموية...

لقد تقلص نشاط المركز فيما بعد لعزوف الكثير من الوزارات والجهات الحكومية بعامة عن تكليف مراكز أو مكاتب استشارية بإجراء ما يتطلبه عملها من دراسات وبحوث، بعد أن توفرت الكوادر العلمية السعودية المؤهلة العاملة بالقطاع الحكومي، والقادرة على إجراء ما يخص جهات عملها من دراسات وأبحاث.. كما أن رئيس المركز قد انشغل عنه وأصبح من الشخصيات العامة في المملكة

باختياره عضواً في مجلس الشورى لأكثر من مرة، ثم أميناً عاما للمجلس.

لا يفوتني هنا أن أذكر أن المملكة العربية السعودية تولى أهمية كبيرة للبحوث على كافة المستويات، فيسبق كل جديد دائماً بحوث مستفيضة، ثم بحوث تتبعية وكذلك مواجهة أي ظاهرة أو مشكلة من خلال دراسات وبحوث شاملة ... وقد لفت نظري عند صدور خطة التنمية الثامنة في عام ٢٠٠٥م أن نسبة الإنفاق على البحوث يبلغ نحو (٠.٣%) من الناتج المحلي الإجمالي، وهي نسبة متواضعة قياسا بالدول المتقدمة.

لم تنقطع صلتي بالدكتور – صالح – فقد استمرت متواصلة وازداد الود بيننا، فكان يدعوني دائماً إلى مزرعته الشاسعة بالقرب من مدينة الرس بمنطقة القصيم وهي بلدته وتقدر مساحة هذه المزرعة بحوالي خمسمائة فداناً تقريباً على ما أذكر.. مزروعة بمجموعة ممتازة من النخيل المثمر الذي كثيراً ما أهدانا من إنتاجه، وكذلك بعض الفواكه، والمحاصيل الزراعية الأخرى وفي مقدمتها القمح، وغير ذلك.

بالنسبة لموضوع القمح فقد عاصرت ظاهرة تحول المملكة من مستوردة للقمح إلى مصدرة له.. في فترة من الفترات.. في ظل الدعم اللامحدود الذي قدمته الدولة للمزارعين باعتباره سلعة استراتيجية تتصل بسيادة الوطن إلا أنه تمّت زراعته بعد ذلك بكميات محدودة ترشيدا لاستهلاك المياه التي تتطلبها زراعته.

كانت زيارات الدكتور صالح للقاهرة متواصلة لا تنقطع، فكان ممثلاً في بعض مجالس الأعمال المشتركة .. وكان يتصل بي فور عزمه على السفر لما كنت في الرياض، وعند عودتي إلى القاهرة لم تنقطع هذه الاتصالات، حيث كنا نتلاقى كثيراً ونقضي أوقاتاً أتمتع فيها بحديثه وحكاياته وأشعاره، ومعين ثقافته، فكان – يرحمه الله – دائرة معارف متحركة.

منذ حوالي سنتين أصيب بمرض عضال نقل على أثره للعلاج في الولايات المتحدة الأمريكية، وكنت اتصل به دوماً للاطمئنان على صحته... ونتحادث في أمور كثيرة، وكان صابراً مؤمناً، صلداً في مواجهة المرض، وأمله كان كبيرا في الشفاء بإذن الله، ولما تفاقمت حالته عاد إلى الرياض لاستكمال العلاج بمستشفى الملك فيصل

التخصصي، هذا الصرح العملاق العالمي. إلى أن حمل إلي الهاتف نبأ وفاته إلى رحمة الله تعالى يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٨/٥/٢٧م كما تلقيت رسالة جوال من شخصية عزيزة عليّ وعليه حرصت على تسجيلها في مفكرتي لمداومة ذكراه كان نصها: "أحسن الله عزاءكم بالدكتور صالح المالك رحمه الله" فور تلقي هذا النبأ الحزين اتصلت بأسرته في الرياض معزياً وظللت مدة طويلة حزيناً ومهموماً على فراقه، داعياً الله أن يسكنه فسيح جناته، ولا تمر حالياً مناسبة إلا وأتصل بأسرته هاتفياً في الرياض تواصلاً وتأسياً بما كان يحرص عليه دائماً ..

وتتواصل الآفاق ..

كما أسلفنا انتهى عملي بمشروع الأمم المتحدة للتنمية الريفية المتكاملة في منتصف عام ١٤١٤هـ أي في نهاية عام ١٩٩٣م، وأشار على المرحوم حمود المسلم مدير الشؤون القروية، بإمكانية أن أعمل خبيرا في الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة، حيث أن أمينه العام الدكتور حسين منصور الحازمي الذي يعرفني من عملي في دراسة المعوقين يثني علي دائما، وأن هناك صلة تربطهما، ويمكن أن يفاتحه في عملي بالأمانة .. ورحب الأمين العام بذلك وتعاقدت مع الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة بوظيفة خبير اجتماعي ..

كانت الأمانة تشغل مبنى مستأجرا يطل على شارع العليا الرئيسي والمبنى كله من الزجاج غير الشفاف كأنه بانوراما جميلة ..

وباشرت عملي بها في ١٩٩٣/١٢/٥ بعد اتخاذ الإجراءات الإدارية المتبعة.. وألحقت بإدارة البحوث والدراسات، وهي الإدارة التي يعمل بها جميع الخبراء ..

وبدأت باسترجاع منهجيتي عندما أبدأ في عمل جديد، فأطلعت على ما هو متوفر من معلومات عن مجلس القوى العاملة، ومهامه، وتنظيمه، وإنجازاته، ولم يأخذ ذلك مني وقتا طويلا نتيجة خبرتي في محطات العمل السابقة، كما تعرفت على مجموعة الخبراء الذين رحبوا بي كثيراً واستمعت إلى تجارب البعض منهم، وكان عددهم آنذاك يتجاوز العشرة خبراء من جنسيات مختلفة يأتي المصريون في مقدمتهم ثم السودانيون وأخيرا السوريون. كما سعدت جداً بترحاب مجموعة من الكوادر والقيادات السعودية أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ محمد علي الشامان المشرف على مكتب الأمين العام ومستشار القوى العاملة في الأمانة آنذاك فكان بالرغم من مهامه المتعدده بشوشاً يقدم خبراته ومرجعيته العلمية للجميع بإعتباره من المشاركين الأول في تأسيس الأمانة منذ بداية عملها. كنا نجد عنده الجواب الشافي لكل معلومة ذات مصداقية فهو من القيادات المتميزة ذات الكفاءة والقدرات العملية تجده دائم الحراك بموسوعيته المعلوماتية وخبراته الثرية التي لا يبخل بها

على الجميع من خبراء وسعوديين وله ثقله ووزنه في مجال التنمية البشرية والقوى العاملة.

كما أذكر الأستاذ محمد حسن خياط مدير عام الشؤون الإدارية والمالية والذي يعتبر حجة في هذا المجال وكنا نطلق عليه (البلسم الشافي) فعنده الحل النظامي لكل مشكلة إدارية تقابل أي خبير أو سعودي، ولا يتوانى في بذل جهوده في سبيل ذلك بالإضافة إلى حميميته في التعامل مع الجميع بروح الأخوة الصادقة.

كما أذكر الأستاذ خالد الصانع فهو من الكوادر السعودية ذات الخبرات الثرية في مجال القوى العاملة ويتمتع بشخصية قيادية، ويعد من المحركين، هو والأستاذ محمد الشامان لما يصدره مجلس القوى العاملة من قرارات في إطار توجيه الأمين العام واللجنة التحضيرية. بالإضافة إلى إنسانيته وتمتعه بالذوق والود الجميل، وله حضوره في كل الإجتماعات والمواقف. كما يمتاز بالجرأة والتغريد دائماً داخل السرب.

كما أذكر أيضاً الدكتور محمد حبيب مدير عام إدارة الدراسات والبحوث، وهي الإدارة التي عملت بها.

فهو شخصية محببة لطيفة متعددة الخبرات في مجالات القوى العاملة والتنمية البشرية.

ولا أنسى في هذا المجال بعض الخبراء الذين كان لهم بصماتهم في عمل الأمانة، كما كان لهم تأثير إيجابي في عملي يأتي في مقدمتهم الدكتور ساتي عبد الله الخبير السوداني الذي عاصر إنشاء الأمانة في بداياتها والحاصل على شهادة الدكتوراة من إحدى الجامعات العريقة في بريطانيا وله خبراته الطويلة في مجال عمل الأمانة يمكن أن تمثل موسوعة لنا جميعاً، نلجأ إليه عندما يلتبس أمر من الأمور علينا، ويقدم للجميع رؤيته الثرية بكل تواضع العلماء ودون المَن أو الإستعلاء، وعلى شاكلته الدكتور محمد الجعلي الخبير السوداني المبتسم الودود الخبير الذي يتماثل مع الدكتور ساتي في أريحيته وعلمه وتعاونه، ولا أنسى المرحوم الدكتور فوزي تركي الخبير المصري الذي كان نعم الصديق والزميل الذي قدم لي الكثير من الدعم في عملي وزودني بما إحتجت إليه من معلومات بكل ترحاب وود... وغير ذلك من خبراء وكوادر سعودية لا يتسع كتابي لإبراز شخصياتها المؤثرة والمعطاءة في عملها.

عرفت أن المجال الرئيسي لعمل مجلس القوى العاملة يتمركز نحو تخطيط القوى العاملة، باعتبارها أحد أهم الركائز الأساسية لتنمية الموارد البشرية، والتي هي المهمة الرئيسية للمجلس، الذي أنشئ في النصف الثاني من عام ١٤٠٠هـ بموجب مرسوم ملكي ويرتبط مباشرة برئيس مجلس الوزراء وتحددت مهامه في تخطيط القوى العاملة، وتنميتها، وتدريبها، وتطويرها من خلال دراسة الاحتياجات القائمة للقوى العاملة بمختلف فئاتها من السعوديين والأجانب.. وفق متطلبات وخطط برامج التنمية، ووضع السياسات العامة التي يجب على جميع أجهزة الدولة التمشي بموجبها في تنفيذ مسؤولياتها في هذا المجال، واقتراح التنسيق بين البرامج الحكومية المختلفة، لتنمية طاقات المملكة البشرية من خلال البرامج التعليمية والتدريبية، ورسم سياسات توزيع القوى العاملة السعودية وغير السعودية، واتخاذ الخطوات التي تكفل التقليل من استقدام الأيدي العاملة غير السعودية، ووضع السياسات في مجال زيادة مساهمة السعوديين في مجموع القوى العاملة، وللمجلس صلاحيات أخرى وردت في نظام المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني التي

يشرف عليها المجلس. ويشكل المجلس من أعضاء يمثلون بعض الوزارات والجهات المعنية بقرار من مجلس الوزراء، وكان تشكيله طبقا لآخر تعديلات برئاسة صاحب السمو الملكي وزير الداخلية، وأصحاب المعالي وزير المعارف (سميت بعد ذلك وزارة التربية والتعليم)، والمالية، والعمل والشؤون الإجتماعية (إنفصلت فيما بعد وزارة العمل وأصبحت وزارة مستقلة) والصناعة والكهرباء، والتعليم العالي، ووزير الخدمة المدنية، ووزير التخطيط (سميت فيما بعد وزارة الإقتصاد والتخطيط بعد أن إنفصل الإقتصاد عن المالية)، وكل من سعادة رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية في كل من الرياض وجدة والمنطقة الشرقية.

وللمجلس لجنة تحضيرية تشكل من بعض أعضائه برئاسة أمين عام المجلس.. هكذا كان التشكيل الأخير الذي عاصرته .. قبل أن تنتقل مهام المجلس إلى وزارة العمل بعد إنشائها في ٢٣ مارس ٢٠٠٤م، أما عن مهام الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة فهي تولي السكرتارية الفنية للمجلس.. حيث تقوم بالتحضير لاجتماعاته وإبلاغ قراراته للجهات المعنية، وإعداد الدراسات والبحوث التي

يتطلبها عمل المجلس في أي مجال من مجالات اختصاصه، وتجميع المعلومات، والدراسات والتقارير التي تقدم من الجهات المختصة ورفع ما تدعو الحاجة إليه إلى المجلس ..

تعايشت مع واقع هذا العمل الذي لم تكن بواباته ودهاليزه ودروبه بجديدة عليَّ فقد خبرتها في مختلف مجالات عملي السابقة. ومن هنا بدأت العمل بدفعة قوية، فكلفت في بدايات العمل بإجراء دراسة عن تزايد تأشيرات استقدام العمالة الأجنبية في السعودية وترشيدها، وانتهيت منها في فترة وجيزة بالتعاون والتنسيق مع بعض الخبراء والسعوديين.

كان للدكتور حسين منصور أمين عام المجلس منهجيته في تقييم جميع الدراسات التي يجريها الخبراء أو أية تقارير بحثية أخرى، وعرضت هذه الدراسة على فريق الخبراء في اجتماع إشرافي برئاسته وأجيزت الدراسة وكانت إحدى المرجعيات الهامة في عمل الأمانة، وأشاد بها معظم الخبراء والمختصين في الأمانة.

أما الدكتور حسين منصور فهو من الشخصيات التي تحترم عملها، وتدافع عن هذا العمل بصلابة، قد تجعل البعض يتخذون منه موقفا، ولكن سرعان ما يتراجعون أو يتراجع هو بعد ظهور نتائج هذا العمل، وكان يدير الأمانة بكفاءة واقتدار، لا يهدأ طوال اليوم فهو يتنقل بين أدوارها الستة أكثر من مرة يوميا.. يتابع عمل الخبراء، والموظفين حيث تجده فجأة أمامك يسألك ماذا تفعل، وكان هذا لا يروق للبعض. ناهيك عن إنسانيته فهو من أبناء طيبة الطيبة (المدينة المنورة)..

وكان رجلا كريما مضيافا يعتبر نفسه أبا لجميع العاملين في الأمانة، ويمد دائما جسورا من العلاقات الإنسانية معهم، وهو المؤسس الأول للأمانة العامة لمجلس القوى العاملة منذ مرحلة التكوين إلى مرحلة البناء ثم مرحلة الانطلاق، ومن ثم كان يسمونه عاشق الأمانة .. وكان يطمح دائما إلى توصيل رسالة مجلس القوى العاملة إلى المجتمع السعودي بل وإلى خارجه.

وقام بزيارة شخصية إلي مصر، وكنت وقتها في إجازة سنوية بها ففاتحته في إمكان ترتيب بعض الفرص له يتم خلالها توصيل رسالة المجلس إلى المراكز

المتخصصة في مجال تنمية الموارد البشرية والسكان، وفي الوقت نفسه التعرف على بعض الشخصيات العلمية المصرية فوافقني.. وتمت هذه الزيارات التي وثقت العلاقة بينه وبين بعض النخب من العلماء المصريين المتخصصين في مجال القوى العاملة والمؤسسات التي تعمل في مجال تخطيط القوى العاملة وتنمية الموارد البشرية .. ومنها المركز الديموجرافي بالقاهرة حيث وجه له فيما بعد الأستاذ الدكتور هشام مخلوف مدير عام المركز آنذاك دعوة لإلقاء محاضرة حول دور مجلس القوى العاملة باعتبار العلاقة المشتركة في الدور بين المجلس والمركز، فالمركز الديموجرافي يعتبر مجلسا إقليميا يقدم خدماته للدول النامية في أفريقيا وآسيا من خلال مجموعة من المهام، تتلخص في القيام بالتدريب على مجال الديموجرافيا في مختلف المستويات، لخدمة أغراض التنمية، وإجراء البحوث والمسوح في مجال السكان والقوى العاملة ذات الصلة بالبلاد والمناطق التي يقوم المركز بتقديم خدماته إليها، وتوفير الخدمات الاستشارية في مجال السكان والعلوم وتخطيط القوى العاملة للحكومات والمنظمات المعنية، وتنظيم المؤتمرات

والندوات في قضايا السكان على المستوى المحلي والإقليمي، وتصميم وتنفيذ البرامج التدريبية في مجال السكان والموضوعات المرتبطة ..

لبى الدكتور/ حسن منصور الدعوة، وطلب مني التوجه إلى القاهرة لإعداد الترتيبات اللازمة مع المركز بشأن اللقاء المرتقب، وقمت بالتنسيق مع مسؤولي المركز بذلك ..

في الموعد المحدد للقاء حضر الدكتور حسين إلى القاهرة وبرفقته زميل فاضل له بصماته ودوره المحرك والمؤسس والقاسم المشترك في العمل بالأمانة هو الأستاذ محمد علي الشامان مدير عام الدراسات والبحوث في وكالة الوزارة للتخطيط والتطوير بوزارة العمل حاليا، وقابلتهما مع مدير العلاقات العامة بالمركز في مطار القاهرة الدولي ثم اصطحبناهما إلى الفندق الذي سيقيمان فيه ..

في صباح اليوم التالي زاره بالفندق الأستاذ الدكتور هشام مخلوف مدير عام المركز الديموجرافي مرحبا به ومتمنيا له إقامة سعيدة بالقاهرة، واصطحبه

والأستاذ محمد الشامان إلى المركز في حي المقطم بالقاهرة، حيث أطلعهما على نشاط المركز ومرافقه وقدمهما لأعضاء هيئة التدريس، وبعد ذلك توجهنا إلى الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء.. باعتبار العلاقة بين الجهاز والمركز فالمركز الديموجرافي يتبع إشرافيا في ذلك الوقت الجهاز، وتقابلنا مع اللواء أهاب علوي رئيس الجهاز الذي رحب بالدكتور حسين ومرافقه ترحيبا حارا ودعاهما إلى مأدبة غداء بأحد فنادق القاهرة الفخمة .. وتخلل هذه المأدبة أحاديث كثيرة عن السعودية ومصر، والعلاقة الوثيقة بينهما، وما يجب أن تكون عليه دائما، وأهمية تبادل المعلومات والدراسات فيما بين المركز والأمانة ..

في اليوم التالي ألقى الدكتور حسين محاضرته وكانت قاعة المحاضرات بالمركز مكتظة بجموع غفيرة، تضم أعضاء هيئة التدريس والدارسين بالمركز بعضهم من السعوديين، والكثير من رجال الفكر والمهتمين بقضايا التنمية البشرية والقوى العاملة والصحافة .. ولاقت المحاضرة استحسانا من الحضور، وكانت الحوارات والمناقشات ثرية حيث ركزت على قضايا العمالة

المصرية ودورها في السعودية، ومدى فعالية هذا الدور من منظور الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة، ولقد عظم الدكتور حسين دور هذه العمالة لاسيما في حقل التعليم، منذ زمن طويل ودورها الملموس في القطاع الصحي والهندسي وغير ذلك ... وأنها تلاقي كل ترحيب من أبناء المملكة ..

مساء ذلك اليوم أقيم حفل تكريمي على شرف الدكتور حسين ومرافقه حيث أقيمت مأدبة عشاء حضرها بعض كبار المسؤولين بمصر.. وحشد من المهتمين بقضايا الموارد البشرية والتدريب والتعليم، وكان لي شرف حضور هذا اللقاء ... وفي نهاية زيارته للقاهرة، هيأت له كطلبه مقابلة مع بعض الخبراء في التخصصات التي تفتقر إليها الأمانة اختار منهم خبيرين من ذوي الخبرة والكفاءة، والتحقا بالعمل في الأمانة بعد إكمال الإجراءات النظامية المتبعة.

في نهاية الزيارة تجولت مع الدكتور حسين في بعض أحياء القاهرة التراثية والتاريخية وبعض المزارات السياحية الأخرى. وفي هذه الجولات لم ينس شراء بعض

الهدايا التذكارية للزملاء السعوديين القريبين منه دائما في الأمانة.

نعود إلى دولاب العمل في الأمانة فقد أجريت عدة دراسات أخرى شاركت في بعضها مع فرق عمل من الخبراء والسعوديين ومنها دراسات حول أوضاع العمالة والتدريب في بعض المرافق، وأخرى بالعمالة الوافدة والظواهر المصاحبة لها والآثار المترتبة عليها، وكذلك دراسات تتعلق بالعمالة الوطنية في القطاع الأهلي، وغير ذلك من تقارير بحثية ودلائل أعمال... ومنها مشاركة فرق العمل ومركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية في إعداد دراسة حول البطالة في المملكة وأثرها على معدلات الجريمة.

تهدف هذه الدراسة بشكل عام إلى بحث أسباب البطالة، وعلاقة الجريمة بالبطالة، والخصائص الاجتماعية والديموغرافية لمرتكبي الجريمة من العاطلين عن العمل واقتراح الحلول المناسبة لمواجهة هذه المشكلة.

وقد اعتمدت الدراسة على قاعدة بيانات مركز أبحاث مكافحة الجريمة.. الخاصة بجرائم العاطلين عن

العمل، بالإضافة إلى (٧٤٠ استمارة) استبانة جمعت من العاطلين المدانين بسجون مدن الرياض، جدة، مكة المكرمة، المدينة المنورة، والدمام.

من أبرز نتائج الدراسة أن العاطلين عن العمل يمثلون ربع الجناة وأن نسبة أقدامهم على الجريمة تزداد عبر السنوات. وأن غالبية المدانين منهم تراوحت مدة تعطلهم (عدم الحصول على عمل) بين سنة وسنتين، وتصدر المتسربون من التعليم العام (ابتدائي ومتوسط) القائمة بالنسبة لهذه الشريحة. كما أن غالبية العينة (٨٤%) يعتبرون أن البطالة هي السبب في جنوحهم.

كما أظهرت الدراسة أنه لا يمكن النظر إلى البطالة، كرافد مستقل للجريمة، بمعزل عن المتغيرات الأخرى لفئة العاطلين من مرتكبي الجرائم. وفي هذا الخصوص أبرزت النتائج أن غالبية مرتكبي الجرائم من العاطلين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ – حتى أقل من ٣٠ سنة، ومن العزاب وأصحاب المستويات التعليمية المتدنية ويعيشون في أسر قليلة الدخل. كما أن نصفهم يعولون أسرهم.. وبرز تأثر أسرهم بغياب العائل. كما أظهرت

النتائج أيضا أن اكثر من نصف أفراد العينة المبحوثة صنفوا من العائدين للإجرام.

وقد أبرزت الدراسة كذلك، الانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية للبطالة والجريمة. ووضعت لذلك بعض التوصيات التي قد تساهم في معالجة البطالة وانعكاساتها.

إن ما جاء في هذه الدراسة من أبعاد قد يتشابه وأوضاع البطالة وإفرازاتها في مصر، وغيرها من البلدان العربية بخاصة، والبلدان النامية بعامة ..

في إطار اهتمامات الأمين العام لمجلس القوى العاملة بتعريف المجتمع العربي بدور مجلس القوى العاملة وتوثيق العلاقة بينه وبين مؤسسات العالم العربي المهتمة بقضايا التنمية البشرية رتبت له محاضرة أخرى بالتنسيق مع كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، وهي من الكليات المرموقة في مصر.. حيث وجهت له دعوة عن طريق الأستاذ الدكتور باهر عتلم رئيس قسم الاقتصاد بالكلية لإلقاء محاضرة عن دور المملكة العربية السعودية في تنمية وتطوير القوى العاملة

في إطار مجلس القوى العاملة .. وقبل الدكتور حسين الدعوة وتوجه إلى القاهرة وألقى محاضرة رائعة في أحد مدرجات الكلية، وأشار في محاضرته إلى مسارات عدة عن هذا الدور كانت في بعضها غائبة عن بعض الحضور وقوبلت محاضرته بالإعجاب والثناء .. وانتهت بحفل شاي له وللحضور ..

من أبرز محطات هذه المرحلة في الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة أيضا عقد ندوة عن توظيف العمالة الوطنية في القطاع الأهلي، وكان ذلك في النصف الثاني من عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م) .. وجند الدكتور حسين فريق عمل من السعوديين مديري الإدارات وبعض الخبراء كنت أحدهم لإعداد الترتيبات اللازمة لانعقاد الندوة تحت رعاية صاحب السمو الملكي وزير الداخلية ورئيس مجلس القوى العاملة .. وعكفنا على إعداد هذه الترتيبات وبرنامج الندوة ومحاورها ووثائقها وآليات إدارة الندوة ..

شارك في هذه الندوة بعض الوزراء من أعضاء مجلس القوى العاملة، وأيضا بعض رجال الأعمال من القطاع الأهلي ..، وغيرهم من المختصين والمهتمين بقضايا توظيف العمالة الوطنية في القطاع الأهلي واستمر

انعقاد الندوة ثلاثة أيام في فندق الإنتركونتيننتال في الرياض .. وأعدت غرفة عمليات في مقر الأمانة العامة القريبة من الفندق تعمل بها لجنة التوصيات التي ضمت بعض الخبراء كنت منهم، وكذلك مدير عام إدارة الدراسات والبحوث الدكتور محمد حبيب والمشرف العام على مكتب الأمين مستشار القوى العاملة الأستاذ محمد الشامان ومدير إدارة المتابعة بالأمانة الأستاذ خالد الصانع، ومدير عام الشؤون الإدارية والمالية الأستاذ محمد الخياط.

كانت مداولات جلسات الندوة وملخص مناقشاتها ترد إلينا أولا بأول لنستخلص منها التوصيات المناسبة.

أعدت اللجنة المشار إليها مسودة التوصيات النهائية بعد صياغتها وتصنيفها وتم عرضها على الأمين العام، ومن ثم أخذت مسارها للعرض النهائي على الندوة التي أجازتها وبدأ العمل على تفعيلها ..

حل موعد إجازتي السنوية وسافرت إلى القاهرة وخلالها تعرضت زوجتي لانتكاسة صحية جديدة ..، قررت على أثرها البقاء بجانبها وعدم السفر للإشراف

على رعايتها .. وأبلغت الأمين العام هاتفيا بذلك إلا أنه حاول إثنائي عن الاستقالة، وأنه يمكنني البقاء بجانب زوجتي إلى أن تسترد عافيتها .. إلا أن المضاعفات كانت أشد من السابق فسطرت استقالة وأرسلتها له مع أحد الخبراء المصريين في الأمانة الذي كان متواجدا في إجازة أيضا وسيعود إلى الرياض بعد أيام، كما أرسلت معه قيمة بدل السكن السابق صرفه لي مقتطعا منه المستحق الفعلي لي فقط، وكذلك قيمة الالتزامات المالية الأخرى التي كانت في ذمتي ..

بعد وصول الاستقالة اتصل بي هاتفيا الدكتور حسين مقدرا ظروفي وبإنسانيته المعهودة أبلغني أنه يمكن أن يصرح لي بإجازة بدون مرتب لمدة ستة شهور وأنه في انتظار فاكس مني بذلك .. وأرسلت فعلا ما طلبه .. وفي مكالمته هذه أشاد بتصرفي الأمين .. وغير المسبوق.. في رد ما على من التزامات مالية متمنيا لي ولزوجتي كل الخير والصحة ..

انتهت الشهور الستة وتحسنت حالة زوجتي إلا أن الأبناء طلبوا مني البقاء معهم وكفاية غربة .. فامتثلت لرغبتهم، واعتذرت للدكتور حسين ..

لمحات ومنحدرات في مفترق الطرق ...

بدأت أرتب لحياتي الجديدة في أحضان الوطن ..، فواصلت علاقتي بالأقارب، والأصدقاء، والزملاء، وأبناء قريتي ..، كما انضممت لبعض الجمعيات الخيرية، والتطوعية، وشاركت في الكثير من المنتديات الثقافية، والاجتماعية، وأشبعت نهمي في القراءة، ودعمت مكتبتي المنزلية الصغيرة فجمعت فيها كل جديد من الإصدارات في مختلف المجالات، وبخاصة الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والسياسية ..

كثرت أسفاري إلى قريتي .. وقري أخري يقطن بها بعض أقاربي .. كما قمت برحلات جماعية غطت الكثير من جنبات الجمهورية شمالها، وجنوبها، شرقها، وغربها.

فشاهدت نهضة عمرانية غير مسبوقة ،خاصة في مجال البنية التحتية، كما شاهدت قلاعاً صناعية واعدة كالصناعات الاستراتيجية والتحويلية، وتنامي دور القطاع الخاص في هذا المجال، شاهدت طرقا جديدة مسفلتة،

وطرقاً حره، وكباري وأنفاق غطت مواقع كثيرة، وتوسعا في خطوط مترو الأنفاق في القاهرة، واكب كل ذلك إنشاء مدن جديدة غيرت خريطة الإسكان بمصر، وحدث كثير من الإصلاح والتجديد في شبكات المياه، والصرف الصحي، والنقل، والطرق ، والاتصالات واختفت قوائم الانتظار بالنسبة لتركيب التليفونات، بعد أن كان ذلك يستغرق سنوات كثيرة إلى أن يجئ الدور في قائمة الانتظار، ناهيك عن رداءة الخدمة التليفونية بعامة والدولية بخاصة عند بداية سفري إلى السعودية .. بل أصبح لكل أسرة من بين كل أربع أسر خدمة تليفونية منزلية الآن بالإضافة إلى امتلاك ما يقارب من نصف الشعب المصري تليفونات محمولة.

وهنا يعن لي سؤالا من منظوري الاجتماعي وهو: هل هناك تأثيرات تبادلية بين هذه المشروعات العملاقة، والقيم والسلوكيات والاتجاهات السائدة في المجتمع المصري، باعتبار أن مثل هذه المشروعات الإنمائية من المفروض أن تغير قيم أفراد المجتمع وجماعاته بشكل إيجابي ..؟

الإجابة أن ما حدث هو عكس ذلك .. وعكس ما يقوله علماء الاجتماع حيث شاهدت مظاهر كثيرة لنوع من التخلخل القيمي، فاختلت المقاييس، ومعايير التعامل والسلوك، كما اختفت بعض المثل و القدوة الصالحة التي بنت عليها مصر تاريخها الحضاري، والإنساني، وبرزت على السطح معوقات، ومحبطات تعيق الكثير من انطلاق برامج التنمية المستدامة التي قدمتها وتقدمها الدولة باستمرار، ولا تألو جهداً في ذلك ..

وفي هذه العجالة أشير إلى بعض ما هالني وأحزنني، وأصابني بمرارة وحسرة .. ربما لأنني كنت وجها جديدا في هذه المرحلة يطل علي مصر أم الدنيا أرض الحضارات، والقدوة العظمي في تاريخ الإنسانية، بما لها من معالم حضارية، وثروة معرفية ضخمة، وخصوصية تنفرد بها علي كثير من الحضارات .. هكذا كانت مصر دائماً، وستظل كما تربينا في أرضها وتعلمناه عنها في مدارسنا، وجامعاتنا، ونسيج مجتمعها الأصيل باني الحضارة منذ عهد الفراعنة إلى العصر الحديث، والتي تمتلك ثلث الكنوز الأثرية في العالم أجمع.. مصر الأزهر منارة الإسلام .. مصر المحروسة بإذن الله..

والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم ثلاثين مرة منها خمس بالاسم (مصر).

ماذا حدث في عمق الشخصية المصرية .. وغير في قيمها وثوابتها الأصيلة..؟

أين المصري الآن ذو الأصالة .. الطيب .. الخلوق.. الذي ينكر ذاته .. الذي لم يدنس نفسه من خلال فساد .. أو صفقات مشبوهة .. ؟ هل نبحث عنه بمصباح الفيلسوف اليوناني "ديوجين" .. ؟ مصباح الحكمة، ورمز البحث عن الحقيقة .. إن ديوجين كان يبحث عن شئ يعرف مسبقا أنه لن يجده .. ورغم ذلك وجدناه في الكثير من فئات المجتمع المصري الشريفة..، المنتمية لوطنها الكادحة .. التي ربت أولادها وهيأت لهم تنشئة اجتماعية سليمة تعرف الحلال وتنبذ الحرام .. ومازالت تقاوم مغريات هذا الزمن .. وحيتانه .. وخنازيره ..، تجده في الموظف النزيه والفلاح الأمين .. ورجل العمل الذي كون ثروته بجهده، وأمانته..، وإخلاصه، وقدوته الطيبة .. نجده في المدرس الذي يتقي الله في عمله وطلبته .. نجده في الشباب المثقف الواعي الذي يعرف معنى الانتماء والمواطنة .. نجده في السياسي النظيف الذي لا يغير جلده

ولا يؤمن بسياسة ميكيافيلي "الغاية تبرر الوسيلة"، ونجده أيضا في غير ذلك من شرائح كثيرة ..

المجال هنا لا يتسع لتشخيص مستجدات السلوكيات والأخلاقيات والظواهر غير السوية التي تسللت إلى سسيولوجية المجتمع المصري .. وأتمنى من المراكز البحثية والعلمية بمصر تحليل النسق القيمي الحالي في مجتمعنا المصري، والوقوف على طبيعته وأسباب ما طرأ عليه من تغيير ومحاولة صياغته لتعود إليه قيمه الإيجابية، ولتكن البداية التعليم .. التعليم.. التعليم والقدوة الصالحة .. القدوة الصالحة .. القدوة الصالحة .. الإدارة الرشيدة..الإدارة الرشيدة.. الإدارة الرشيدة.. ونظرة أكبر إلى الشارع المصري وازدحاماته .. وما يصاحب هذا الازدحام من ظواهر ومشكلات .. يعاني منها يوميا المجتمع المصري ..

إنطلاقاً من ذلك ولأهمية قضية المرور عقد الرئيس حسني مبارك مؤخراً أكثر من إجتماع وزاري برئاسته أصدر خلالها توجيهاته بضرورة الإلتزام بالتوقيتات الزمنية التي سبق وضعها للإنتهاء من مشروعات مواجهة المشكلات المرورية بالقاهرة الكبرى

من خلال حلول عديدة وتشمل المحاور التنموية في محافظات الصعيد والدلتا وغيرها وتوسيع النقل الجماعي السطحي ومترو الأنفاق والمدن الجديدة والمحاور المرورية وغير ذلك من معالجات تصب في هذا الإطار.

في هذا السياق يقول علماء الاجتماع إذا أردت أن تحكم على مجتمع من المجتمعات عليك التعرف على مفردات حواره وما يدور في شارعه من أحداث.

إن الأمر يحتاج إلى تعمق أكثر .. والي تحليل شامل .. فالمجتمع المصري سريعاً ما يعود إلى جذوره الطيبة .. وعراقته المعروفة على مر التاريخ .. وما ذكرناه ما هو إلا سحابة صيف سرعان ما تنقشع .. وتتطلب وبإلحاح مزيداً من المواجهة بداياتها ضبط هذا الشارع مروريا، وسلوكيا وأخلاقيا .. ومواجهة ومعالجة مضمون الكثير من المفردات الدخيلة على هذا المجتمع التي تتردد حاليا في الكثير من الأماكن .. والتجمعات .. ووسائل الإعلام وبخاصة بعض الصحف غير المسؤولة والتي قرأتها وسمعتها لأول مرة . منها علي سبيل المثال، فهلوة، صناعات "بير السلم" تسقيع الأراضي، تعطيش السوق .. حرق الأسعار .. هبرة، حسنة .. عمولة ..

بقشيش .. إكرامية .. تحت الترابيزة .. أخطف وأجري .. الحوت .. العميل المزدوج .. المنافق السياسي .. الشفافية كلمة حق يراد بها باطل وغير ذلك من مفردات دخيلة على مجتمعنا المصري.

وما آلمنى أكثر هو انتشار الظاهرة الصوتية الحنجورية، وهي ملازمة لمعظم المفسدين في الأرض، تجدها في بعض المكاتب والشركات، والبعض من المتسلقين في كل موقع، والمرتشين، والدخلاء من أصحاب الذمم الخربة في بعض المواقع السياسية، المرفوضين من المجتمع والدولة أساساً فهم كالطفيليات التي سرعان ما تنمو، ولكنها لا تستمر وتموت بالسكتة الأخلاقية السياسية، بعد أن تتجرد من كل القيم والنزاهة.. ويلفظها المجتمع السياسي النزيه.. ويحكم عليها الشعب بالموت السياسي الأبدي..

كان من حسن حظي أو ربما سوء حظي، أن عاصرت أحد المعارك الانتخابية لمجلس الشعب في إحدى دوراته السابقة والتي مضى عليها سنين وسنين وسمعت عجباً .. كان مسرحه حفله زواج بالقاهرة دعيت إليها وأسرتي من بعض المعارف المقربين، وجاءت

جلستي والأسرة بجانب طاولة تجمع بين أطياف مختلفة من المدعوين بينهم بعض الريفيين كما يبدو من مظهرهم، والجميع يتكلمون بصوت مسموع، وكان حديثهم يدور حول موضوع الساعة وهو المعركة الانتخابية الدائرة وقتذاك ..وكان محور الارتكاز والاهتمام في تجمعهم أحد الأشخاص الذي يبدو من هيئته أنه إنسان مثقف واع يتكلم بهدوء ورزانة وكان البعض يحاول استثارته وتحريضه ليتقدم للترشيح، والرجل صامت إلى أن استوعب كل ما دار من أحاديث، ومظاهر، وطرائف عن المعركة الدائرة، وبدأ يتكلم والجميع سكوت، ودفعني الفضول إلى مزيد من القرب من طاولة هؤلاء لأسمع أكثر .. قال الرجل الذي أقدره ولا أعرفه موجها حديثه للمجموعة التي معه ألم تقرأوا الصحف الحزبية، والمعارضة، والمستقلة، والقومية التي تحفل ببعض الفضائح التي يندى لها الجبين عن بعض الشخصيات التي تنوي الترشيح لمجلس الشعب.. تجريح .. سب .. عمولات.. تربح .. ميكافيلية ... ديماجوجية .. تشكيك في نزاهة الشرفاء وتاريخهم .. أقنعة... وقبعات .. وعباءات كثيرة .. يلبسها البعض زيفاً، أو تربحاً أو لدغدغة مشاعر الناس فهناك

من يدعي الناصرية، والناصرية الحقة منه براء، وكل علاقته بالناصرية هي تعليق صورة الزعيم جمال عبد الناصر على جدران منزله أو مكتبه، كنوع من إثبات الذات المزيفة وإحساساً بما لديهم من مركبات نقص يعملون زيفاً على إشعاعها، وهناك أيضاً من يلبس قبعة الشيوعية أو الماركسية ولا يعرف معناها.. أو برنامجها .. وإنما هي نوع من الوجاهة السياسية أو التربح .. وهناك المتمسلم الذي يلبس عباءة الإسلام زوراً وبهتاناً وهو بمسلكه يسئ إلى الإسلام والمسلمين.. وبينه وبين المسلم الحق الذي يتقي الله في خلقه وسلوكه، وعمله، ووطنه، مسافات .. ومسافات .. ولكن هؤلاء المدعين المتقمصين لهذه التيارات ديدنهم أن كل شئ بثمنه .. والشاطر "يترستق" ويقبض الثمن ويخطف ويهرب ..

مضيفا أن هذه النماذج الطفيلية الدخيلة التي تدعي بما ليس لديها، وتلبس أثواباً ليست لها .. للأسف قد تسئ إلى الشرفاء .. والمنتمين الحقيقيين .. لهذه الاتجاهات .. فهناك الوطني النزية..، والمسلم الحق ..، والماركسي .. والشيوعي .. والناصري ..، من أصحاب الأيديولوجيات

الأصلية ذات الثوابت .. التي تحترم نفسها .. ووطنها .. وتاريخ فكرها .. وزعماء هذا الفكر ..

وأردف قائلا لمجتمع طاولته: لقد سمعت وقرأت كثيراً .. عن هذه المبكيات المضحكات لبعض المنتمين لهذه التنظيمات زورا وبهتانا فهي تمثل بؤراً سرطانية.. بخدعها وحيلها ..، وأساليبها الانتهازية .. ومناوراتها غير الأخلاقية المتمثلة في تحالفات مشبوهة، فالمصاحف دائما في جيوبهم جاهزة للأيمانات الباطلة على مواقف وولاءات كاذبة .. ولا مانع عندهم من القسم بالطلاق الذي لا يملون من تكراره .. ثم قال: لا تيأسوا أيها الأصدقاء أن ما يعزينا هو أن هذه الفئات تمثل قلة .. فهي كالزبد يذهب جفاء، وما ينفع الناس يمكث في الأرض .. فهم كالإنسان المجوف النخب الهواء وسيحكم الشعب الواعي عليهم إن آجلا أو عاجلا ويطيح بهم في زوايا النسيان.

وما أثلج صدري وبيض الصورة أمامي ما حفل به كلامه من أمل حيث قال أن الشريحة الأكبر من المرشحين تتسم بالخلق، والنزاهة، والشرف، والأمانة، والغيرة على الوطن .. قبعاتها، وقناعاتها، وعباءتها هي مصر فقط .. إن هذه العملة الجيدة، ستطرد العملة الرديئة

من السوق، وأن كانت قلة قد تسللت في غيبة من الزمن إلى المجلس .. والتنظيمات السياسية الأخرى فستفر إن عاجلا أو آجلا لأنها لن تجد نفسها وطموحاتها المريضة وقد لا تكرر التجربة .. وستنزوي بعيدا وتختفي ظاهرتها الصوتية إلى الأبد .. واختتم كلامه قائلا لأصدقائه: كيف إذن تطلبون مني الترشيح والانخراط في هذه المعمعة غير الأخلاقية .. وأتنافس مع هذه الفقاعات التي لا أملك مثلها أسلحة غير مشروعة.. لم أيأس من هذه الصورة السوداوية، فمصر بحضارتها وتاريخها وعبقريتها وحكامها المخلصين وأجهزتها الرقابية المشهود لها ستستأصل إن آجلا أو عاجلا هذه الكائنات..

بعد مضي عدة سنوات شاهدت في إحدى الفضائيات المصرية مسلسل عمارة يعقوبيان، قصة ورائعة الكاتب الكبير دكتور علاء الأسواني فذكرتني بحديث الطاولة، بشخوصها الانتهازية المتمثلة في عزام السوهاجي عضو البرلمان، وكمال الفولي الفاسد الذي بتربع على قمة سياسية ليس أهلا لها، ومينا الترزي الأفاق الذي تتبعه دائماً دموع التماسيح في كل عملية نصب يقوم بها، وسعيد السالك هذا الفهلوي النصاب ..،

وطلال الذي استباح لنفسه أعراض العاملات بمحله.. وتأكدت أن ما قاله هذا الشخص المثقف الواعي الذي لم أقابله بعد ذلك ولا أعرفه قد ينطبق على مضمون هذه القصة وشخصياتها..

في خضم هذه الأحداث التي تمر بمصرنا العزيزة في ذلك الوقت هاتفني مدير عام الشؤون المالية والإدارية بالأمانة العامة في مجلس القوي العاملة بالسعودية الأستاذ محمد الخياط ليبلغني بما كلفه به الأمين العام للمجلس الدكتور حسين منصور من أن الأمانة في حاجة إلى عودتي للعمل بها .. وما إذا كان عندي ارتباطات تمنعني من ذلك ..؟ فأجبته بالموافقة، خاصة وان صحة زوجتى قد استقرت، وأبنائي قد تخرجوا، ومنهم طبيب وطبيبة يمكنهما رعايتها، وتولي أمور الأسرة .. وعدت إلى الرياض ثانية بعد ما يقرب من سنتين قضيتهما بمصر المحروسة ..

همزة وصل ..

وصلت إلى الرياض في بداية عام ٢٠٠١ (١٤٢٢هـ) وكأني تركتها منذ سنين طويلة.. لما شاهدته من مستجدات عمرانية ..، واقتصادية .. وثقافية .. واجتماعية.. ومؤسسية ..

باشرت العمل في الأمانة في نفس مكتبي السابق، ورحب بي الأمين العام، والزملاء، والخبراء الذين لم يتبق منهم إلا عدد قليل أحدهم سوداني وهو الدكتور ساتي الذي كنا نطلق عليه عميد الخبراء لمعاصرته لعمل الأمانة منذ بداياتها كما سبق أن ذكرت، والثاني مصري هو الدكتور إيهاب سلام الأديب الروائي الإنسان المتواضع والثالث سوري هو الدكتور عبد الرزاق أبو شعر خبير الإحصاءات والمعلومات الخلوق المهذب.

ومن المفاجآت التي قابلتني في أول يوم عمل من عودتي هو وجود الأستاذ عبد الله الفارس الذي عمل معي في وكالة الوزارة للشؤون القروية كما أسلفت والذي إنتقلت خدماته إلى الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة

فتفاءلت خيراً بوجود صديق لازمني في البدايات يتسم بالخلق الرفيع والثقافة الأكاديمية الموسوعية، ويُعد أحد الكوادر السعودية المعطاءة بالجدية المستهدفة ودون كلل وهو من المهتمين بالأفكار العلمية الأكاديمية والثقافية ومتابعة قضاياها. وتشاركنا ثانياً في دراسات وبحوث بالأمانة، وتولى أخيراً كما علمت العمل مديراً بإحدى الإدارات في وكالة الوزاة للتخطيط والتطوير.

عكفت مع فريق الخبراء والسعوديين، في مواصلة العمل اليومي وكان من أهمه تفعيل موجهات استراتيجية تنمية القوي البشرية بالمملكة التي أعدت بناء على قرار من مجلس الوزراء، وأقرها مجلس القوى العاملة، وتشتمل هذه الاستراتيجية على أهداف قريبة المدى وأهداف طويلة المدى، ومن خلالها يمكن تحقيق الهدف العام للاستراتيجية والمتمثل في تهيئة القوى العاملة الوطنية، وتنميتها لتقوم بإدارة وتنمية الاقتصاد الوطني خلال المدى الزمني للاستراتيجية الذي يستغرق مدة خمس وعشرين سنة من عام (١٤٢٠- ١٤٤٥هـ) ولكل من الأهداف قصيرة المدى وطويلة المدى موجهات عمل وسياسات..

في هذه المرحلة مرت الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة بمنعطف جديد حيث أحيل الدكتور حسين منصور أمين عام المجلس إلى التقاعد، وعين الدكتور عبد الواحد الحميد أميناً عاماً للمجلس، وكان في ذلك الوقت عضواً بمجلس الشورى وهو أستاذ اقتصاد معروف في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن أعرق الجامعات السعودية، ومن الشخصيات الاقتصادية المرموقة في المملكة، فهو حاصل على الدكتوارة في الاقتصاد من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية، وكان رئيس تحرير لأكثر من مطبوعة اقتصادية، ونائب رئيس تحرير جريدة "اليوم" السعودية، كما كان عضواً بالهيئة الإشرافية لعدد من المجلات، وله عمود ثابت في صحيفة الرياض عنوانه" علي وجه التحديد" ولهذا العمود جمهوره، لما يطرحه من قضايا اجتماعية ، واقتصادية، وسياسية، ومواقف معاصرة مختلفة ..

أدار الدكتور/ عبد الواحد الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة، وهو مسلح بهذه الذخيرة الفكرية .. ومن ثم كانت إدارته للأمانة العامة تنطلق من أساليب إدارية حديثة، فالإدارة عنده هي إدارة " بالأهداف والنتائج"، من

خلال منهجية إدارية تهدف إلى إعادة هندسة العمليات الإدارية في الأمانة وفق أساليب التقنية الجديدة في الإدارة ومنها " الهندرة" كوسيلة إلى إعادة البناء التنظيمي للأمانة، سعيا لتطوير العمل وتحديثه، بما يكفل سرعة الأداء، وجودته .. هذه كانت رؤيتي عن كثب لأسلوب إدارته للأمانة ..

لقد وجد الدكتور/ عبد الواحد في الأمانة كما كبيراً من الدراسات والبحوث، والقضايا التي قامت الأمانة بدراستها، وعرض منها الكثير على مجلس القوى العاملة، وفي مجالات عدة تتعلق بالقوى العاملة تخطيطا، وتوظيفيا، وتعليماً ، وتدريبياً ..

نعم كان هناك تنسيق في المرحلة السابقة .. ولكن ربما كانت الاستجابة في بعض المجالات تمر بمرحلة التفعيل في بعض جوانبها ..

عقد د عبد الواحد اجتماعا حضره مديرو الإدارات، والخبراء ، والمتخصصين في الأمانة، وعرض فكره، ورؤيته للعمل، مؤكداً على أهمية العمل

الجماعي، والرأي، والرأي الآخر بلا حساسية، ولا حجر على رؤية قد تثري العمل دون تعصب، أو انغلاق.

أن أسلوبه في العمل يقوم بداية على طرح الموضوع المقترح، ويطلب من الخبراء، ومديري الإدارات .. اقتراح مرئياتهم حوله وما يتصل به من محاور .. ثم يتم مناقشتها من خلال اجتماع فريقي للتوصل إلى عناصر أساسية للموضوع، وهنا يكلف خبيرا، أو مدير إدارة ، أو أخصائيا بإجراء دراسة حول الموضوع، ولكن في معظم الحالات كان يكلف فريق عمل من اثنين، أو ثلاثة أحدهما سعودي.

وعند الانتهاء من هذه الدراسة يقرأها أولاً، ثم يدعو إلى اجتماع فريقي تجري فيه مناقشتها، وإبداء ما عليها من ملاحظات، ويكون هو أخر من يدلي بملاحظته حتى لا يتأثر بها الآخرون ..، وفي النهاية قد يرى أن تعاد الدراسة لأخذ ما طرح من رؤى وملاحظات موضع التنفيذ في الصياغة النهائية .

لقد شاركت فريق الخبراء والكوادر السعودية في بعض الدراسات في هذه المرحلة، منها المشاركة في

وضع الأطر البحثية لبعض الدراسات المطروحة على المكاتب الاستشارية المتخصصة، وإجراء التحليل الفني لعروضها، ومتابعة مراحل الدراسة، وتقارير تقدم أعمالها، وكذلك تقاريرها المرحلية والنهائية .. وإبلاغ المكتب الاستشاري بما يتكشف من ملاحظات لإعادة النظر في الدراسة في ضوئها ..

لقد حرك الدكتور عبد الواحد الكثير من القضايا المستجدة في مجال التوطين والسعودة .. فتعددت منتديات، ولقاءات، وحوارات، وإعلام مقروء، ومسموع، ومرئي .. وكان هو قائد هذه الحملة فأخذت قضايا السعودة بعدا إضافياً جديدا .. وكان للمرأة السعودية مساحة كبيرة من هذا الدور .. فشكلت الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة لجنة لعمل المرأة مثلت فيها الجهات المعنية، وأحيل إلى هذه اللجنة، كل ما يتعلق بقضايا تعليم وتوطين المرأة، ومعالجة كل ما يتعلق بذلك .. كما وضعت دلائل أعمال توضح مجالات عمل المرأة، وغير ذلك من دراسات..

في هذه المرحلة عقدت منظمة العمل العربية مؤتمر العمل العربي في دورته التاسعة والعشرون

بالقاهرة في الفترة من ٢ إلى ٨ مارس ٢٠٠٢ وكان د. عبد الواحد ضمن وفد المملكة برئاسة د. علي النملة وزير العمل والشؤون الاجتماعية آنذاك، وتسنى لي حضور هذا المؤتمر مع الوفد المصري ..، ومن أهم ما ناقشه المؤتمر في اجتماعه هذا تقرير عن نتائج أعمال شؤون عمل المرأة العربية، وتقرير آخر حول المؤتمر العربي لتنمية الموارد البشرية، والاستراتيجية العربية لتنمية القوى العاملة والتشغيل، والهجرة والعولمة .. ولاشك أن حضوري هذا المؤتمر أضاف لي خبرات ثرية وكثيراً من الدروس المستفادة ..

وبعد انتهاء المؤتمر أجرى د. عبد الواحد مقابلات مع بعض المصريين الذين رشحتهم له.. بناء على طلبه للعمل كخبراء بالأمانة لسد العجز الموجود، واختار منهم خبيرين انضما إلى فريق الخبراء في الأمانة .. لمواجهة مستجدات المرحلة، وهما الأستاذ محمد عبد القادر الحسيني الحاصل على ماجستير الفلسفة في السكان والتنمية والذي أثبت جديته في العمل وإستوعب مستجداته في فترة وجيزة، وكان من المصريين الممتازين الذين شرفوا بلدهم، وشارك في العديد من الدراسات بالأمانة،

وكان محبوباً من الجميع سعوديين وغير سعوديين وله مجاملاته العملية والشخصية مع الكثيرين. والآخر هو الدكتور خالد السيد الذي لم يستمر معنا كثيراً لظروفه الأسرية، وإن كان أثبت وجوده في العمل خلال فترة عمله القصيرة. وكان د. عبد الواحد في عمله شعلة لا تهدأ، وله قدرة علي انتقاء الموضوعات التي تعالج أوضاع العمالة السعودية لدراستها سواء في مجال التوظيف، أو التعليم والتدريب، أو سلوكيات وأخلاقيات العمل، أو مواعيد العمل في المحلات التجارية دعماً لتوظيف العمالة الوطنية، أو قضية التستر التجاري وانعكاساتها على توطين العمالة، وكان فريق الخبراء، والكوادر السعودية خير معاون له في هذه الدراسات ..

في خضم هذه الأعمال، وتتويجاً لها ومواجهة مستجدات المرحلة تبلورت لديه فكرة حول إيجاد استراتيجية شاملة للتوظيف .. هي "استراتيجية التوظيف السعودية" وعقدت اجتماعات عدة لهذا الغرض، وشاركت مع فريق الخبراء في وضع إطار مقترح لهذه الاستراتيجية، رأي تعديله أكثر من مرة إلى أن اتفق علي الإطار المقترح تسميته ..

ونظـراً لـضخامة العمـل الـذي يخـرج عـن طاقـة امكانيـات الأمانـة البشرية رؤي إسـناد هـذه الاستراتيجية إلـى مكتـب استـشاري متخـصص .. وهكـذا أخـذت عجلـة العمل في الدوران .. بعد عودتي من الأجازة حيث شـهدت الأمانة العامة لمجلس القوى العاملـة تحـولا جذريا سريعا، ففوجئنا بقرار من مجلس الـوزراء فـي نهايـة شـهر مـارس ٢٠٠٤م بإنـهـاء عمــل مجلــس القــوى العاملــة، ونقــل اختصاصاته، وصلاحياته إلـى وزارة العمل وفصلها عن وزارة الــشئون الاجتماعيــة، وتعيــين الــدكتور غــازي القصبي وزيرا للعمل وفي قرار لاحق تعين الدكتور عبد الواحد الحميد وكيلاً لـوزارة العمل للتخطيط والتطوير، ومـن ثـم بـدأت صـفحة جديـدة فـي تـاريخ ومـسيرة القـوى العاملة في المملكة ..

فـي هـذه الآونـة سـافرت إلـى القـاهرة فـي أجـازتي الـسنوية فـي منتـصف عـام ١٤٢٦هـ ، واستيقظت مبكـرا كالعـادة .. بـدأت الاطـلاع علـى الـصحف اليوميـة ... ثـم متابعـة الأخبـار بـالتليفزيون المـصري الـذي نقـل لنـا خبـرا مأساويا وهو وفاة خـادم الحـرمين الـشريفين الملـك فهـد بـن عبـد العزيـز – رحمـه الله – وكـان ذلـك كمـا سـجلت فـي

مفكرتي بتاريخ ١٤٢٦/٦/٢٦هـ، كما أعلن التليفزيون قيام أفراد الأسرة بمبايعة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ملكا على البلاد، وبعد أن تمت المبايعة أصدر أمراً ملكيا باختيار صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وليا للعهد ...

رحل الملك فهد – يرحمه الله – وبقيت أعماله الجليلة والعظيمة وسجله الطويل العريض من أعمال سطرها تاريخه الحافل بحروف من نور .. ستبقى معلما يضاف إلى معالم إنجازات "آل سعود" ...

لقد عاصرت فترة تولي الملك فهد التي استمرت حوالي (٢٤) عاما إلى أن توفاه الله، فشهدت على الطبيعة ما حدث في المملكة من تطورات وإنجازات عظيمة .. تحققت في زمن قياسي وسمي عهده بحقبة البناء والتنمية والإصلاح، وإن كان رحل فإن أعماله بقيت شاهدة له ..

انتهى عمل مجلس القوى العاملة كما ذكرنا بصدور قرار مجلس الوزراء، ونقلت اختصاصاته إلى وازرة العمل، بعد فصلها عن وزارة الشؤون الاجتماعية، ومن ثم أصبحت وزارة جديدة، وعين لها الدكتور/ غازي القصيبي وزيرا، كما عين الدكتور عبد الواحد الحميد وكيلا للوزارة للتخطيط والتطوير ..

أن الدكتور/ غازي القصيبي غني عن التعريف فهو الكاتب .. والأديب .. والشاعر .. والدبلوماسي .. وهو معروف على المستوى الدولي والعربي كأحد رجالات الدولة في المملكة العربية السعودية ..، له بصمات بحروف من نور في كل موقع تقلده منذ كان عميدا لكلية التجارة بجامعة الملك سعود في بداية السبعينات الميلادية.. ثم بعدها وزيرا للصناعة والكهرباء لمدة طويلة..، وكان له دور ريادي نحو المساهمة في إنشاء قلعة البتروكيماويات بالسعودية المتمثلة في شركة

(سابك).. كما شارك في إنشاء أكبر مدينتين صناعيتين هما مدينتي الجبيل وينبع، وتولى بعد ذلك حقيبة وزرة الصحة التي شهدت في عهده قفزات .. أدارها بغير الأسلوب المكتبي .. وإنما من خلال متابعة ميدانية وفجائية .. كانت مضرب المثل وحديث الناس، والصحف، وأجهزة الإعلام .. ونهض القطاع الصحي في عهده نهضة شاملة ..

انخرط بعد ذلك في العمل الدبلوماسي فعين سفيرا للمملكة لدى البحرين، ثم المملكة المتحدة .. وكان وجها دبلوماسيا مشرفا للمملكة ..

في هذه المرحلة كان قاب قوسين أو أدنى ليصبح أول عربي يشغل منصب مدير عام منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو) .. أدار معركته الانتخابية بشرف ونزاهة .. ولكن اللعبة الدولية لها حساباتها .. التي كثيرا ما تفتقر إلى الشفافية والمصداقية .. واختيار الرجل المناسب في المكان المناسب ..

ويبدو أن رجالات الدولة المخلصين يصبحون دائما رجال المهمات الصعبة.. فعين بعد ذلك كأول وزير

للمياه بعد فصلها عن وزارة الزراعة، ثم اسند إلى وزارته قطاع الكهرباء، فكان وزيرا للمياه والكهرباء، وأخيرا أصبح أول وزير لوزارة العمل ..

هذه عجالة سريعة تلقي الضوء على مدى ما يتمتع به هذا الرجل من قدرات، وإمكانيات، وخبرات أهلته ليكون رجل المهمات الصعبة لدى المغفور لهما الملك خالد، والملك فهد يرحمهما الله، وكذلك خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ..

هذه السيرة العبقة انعكست على أداء وزارة العمل منذ بداية توليه الوزارة فكانت له أجندته وسياساته ..

إن سياسته في العمل – كما لمست عن كثب – ظهرت على التوّ خطوطها العريضة في إدارة متمرسة، وتوفير مناخ صحي وثيق العلاقة بين الوزارة وغيرها من الجهات المعنية بالقوى العاملة والتوظيف وفي مقدمتها القطاع الخاص الموظف الرئيسي للعمالة .. مد الجسور .. والقنوات التي تهدف في مجموعها إلى توظيف العمالة الوطنية ..، شكل اللجان الاستشارية التي تضم بعض رجال الأعمال والمختصين بالوزارة برئاسته ..

أما الدكتور/ عبد الواحد الحميد الذي عين وكيلا للوزارة للتخطيط والتطوير والذي عملت معه مباشرة .. فقد تناغم فكره منذ اللحظة الأولى مع توجهات الدكتور غازي .. في مواجهة الطوفان الذي تعاني منه المملكة المتمثل في التوسع غير المبرر للعمالة الوافدة واعتبار السعودة هي خط الدفاع الأول لمواجهة هذه الطوفان ..

هذا عنوان رائعة الدكتور/ عبد الواحد الحميد .. فقد صدر له كتاب بهذا المسمي "السعودة أو الطوفان" في بداية إنشاء وزارة العمل، وهذا الكتاب هو بمثابة وصفة، أو "منافستو" يشخص قضية السعودة وأبعادها وآثارها .. وكيفية مواجهة هذه الآثار ..

قدم الدكتور غازي هذا الكتاب، اقتبس من هذه المقدمة بعضا مما جاء فيها: "من المقولات الطريفة الشائعة أن الذين يعلمون لا يتكلمون، وأن الذين يتكلمون لا يعلمون، وهي مقولة لا تخلو، في بعض الحالات من صحة. إلا أن المقولة لا تنطبق على هذه الدراسة، فكاتبها من الذين يتكلمون عن ما يعلمون. كاتبها، الدكتور عبد الواحد الحميد، شاب نابه من شباب هذه الوطن درس الاقتصاد سنين، وعلم الاقتصاد سنين، ثم نقله قدره إلى

عمل مرتبط ارتباطا وثيقا بموضوع العمل والعمالة، وهو موضوع اقتصادي في جوهره. من هنا يجب أن نستمع بعناية إلى ما يطرحه، وما يطرحه قضية أساسية من قضايا الوطن، وربما اعتبرها البعض، في الظروف الراهنة، قضيته الأولى ..."

وأضاف قائلا "الموضوع يتعلق بمفارقة عجيبة : وجود الملايين من العمال الوافدين في الوقت الذي لا يجد فيه أكثر من ثلاثمائة ألف مواطن فرصا للعمل. هذه المشكلة لم تطرأ بين يوم أو ليلة، بل بدأت بداية صغيرة ثم أخذت تنمو وتتفاقم. ومنذ أن ظهر الشعور بالمشكلة ظهر معها العلاج : السعودة. لم ينقطع الحديث عن السعودة منذ عقدين أو أكثر، ومع ذلك لا زالت السعودة حلما بعيد المنال، أو يبدو كذلك ..."

هنا يحضرني مقال كتبه د. عبد الواحد الحميد نائب وزير العمل في جريدة الإقتصادية بعددها رقم ٥٦٢٢ الصادر بتاريخ ٦ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٣ مارس ٢٠٠٩ تحت عنوان هموم العمل والبطالة في ظل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية بالمملكة هذا المقال يشخص مجريات هذا الطوفان وتياراته وهو أبلغ

ترجمة لذلك كما يعكس مدى ما تواجهه وزارة العمل حاليا من تحديات تتطلب المواجهة اقتطف من هذا المقال بعضا من نصوصه :

"يمكن تصوير واقع سوق العمل من خلال المعلومات الرقمية الآتية :

- معدل البطالة العام : ٩.٨%.
- معدل بطالة الذكور : ٦.٩%.
- معدل بطالة الإناث : ٢٤.٩%.
- عدد المتعطلين السعوديين : ٤٠٠.٠١٩
- عدد المتعطلين (الذكور) : ٢٣٦.٢٣٠
- عدد المتعطلات (الإناث) : ١٦٣.٧٨٩

وهذه الأرقام عن البطالة هي بيانات صادرة من مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات في شهر صفر ١٤٢٩هـ.

من ناحية أخرى، تتكامل الصورة عن واقع سوق العمل السعودي من خلال المعلومات الرقمية الآتية :

عدد التأشيرات الموافق عليها عام (٢٠٠٧م) :

- منشآت القطاع الخاص ١.٢٠٧.٧١٨
- العمالة المنزلية ٤٤٥.١٠٦
- القطاع الحكومي ٥١.٩٣٥
- الإجمالي ١.٧٠٤.٧٥٩

- العاملون الأجانب (٢٠٠٧م) :

- القطاع الخاص ٤.٩٠٨.٨٩٩
- العمالة المنزلية ١.٠٢١.٤٣٨
- القطاع الحكومي ١٨٦.٥٩٤

- إجمالي العمالة الوافدة ٦.١١٦.٩٣١
- المرافقون ٢.٤٣٨.٣٠٧
- إجمالي العاملين والمرافقين ٨.٥٥٥.٢٣٨

هذه البيانات تشير إلى التناقض الصارخ الذي يشهده سوق العمل في المملكة، ففي حين يرتفع معدل البطالة إلى ٩.٨ في المائة بين السعوديين نجد أن العمالة الوافدة تربو على ستة ملايين.

هذا الوقع الغريب لم يتشكل فجأة، وإنما بالتدريج.
وإذا كان هذا الواقع لا يبدو منطقيا ولا معقولا فإن العودة إلى جذور المشكلة ودراسة الأسباب التي أدت إليها تجعلنا نشك في أننا كنا سننتهي إلى غير ما انتهينا إليه حتى لو بدا لنا ذلك للوهلة الأولى غير منطقي وغير معقول."

"أدت الطفرة الاقتصادية التي اجتاحت البلاد في السبعينيات الميلادية إلى إقامة مشروعات تنموية كبرى لم تكن البلاد تملك من الناحية الكمية والنوعية والكوادر البشرية التي يمكن أن تقيم وتشغل هذه المشروعات .. فاضطرت إلى استقدام عمالة وافدة للقيام بهذه المهمة".

"كان الاعتقاد هو أن هذه العمالة ستكون مؤقتة، وبمجرد أن تقام المشروعات التنموية تعود العمالة الوافدة إلى بلادها .. لكن ذلك لم يحدث."

بدأ القطاع الخاص بالتوسع، ولجأ إلى استقدام العمالة الوافدة الرخيصة الأجر لسد الفجوة بين العرض المتاح والطلب. وكنتيجة لذلك قامت أنشطة اقتصادية هامشية لا تضيف قيمة حقيقة للاقتصاد، وأنشطة لا تملك فيها البلاد أي ميزة نسبية."

"وسط هذه الأجواء لم يكن بوسع الشاب السعودي الراغب في العامل أن يقبل بالعمل في القطاع الخاص. فالأجر منخفض، والجهد المطلوب كبير (بعض العمال الوافدين يعمل منذ الصباح الباكر حتى منتصف الليل سبعة أيام في الأسبوع!!)."

"بدأت الأنشطة الطفيلية تتكاثر لدرجة أن بعض السعوديين ممن يصنفون أنفسهم على أنهم رجال أعمال لم يكن عملهم الحقيقي سوى استقدام عمالة أجنبية تعمل لحسابها الخاص وتعطي "رجل الأعمال، السعودي مبلغا متفقا عليه من المال على شكل إتاوة شهرية."

"وفي هذه الأثناء بدأت "قيم الطفرة" تظهر بالتدريج .. فلم يعد الاستقدام مقتصرا على المنشآت والأعمال التجارية وإنما أصبحت الأسر أيضا تستقدم العمالة الوافدة بشكل مفرط على هيئة خدم وسائقين بغض النظر عن الحاجة الفعلية في كثير من الأحيان.

بدأت الآثار السلبية للحياة الناعمة في الظهور .. فوجود الخدم في جميع البيوت تقريبا .. وجود السائقين الخاصين أفرزا أجيالا تعودت على أن تُخدم، فاختفت

قيم العمل الإيجابية، وانخفضت إنتاجية الفرد السعودي الذي تعود على العمل في القطاع الحكومي الذي ينظر إليه على أنه بمثابة ضمان اجتماعي أكثر مما هو بيئة إنتاج حقيقية."

"إن مكافحة البطالة في جميع أنحاء العالم هي مسؤولية الجميع وليست مسؤولية وزارة العمل وحدها، فالبطالة في الدول الأخرى، تتم مكافحتها عن طريق السياسات المالية والنقدية للدولة .. وعن طريق إصلاح النظام التعليمي .. وتكاتف فعاليات المجتمع لزيادة وعي الناس بأهمية قيم العمل الإيجابية .. وأهمية أن يكون الإنسان منتجا."

وأخيرا يوصي د. الحميد المواطن بالآتي :

"التزام الجدية والانضباط. فالقطاع الخاص قطاع ربحي ولا يمكنه أن يبقي لديه موظفا تقل إنتاجيته عن أجره."

"لابد أن يخطو الموظف سلم الحياة الوظيفية خطوة خطوة، فالراتب قد لا يكون في البداية بمستوى الطموح وظروف العمل ليست بالضرورة هي الظروف التي يتمناها الموظف. لكن ذلك كله يتعدل بمرور الوقت."

فالموظف الجيد عملة نادرة يحافظ عليها القطاع الخاص الذي هو ملزم بالسعودة حسب النظام وما دام الأمر كذلك فهو يدرك أن الأفضل له هو أن يحافظ على موظفيه الجيدين."

أصبحت الوزارة بإداراتها وأقسامها وموظفيها كخلية نحل .. أجندات جديدة .. دراسات ... لوائح ... هيكلة ... حراك لاينتهي .. وكانت وكالة الوزارة للتخطيط والتطوير اللاعب الأساسي ...

ركزت الوكالة في هذه البداية على إنهاء مشروع استراتيجية التوظيف السعودية، وشاركت مع فريق الخبراء، والأخصائيين السعوديين، والاستشاري المسند إليه المشروع في مراجعة مسودته، وتنقيحه .. وكان الدكتور عبد الواحد المرجعية الأساسية في الصياغة النهائية ... وانتهينا من الصياغة الأولية للمشروع، ورأى معالي الوزير عرضها في لقاء برئاسته حضره الاستشاري ووكلاء الوزارة، وبعض المختصين فيها، وكذلك بعض رجال الأعمال حيث عرض مشروع الاستراتيجية في عرض مرئي (Presentation) يلخص ما جاء في الاستراتيجية من خلال شرائح

(PowerPoint) تحتوي على محاور هذه الاستراتيجية ومنطلقاتها وأهدافها وموجهاتها وسياساتها ثم عرضت بعد ذلك في ورش عمل حضرها ممثلون عن القطاع الخاص، والوزارات، والأجهزة الحكومية الأخرى المعنية، والخبراء، وأساتذة الجامعات، وعقدت خمس ورش عمل في كل من الرياض، وجدة، والدمام، وحائل، وأبها..

قد يكون من المناسب أن أشير إلى أهم الجوانب التي تعرض لها مشروع استراتيجية التوظيف السعودية كنوع من الدروس المستفادة لمن يهمه الأمر .. مع الأخذ في الاعتبار أن هذا المشروع كان مازال قيد المراجعة النهائية .. بين الوكالة، والاستشاري..

لقد أشار المشروع في مقدمته بأن الاستراتيجية اعتمدت لبلوغ غاياتها وتحقيق أهدافها، وسياساتها منهجية، ومنطلقات أساسية منها التجارب الدولية كالتجربة الكورية، والماليزية، والنيوزيلاندية، والأسبانية، وجنوب أفريقيا، واستراتيجية التوظيف الأوربية ..

أن واقع سوق العمل السعودي ومتغيراته، وتداعياته المستقبلية كما جاءت في النصوص السابقة كان منطلقا أساسيا في بناء الاستراتيجية باعتبار أن هذه السوق يعاني من بعض الاختلالات، والتشوهات كالبطالة، والتجزؤ في جانب العرض إلى عمالة وطنية وأخرى وافدة، واختلال في العلاقة التقليدية بين جانبي العرض والطلب، واستمرار الاستقدام، وفجوة التعليم والتدريب وسوق العمل، والإنتاجية والأجور، وبيئة العمل، وتوجهات الاستثمار، والخصخصة، والعولمة، والانضمام لمنظمة التجارة العالمية، ومعايير العمل الدولية والعربية، والتقنية ومستجداتها ..

لقد اشتمل مشروع الاستراتيجية على بعض المحددات اذكرها بإيجاز منها هيكل سوق العمل السعودي، والمرتكزات الأساسية لرؤية الاستراتيجية المتمثلة في توفير فرص عمل كافية من حيث العدد، وملائمه من حيث الأجر والتوظيف الكامل للموارد البشرية السعودية، وتحقيق ميزة تنافسية للاقتصادي الوطني ..

انطلق من الإطار العام للاستراتيجية أهداف عامة: تتمثل في تحقيق التوظيف الكامل، وزيادة مستديمة في مساهمة الموارد البشرية المواطنة، والارتقاء بإنتاجية العامل لتضاهي معايير الاقتصادات المتقدمة ..

أن المدى الزمني الكلي للاستراتيجية (٢٥ عاما) ينقسم إلى مدى قصير مدته (سنتان) ومتوسط (ثلاث سنوات) وطويل (عشرون سنة) تنقسم إلى مرحلتين متساويتين ..

أن الأهداف العامة للمدى القصير تتضمن السيطرة على البطالة، وزيادة معدلات التوظيف، وزيادة معدلات المشاركة، وزيادة إنتاجية العمالة، أما أهداف المدى المتوسط فهي تخفيض معدل البطالة، وزيادة النمو في إنتاجية العمالة، وأهداف المدى الطويل هي تحقيق ميزة تنافسية اعتمادا على الموارد البشرية المواطنة، وتحقيق التوظيف الكامل، والوصول بمعدل المشاركة وإنتاجية العامل إلى أعلى مستوى ممكن، ولكل من الأهداف بمراحلها المختلفة سياسات، وغايات، وآليات تنفيذية ..

أن المملكة العربية السعودية تنفرد بين الدول العربية بعامة والخليجية بخاصة بوجود مثل هذه الاستراتيجية بالمعنى المفهوم اعتمادا على سياسات، وبرامج إصلاحية، وقرارات إجرائية .. وهكذا دأب المملكة دائما، ومنهجها في مواجهة التحديات، والمستجدات .. لقد شاركت مع بعض الخبراء في متابعة مراحل هذا المشروع منذ وضع إطاره، وأهدافه، وسياساته، وغاياته، وآلياته التنفيذية ومراجعة تقارير الاستشاري حوله .. إلى أن تم وضع مسودته الأولية وإعداد الترتيبات اللازمة لعرضه على ورش العمل من خلال شرائح عرض كما أسلفنا ..

أن قضية توطين العمالة في المملكة كانت هي القاسم المشترك في جميع ما شاركت فيه من دراسات سواء في الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة، أو وزارة العمل باعتبار أنها الخيار الأول نحو مواجهة الكثير من تحديات الداخل وإفرازاتها الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والأمنية، ويتطلب ذلك تجسير العلاقة بين التوطين، والتعليم، والتدريب، والتوظيف فهذه العناصر

الأربعة تعد بمثابة المربع الذهبي في تنشيط سوق العمل في المملكة ..

من هذه التحديات التي تم رصدها في هذه الدراسات قضايا عدة منها المتاجرة في التأشيرات، التستر التجاري، رفض المواطن السعودي العمل في بعض المهن المتدنية وغير الاستراتيجية التي ترتبط بالعمالة الرخيصة الوافدة .. كمهن الحلاقة، والجزارة، والسباكة، والكهرباء، وعمالة النظافة وغيرها .. وعزوفه عن القيام بهذه المهن التي يأنف القيام بها حيث يعتبرها البعض من الأعمال الوضيعة التي تقلل من مكانتهم في أوساطهم المجتمعية ..، وهناك أيضا بعض السعوديين الذي يقيمون مؤسساتهم وفق دراسة جدوى اقتصادية مبنية على عمالة وافدة رخيصة .. يضاف إلى ذلك شكوى بعض أصحاب المؤسسات من سلوكيات وأخلاقيات العمل لدى البعض من الشباب السعودي، وعدم تكيفهم مع بيئة العمل .. وإن كانت هذه قد تكون ذرائع من بعض أصحاب الأعمال لرفض توظيف السعوديين وأن هدفهم هو عمالة رخيصة ومطيعة يمكنهم السيطرة عليها والتحكم فيها وإمكانية إنهاء عملها في أي وقت وترحيلها ..

لقد سمعت كثيرا عن ظاهرة المتاجرة بالتأشيرات، وظاهرة التستر التجاري، .. فقد علمت من بعض العمال المصريين المتواجدين في الرياض بأنهم اشتروا تأشيرة يطلقون عليها – كما قال لهم السعودي الذي استقدمهم "تأشيرة حرة" – رغم عدم وجود تأشيرة للعمالة بهذا المسمى – وتراوح ثمن هذه التأشيرة ما بين عشرة آلاف ريال إلى سبعة آلاف ريال أو ما يوازي من عشرة الآف إلى خمسة عشر ألف جنيه مصري وقد تزيد عن ذلك، وأتى العامل فلم يجد عملا لدى السعودي الذي تعاقد معه، وقبض منه ثمن التأشيرة عن طريق بعض مكاتب التوظيف والوسطاء، بل وأخذ منه جواز سفره، وأبلغه بأنه يمكن، أن يعمل في السوق ما يشاء، وإذا ما وجد العمل يأخذ منه السعودي نسبة شهرية يتفق عليها .. وأتاوة أخرى عند الحصول على تأشيرة الخروج والعودة .. أو إذا سمح له بنقل كفالته .. وبعض السعوديين يدبرون محلا يستأجرونه لهذه العمالة التي تقوم بتجهيزه وتسديد قيمة إيجاره، ويمارسون فيه بعض الأعمال المهنية نظير نسبة أيضا للسعودي الذي استقدمهم.

بحكم مصريتي، والتواصل مع بعض المصريين نما إلى علمي الكثير من هذه التصرفات التي تعرضوا إليها .. ومن تعنت أصحاب العمل معهم وابتزازهم ونصحتهم باللجوء إلى مكاتب العمل لتصحيح أوضاعهم.. وهذه المواقف ليست قاصرة على المصريين فقط وإنما لها أمثلة قد تكون أكثر مع العمالة الأجنبية الأخرى وبخاصة الآسيوية ..

كانت هذه التجاوزات غير السوية من بعض السعوديين مصدرا أساسيا في تكوين بؤر التستر التجاري، والعمالة السائبة .. حيث شهدت بعض مظاهر هذا التستر بخاصة في حي البطحاء، وشارع الوزير القريب من سكني ويمكن القول بان معظم المحلات التجارية في هذا الحي تخص عمالة أجنبية وبخاصة الهندية، ولا يملك السعودي فيها إلى لوحة باسمه على المحل لإخفاء ظاهرة التستر، بل رأيت شققا سكنية بعمارات كبيرة في هذا الحي يتخذها بعض الهنود والبنغاليين كمستودعات سرية مملوءة بأنواع الملابس والإكسسوارات والأحذية والساعات وغير ذلك .. ويعمل بها عمالة آسيوية بخاصة تجيد تقليد (الماركات) العالمية

وطبعها ولصقها على هذه المنتجات لإيهام المشتري بأنها منتجات ذات ماركات عالمية، أو أنها منتجات أوروبية بما يخالف الحقيقة، هذه المستودعات مؤجرة بأسماء سعودية .. بل إذا تجولت في شارع الوزير من أوله لآخره لن تجد سعوديا في جميع المحلات، وإنما ستجد سوريين، ولبنانيين وفلسطينيين تحديدا تحت أسماء ولافتات سعودية.. وهذه الظاهرة ليست قاصرة على هذه الأحياء فقط، وإنما قد تجدها في جميع الأحياء، بل وجميع مدن وقرى المملكة ..

أن دور السعودي المتستر على هذه العمالة هو فقط الحصول على مبلغ شهري مقطوع دون النظر إلى ما يرتكبه من مخالفات يجرمها النظام في المملكة على الطرفين.

في هذا السياق أيضا هناك مظاهر أخرى خاصة بالعمالة السائبة قد يراها من يستيقظون مبكرا في حي البطحاء فهذه المنطقة مملوءة بالعمالة الأجنبية السائبة معظمها من الباكستانيين، والهنود وغيرهم يحملون مقاطفهم، ومعداتهم، ومعاولهم .. يعرضون خدماتهم على المارة من السعوديين وغيرهم ..

بل ما هو أنكى وأمر أن معظم عمليات المقاولات الصغيرة يقوم بها السوريون بخاصة، واليمنيون لحسابهم الخاص، وكذلك محلات الجزارة فهي منحصرة بين المصريين، والسوريين، واليمنيين، وكذلك محلات الأسماك وأغلب العاملين فيها من الهنود والباكستانيين والمصريين وكله بالتستر أيضا ..

في مجال التستر كذلك ستجد الخدمات العامة التي يقوم بها السباكون والكهربائيون، والمكوجية، ومحلات المغاسل، وإصلاح السيارات، وصوالين الحلاقة والخبازون وغير ذلك.. تؤدى كلها بالتستر تحت لافتة سعودي يتقاضى معلوما شهريا من العامل الأجنبي.

شاركت في دراسة عن التستر التجاري وأبعاده وأشرف عليها الأستاذ الدكتور مفرج الحقباني الأستاذ بكلية الملك فهد للدراسات الأمنية والذي تعاون الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة ووكالة الوزارة للتخطيط والتطوير في الإشراف على بعض الدراسات من خلال خبراته الواسعة والممتدة في مجال البحوث والدراسات وكان لي الشرف التعامل معه مباشرة في عدد من الدراسات، وإستفدنا جميعاً من خبراته التي قدمها بكل

تواضع وأريحية وقد أصبح الآن وكيلاً لوزارة العمل للتخطيط والتطوير. وكان من مقترحات دراسة التستر التجاري إجراء تعديل على نظام مكافحة التستر وعدل النظام فعلا وباستطلاعه تبين لي أنه من الصعوبة إثبات حالة التستر .. وطول الإجراءات التي تتخذ في مثل هذه الحالات ..

أن نظام الكفيل هو المنبع الرئيسي لهذه التجاوزات، وهذا النظام كما أشرنا إليه في بعض الدراسات التي قامت بها الأمانة أو الوكالة يرجع إلى عام ١٩٥٤م. وكان النظام كما وضعه المستشارون القانونيون في البداية ينحاز إلى العامل ضد صاحب العمل، لدرجة أن بعض رجال الأعمال السعوديين يعتقدون أنه كان مجحفا في حقهم.. وتعدل هذا النظام أكثر من مرة ربما لصالح أصحاب الأعمال .. فحدثت به بعض التشوهات ..

هذه التجاوزات كانت على طاولة وزير العمل منذ توليه الوزارة .. وهاله أيضا ما أسفرت عنه بعض الدراسات من أن السعوديين العاملين في القطاع الخاص لا يزيد عن ١٥% من إجمالي العمالة في هذا القطاع ..، واعتقد أنه قد يكون دهش أكثر لما عرف أيضا من بعض

الدراسات التي أجريت في وكالة الوزارة للتخطيط والتطوير والتي اعتمدت على ما نشرته الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في عام ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م) عن تحويلات العمالة الأجنبية بالمملكة إلى بلدانها من خلال القنوات الرسمية قد ارتفعت ثلاثة أضعاف خلال الفترة ١٩٨٦ – ٢٠٠٠م حتى بلغت حوالي خمسة عشر مليارا ونصف المليار من الدولارات في عام ٢٠٠٠م، وإن كانت نقصت عن ذلك بحوالي (٣٠٠) مليون دولار في العام التالي (٢٠٠١م) .. ولاشك أن لهذه التحويلات بهذا الكم الهائل أثر كبير على ميزان المدفوعات، وحجم الاستثمار .. ولو أنفقت هذه التحويلات أو نسبة منها داخل المملكة لكان لها تأثيرات إيجابية في حل مشكلة البطالة .. وخطط التنمية .. والحد من الآثار الجانبية للعمالة الأجنبية ..

إذن لم يأت كتاب الدكتور عبد الواحد الحميد (السعودة أو الطوفان) أو مقالته المنشورة أخيرا في صحيفة الشرق الأوسط من فراغ فما أشرت إليه من ظواهر ومظاهر يجري في تيار هذا الطوفان ..

من هنا كان لوزير العمل مواقف حاسمة وصادمة للحد من هذه التجاوزات التي تغلق باب الوظائف على السعوديين في القطاع الخاص، فصدرت قرارات عديدة بإيقاف الاستقدام لعدد كبير من المنشآت المتجاوزة التي تعتمد عمالة سعودية وهمية ضمن وظائفها، والعمل على محاصرة حالات التستر التجاري الذي أطلق عليه الوكيل المساعد لتوظيف السعوديين في الوزارة بأنه "القاتل الصامت".

لقد اتخذت الوزارة الكثير من الإجراءات الوقائية للحد من العمالة الوافدة سواء كانت نظامية أو سائبة أو متسترة، فحدث استنفار في الوزارة وفي مكاتب العمل المنتشرة في أنحاء المملكة التي ركزت جهودها للتفتيش على المخالفات بعامة ومخالفات توظيف العمالة الوطنية بخاصة باعتبار أن الوطن جدير بأبنائه وأبناؤه أجدر ببنائه، وهذه مقولة بعض مديري هذه المكاتب.

أعود إلى موضوع آخر يتعلق بالترتيبات الداخلية التي تتخذها الوزارة لمواجهة المرحلة المستقبلية، وبناء قواعدها التي تواجه بها تحديات هذه المرحلة... ومنها تعديل نظام العمل، وشاركت مع بعض الخبراء

والمختصين السعوديين في دراسة مشروعه الأولى بالأمانة العامة لمجلس القوى العاملة، وتم إجراء بعض التعديلات عليه، وطرح على رجال الأعمال من خلال الغرف التجارية الصناعية إلى أن أنشئت وزارة العمل فأعيدت صياغته وفق توجهات المرحلة الجديدة.. وأخيراً أصدره مجلس الوزراء في نهاية عام ١٤٢٦هـ.

أهم ما اشتمل عليه النظام، هو تأمين بيئة عمل مناسبة لتشجيع السعوديين على العمل في القطاع الخاص، مع عدم الإخلال بواجبات وحقوق أصحاب العمل والعمال.. كما لم يتطرق النظام إلى مسمى الكفيل الذي استبدله باسم صاحب العمل.. اتساقاً مع قرار سابق لمجلس الوزراء بإلغاء نظام الكفيل، وغير ذلك من مواد تصب في صالح العمالة الوطنية والوافدة، وفي الوقت نفسه يحافظ على حقوق صاحب العمل والعامل ..

إضافة إلى ذلك كانت هناك دراسة جارية لوضع الإجراءات التنفيذية لإلغاء نظام الكفيل .. وإن حدثت انفراجات كبيرة في المرحلة الأخيرة نحو التخفيف من قيود هذا النظام، ومن تحكم أصحاب العمل وتعسفهم تجاه هذه العمالة.

كانت من مواجهات هذه المرحلة أيضاً النظر إلى البناء الداخلي لهيكل الوزارة ليتناسب ومستجدات المرحلة فقد عكف المسؤولون بها لإعادة هذه الهيكلة..

وبادرت وكالة الوزارة للتخطيط والتطوير في أخذ دورها نحو إعادة بنائها التنظيمي ضمن الهيكل العام للوزارة .. وكنت أحد المشاركين الرئيسيين في فريق العمل الذي أعد مشروع هذا التنظيم بموجبه ومتابعة الدكتور عبد الواحد حيث اقترح الفريق بعض الجوانب التي لاقت قبولاً منه، وإن كان أضاف وحذف وعدل البعض إلى أن انتهينا من إعداد مشروع هيكل الوكالة، الذي عرض بعد ذلك على الإدارة العامة للتطوير الإداري لدراسته وضمه إلى الهيكل العام للوزارة، وتحديد خطوط الاتصال الرأسية والأفقية والإشرافية للبناء التنظيمي.

إن الإدارات العامة لوكالة الوزارة للتخطيط والتطوير التي جاءت في مقترحات الوكالة، وتم اعتمادها هي : الإدارة العامة للثقافة العمالية، الإدارة العامة لشؤون القطاع الخاص وسوق العمل، الإدارة العامة للتصنيف والتوصيف المهني، الإدارة العامة لتخطيط القوى العاملة، الإدارة العامة للدراسات والبحوث، الإدارة العامة

للإحصاءات العمالية، ثم مركز المعلومات، ويتبع هذه الإدارات العامة إدارات فرعية.

لمست عن قرب خلال الفترة التي قضيتها في وزارة العمل منذ نشأتها ومدتها حوالي السنتين حرص الوزارة على توظيف العمالة الوطنية، وترشيد الاستقدام، وما وفرته الوزارة من دعم "لوجستي" في هذه الاتجاه وقد أخذ هذا الدعم أشكالا ومضامين متعددة، فوجدنا صندوق تنمية الموارد البشرية الذي أنشئ عام ١٤٢١هـ، ويرأس مجلس إدارته وزير العمل ينطلق إلى آفاق اكبر في تحقيق المعادلة الصعبة الخاصة بتأهيل وتدريب الشباب السعودي بما يتناسب واحتياجات سوق العمل، وزادت مشاركة القطاع الخاص في برامج تأهيل هؤلاء المتدربين، حيث يتحمل صاحب العمل المستفيد من تأهيل المتدرب نسبة من أجور وتكاليف التدريب، وجزءا من راتب موظفيه المتدربين خلال البرنامج، ويساهم الصندوق بنسبة أخرى من أجور وتكلفة التدريب، وأيضا بجزءٍ من راتب الموظف المتدرب لفترة لا تزيد عن سنتين، ولم يألو الصندوق جهدا في تحفيز القطاع الخاص نحو استيعاب المزيد من القوى العاملة الوطنية ..

أما الجناح المساند لهذا الدعم، فهو المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني التي تشرف عليها وزارة العمل وذلك من خلال ميزانياتها الضخمة التي تخصصها الدولة لكلياتها ومعاهدها، ومراكز تدريبها، وبرامجها السريعة في تأهيل وتدريب الشباب السعودي بما ينعكس إيجابا على توظيف الشباب السعودي، كما أن الوزارة تدعم كل المبادرات الفردية التي تساهم في سعودة الوظائف، وتوظيف الشباب السعودي من خلال برامج مثمرة ومبتكرة ومنها على ما أذكر تجربة رجل الأعمال عبد اللطيف جميل حيث أنشأ صناديق متخصصة لبرامج التأهيل، والتدريب، وأخرى لبرامج توفير فرص العمل، وثالثة لبرامج الخدمات الصحية والاجتماعية، وأيضا تجربة شركات الزامل للاستثمار الصناعي، وتجربة أخرى مماثلة لشركات الرميزان للذهب والمجوهرات، وكذلك تجربة شركة كانو في التدريب على رأس العمل والتي تغطي مجالات كثيرة لتحقيق نسبة عالية في السعودة والتوظيف، وكذلك تجربة مماثلة لشركة عبد اللطيف العيسى.

واكب ذلك كله أيضا حملة إعلامية، وشحنا منظما وهادفا لحث القطاع الخاص وتبصيره بتأثيرات تدفق العمالة الوافدة على قضية السعودة والتوطين وغير ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية وأمنية ..

قاد هذه الحملة معالي وزير العمل وشاركه أركان حربه من وكلاء الوزارة، والمختصين .. والتي بدأت فور توليه الوزارة مباشرة حيث كنت قريبا من هذه الحملة والتي بدأت بصدور بيانه الأول بعيد تكليفه بالوزارة ثم محاضرة لمعاليه تؤكد على رؤيته المستقبلية في مواجهة هذا الطوفان وكان موضوعها (نحو استراتيجية موحدة لمكافحة البطالة) وشرفت بحضورها وكانت هذه أول مرة التقي بمعاليه عن كثب .. أفاض في الحديث عن مشكلة البطالة .. وتشخيصها .. وآثارها.. وما ترتب على وجود عمالة منخفضة التكاليف .. من اختلال جذري في سوق العمل .. وأضاف أن مشكلة البطالة لن تحل، والسوق ملئ بملايين من العمالة الوافدة منخفضة التكاليف .. مذكرا بما قاله بعيد تكليفه بالوزارة في بيانه الصادر بهذه المناسبة والذي جاء فيه أن وزارة العمل سوف تعمد على الفور إلى إنقاص سقف العمالة الوافدة بشكل ملموس، وعلى

نحو منهجي متدرج لا يضر بالتنمية، ويأخذ حاجات القطاع الخاص الحقيقية بعين الاعتبار، وترجو الوزارة من الجميع أن يحصروا طلباتهم من العمالة الوافدة في أضيق حد ممكن، حيث أنها لن تصدر تأشيرات عمالة إلا عند وجود حاجة فعلية تقتضي ذلك" ..

تخلل كلمة معالي الوزير بديهة حاضرة في الرد على ما طرحه الحضور من تساؤلات .. وأضافت قفشاته الذكية والطريفة .. وشاعريته .. نكهة .. أشاعت جوا من القبول بين الحاضرين .. ونجحت في استثارتهم ..

واكب هذه اللقاءات .. بعض الكتيبات التي أصدرتها إدارة العلاقات العامة والإعلام بالوزارة تحت إشراف مديرها الهمام المثقف والذي يقوم بدور مساند وملموس في مجال الإعلام الواعي في الوزارة وهو الأستاذ حطاب العنزي، أخص منها كتيب لمعالي الوزير عن الأهداف .. والأولويات .. والذي يضع وصفة متكاملة لمواجهة شبح البطالة .. وحث القطاع الخاص على فتح أبوابه للعمالة الوطنية، وفي الوقت نفسه وجه بإنصاف العمالة الوافدة حيث قال معاليه "أن معاملة بعض أرباب العمل السعوديين، وهم بحمد الله نسبة قليلة، لعمالهم

الوافدين هي معاملة يندى لها الجبين، وتسئ إلى سمعة هذا الوطن المسلم العربي العريق، وإلى تقاليده وعاداته النبيلة ولن تسمح الوزارة تحت أي ظرف من الظروف باستمرار مثل هذه المعاملة، وسوف تعمل الوزارة على إنصاف كل عامل وافد لا يتلقى المعاملة اللائقة ممن يعمل لديه" ..

وتأكيدا على هذا القول فقد أوجد معاليه آلية لمتابعة أحوال العمالة الوافدة .. وما قد تتعرض له من تعسف أو مشكلات، فأنشئت لأول مرة إدارة في وكالة الوزارة للشؤون العمالية بمسمى "إدارة رعاية العمالة الوافدة" بهدف تقديم خدمات الرعاية للعمالة الوافدة في مجال العلاقات العمالية، وفي إطار نظام العمل .. وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على ما توليه وزارة العمل والوزير شخصياً من اهتمام وحرص للمحافظة على حقوق العمالة الوافدة، وضمان عدم الإساءة إليها، وفي هذا السياق أيضا كتب معاليه عدة مقالات في صحيفة الاقتصادية السعودية جمعت في كتيب بعنوان عملك عزيزي المواطن .. أصدرته وزارة العمل.

في نفس المنطلقات أيضا أصدرت الوزارة كتيبا عنوانه "جهود وزارة العمل لمكافحة الاتجار بالبشر، وضمان حقوق العمالة الوافدة" جاء فيه "إن جهود وزارة العمل في هذا المجال تبرز ثلاث فئات، تتعلق بهذه الظاهرة وهي العمالة الوافدة، وعمالة الأطفال، والنساء، فتعمل الوزارة على حماية العمالة الوافدة من سوء المعاملة، أو الاستغلال، أو انتهاك الحقوق من خلال تطبيق أحكام نظام العمل الواضحة فيما يتعلق بحقوق، وواجبات العمالة، وأصحاب العمل، يحوي نصوصا صريحة للمحافظة على تلك الحقوق، والواجبات، ولا يفرق النظام في هذا المجال بين العامل السعودي وغير السعودي."

من الدعم اللوجستي أيضا إصدار الوزارة للائحة خاصة بخدم المنازل والمربيات .. طرحت للمناقشة .. وكان لوكالة الوزارة للتخطيط والتطوير بعض الملاحظات على مشروع هذه اللائحة أبديت بعضا منها، وبعد مناقشة مشروع هذه اللائحة على كافة أصعدة الوزارة اعتقد أنها صدرت فعلا ..، كما ساهم بعض المشايخ والعلماء في دعم رعاية هذه الفئة من خلال

مطبوعة صادرة عن الوزارة موضوعها "حذار من ظلم الخدم وإهانتهم".

كما تناول فضيلة المفتي العام للمملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء، وإدارة البحوث العلمية والإفتاء الشيخ عبد العزيز عبد الله آل الشيخ في إحدى خطب الجمعة التي ألقاها بأحد المساجد الكبرى بمدينة الرياض موضوع "حقوق العامل وواجباته"، حث فيها أصحاب العمل على الالتزام بعقود عمالهم، والتعامل معهم بالحسنى، ونهى عن استخدام عمالة وافدة وتسريحها في الشوارع يعملون ما يشاؤون تحت مؤسسات وهمية .. ويمتصون من دخولهم، ومن عرق جبينهم أحيانا كل شهر أو عندما يحتاجون إلى السفر .. ومنها أن يخسر العامل حقه وهذه من كبائر الذنوب .. وأصدرت وزارة العمل كتيبا يتضمن بعض ما جاء في هذه الخطبة ..

وأخيرا .. شكلت الوزارة إبان عملي فيها فريق عمل من المختصين ببعض الوكالات لإعداد دليل إرشادي للعمال الوافدين للعمل في المملكة العربية السعودية.. وبعد انتهاء هذا الفريق من إعداد مشروع هذا الدليل .. طرح على المختصين في وكالات الوزارة المختلفة ومنها وكالة

التخطيط والتطوير وكان لي شرف المشاركة مع الزملاء في الوكالة بإبداء بعض الملاحظات عليه .. وأصدرت الوزارة هذا الدليل في مطبوعة .. وأتاحته لجميع المعنيين من أصحاب العمل، والعمال ..

ولأهمية هذا الدليل بالنسبة لمن هم على أهبة السفر للعمل بالسعودية، أو من يسعون للسفر من المصريين وغيرهم أو العمالة الوافدة الموجودة في السعودية حاليا .. أو لأصحاب العمل فقد أفردت له ملحقا في كتابي هذا بنصه كما أصدرته وزارة العمل في عام ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

في هذا السياق أيضاً وبعد صدور كتابي هذا شرفت بدعوة تلقيتها من الملحق الثقافي السعودي بمصر سعادة الأستاذ محمد بن عبد العزيز العقيل،- وهو شخصية مرموقة وفاعلة في الوسط الثقافي المصري، وفي عهده حققت الملحقية انتشارات ومبادرات ثقافية تصب في صالح الحركة الثقافية السعودية والمصرية – لحضور إفتتاح البرنامج الثقافي المصاحب للمشاركة السعودية في الدورة (٤٢) لمعرض القاهرة الدولي

للكتاب، والذي تضمن الندوة الرئيسية في البرنامج الثقافي الذي أقيم على شرف وتحت رعاية معالي سفير خادم الحرمين الشريفين في جمهورية مصر العربية معالي الأستاذ هشام محي الدين ناظر في مساء يوم السبت الموافق ١٤٣١/٢/١٥هـ الموافق ٢٠١٠/١/٣٠م، وكان موضوع الندوة الرئيسية يدور حول:

"مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين إتباع الأديان والثقافات – أبعادها وآثارها" حيث ألقى الأستاذ الدكتور/ عادل بن علي الشدي – الأمين العام للمركز العالمي للتعريف بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ونصرته – محاضرة قيمة حول الموضوع والتي دارت أبعادها في إطار الآتي :-

- إبراز الآثار الإيجابية لمبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله للحوار بين إتباع الأديان والثقافات في إشاعة القيم الإنسانية.
- التأكيد على الأبعاد الخيرة التي انطلقت منها مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله للحوار.
- جهود رابطة للعالم الإسلامي في تنظيم مؤتمرات الحوار ضمن مبادرة خادم الحرمين الشريفين.
- عرض ابرز نتائج مؤتمرات الحوار في مكة المكرمة ومدريد ونيويورك وجنيف.

وقبل هذه المحاضرة تجولت في أجنحة المعرض الدولي للكتاب وأثلج صدري هذا الكم الهائل والذخيرة القيمة لما احتواه من كتب قيمة، وعصير شاف لهذه الكتب وبخاصة الجناح الكبير للمملكة العربية السعودية الذي نظمته السفارة السعودة والملحقية الثقافية، وكان الأستاذ عبد الله الوتيد مدير الشؤون الثقافية بالملحقية شعلة لا تهدأ في سبيل إبراز الوجه الثقافي المشرق للسعودية من خلال تنظيم هذا الجناح المشرف، وأتيح لي من خلاله الحصول على مطبوعة صادرة حديثاً عن وزارة العمل السعودية تدور حول شؤون وزارة العمل وشجونها، وتحتوي هذه المطبوعة المتمثلة في كتيب يحتوي على لقاء صحفي شامل أجرته صحيفة الجزيرة مع معالي وزير العمل الدكتور غازي القصيبي بعددها رقم (١٣٣٠٢) الصادر بتاريخ ١٤٣٠/٣/٣هـ الموافق ٢٠٠٩/٢/٢٨م، والمقال الثاني أجرته جريدة الاقتصادية مع معالي نائب وزير العمل الأستاذ الدكتور عبد الواحد الحميد بعددها الصادر برقم (٥٦٢٢) وتاريخ ١٤٣٠/٣/٦هـ الموافق ٢٠٠٩/٣/٣م. واللقاء والمقال – كما جاء في مقدمة الكتاب – يعكسان شؤون وشجون وزارة العمل والتي تهم المواطنين بجميع شرائحهم من رجل أعمال يسعى لتنمية أعماله، إلى شاب في ريعان شبابه يبحث عن وظيفة، إلى ربة منزل تحرص على وجود عاملة منزلية تساعدها على أداء أعمالها.

ودون الدخول في تفاصيل هذا الحوار الذي أنصح كل مواطن سعودي ووافد بقراءته والتعرف على أبعاده. وأكتفي هنا بالإشارة إلى خطوطه الرئيسية كما حددها معالي الوزير وجاءت في الكتيب وتتمثل في:-

- وراء كل عامل سائب مواطن تخلى عن مسؤوليته الوطنية والأخلاقية.
- لن يتوقف عن دفع المواطن للقطاع الخاص.
- مشكلتنا الرئيسية هي: توظيف من لا يرغب في الوظيفة عند من لا يرغب في توظيفه.
- صرف إعانة للعاطلين غير مُجدي.. ونفضل أن يتعلم الشباب العمل بدلاً من الإتكالية.

أما مقال معالي نائب وزير العمل الأستاذ الدكتور عبد الواحد بن خالد الحميد فقد سبق أن أشرت إلى محاوره وأبعاده كما جاءت في الفصل الخاص بالرؤية تحت عنوان "على مشارف وزارة العمل ومواجهة الطوفان". وأود التأكيد هنا على أهم هذه الهموم والمحاور الرئيسية كما جاءت في الكتيب الصادر عن الوزارة والمتمثلة في الآتي:-

- وزارة العمل لا تقبل أن يدفعها أحد إلى أن تتحول من وزارة عمل إلى وزارة استقدام.
- المعلومات الرقمية للتأشيرات والعمالة الوافدة تشير إلى تناقض صارخ يشهده سوق العمل.

- وزارة العمل تعمل في أجواء متناقضة ومحبطة ومطلوب منها فك رموز الألغاز، وإيجاد الحلول بطريقة سريعة ومريحة وبلا تضحيات.
- القطاع الخاص مشوه ولا يمكنه إجتذاب السعوديين في حالته الراهنة.
- إصلاح سوق العمل يبدأ بترشيد الاستقدام وإصلاح التعليم والتدريب لتتلاءم مع احتياجات سوق العمل.

وهكذا كانت مسيرتي الحافلة التي خضتها بالعمل في أكثر من موقع ومحطة حققت فيها بكل تواضع بعض المنجزات التي ترضي قناعاتي وربي وتشرفني كمصري وغيري من المخلصين المصريين.

في هذه المرحلة ألح علي خاطر تطلب الكثير من التفكير واتخاذ القرار المناسب حياله وهي أن اكتفي بهذه الغربة بعيداً عن الأسرة والأهل في وقت كان نجلي الدكتور بسام يعمل طبيبا استشاريا لطب وجراحة العيون في أحد المراكز الطبية المتخصصة بالرياض، كما أن نجلي المهندس محمد قد حضر من القاهرة لأداء العمرة ..

وعلمت منه أنه بصدد التجنيد لأداء الخدمة العسكرية لمدة سنة .. ومن ثم فستكون الأم ونسرين لوحدهما .. وهنا استقر رأينا على ضرورة تواجدي معهما، ويتطلب ذلك التضحية بإنهاء عملي السعودية والعودة إلى القاهرة..

أخذت قرار العودة مضطرا، وأبديت هذه الرغبة، وأسبابها للدكتور عبد الواحد الذي حاول أن يثنيني عن ذلك فشكرته على ثقته وتقديره، وقدمت له استقالة نصها كالآتي :

سعادة وكيل الوزارة للتخطيط والتطوير سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله

أرجو التفضل بالإحاطة بأنه طرأت بعض مستجدات عائلية تتطلب وجودي مع الأسرة بالقاهرة، مما يتعذر معه تجديد عقدي الذي ينتهي في ١٤٢٧/٤/١٥هـ.

وإذ يعز علي ذلك بعد فترة طويلة قضيتها في العمل تحت رئاستكم، وتوجيهاتكم في ظل إدارة حديثة ورشيدة، وعمل فريقي في الوكالة، اكن له كل التقدير والاحترام والعرفان.

سعادة الوكيل :

عذرا فحين أترك المملكة مضطرا لظروفي الشخصية، فسأظل دائما عل درب الوفاء، والامتنان،

والتواصل، لما قدمته لنا المملكة التي ستظل في القلب وإلى الأبد ..

أرجو شاكرا الإيعاز لمن يلزم باستكمال الإجراءات الخاصة بإنهاء عقد عملي.

وتقبلوا سعادتكم خالص تحياتي وتقديري وشكري ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

١٤٢٧/١/١٤

توقيع

أحمد عبده القاضي

خبير التنمية الاجتماعية في الوكالة

وقد أشر سعادته بالتالي :

المكتب :

لا مانع حسب ظروف الزميل لإكمال اللازم حسب المفاهمة،

وشكرا،

توقيع

د. عبد الواحد خالد الحميد

بدأت في تصفية أعمالي، وإعداد الترتيبات اللازمة للسفر وفوجئت بدعوة كريمة من الدكتور عبد الواحد لحفل تكريم سيقيمه في منزله بالرياض، دعا إليه كل قيادات وشخصيات الوكالة .. وكان حفل عشاء كله كرم، وحسن ضيافة، وهذه ليست بجديدة عليه فهو دائما إنسان المشاعر الطيبة .. وأهل النخوة والكرم .. وسلم لي في هذا الحفل الدرع المقدم منه ومن زملائي بالوكالة وهو من الكريستال الحر المحفور عليه العبارات الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الأخ العزيز الأستاذ أحمد القاضي

من هنا تبدأ الحياة حيث ينقطع الروتين

ولا يكون للنشاط آلية محدودة

وإنما انطلاق لحياة ذات أبعاد جديدة

نقدر لكم ما قدمتموه من جهود مثمرة

سائلين الله أن يجعل ذلك في موازين حسناتكم

وأن يمتعكم بالصحة والعافية والعمر المديد في طاعة الله

زملاؤك المحبون بوكالة التخطيط والتطوير – وزارة العمل – الرياض

الأحد الموافق ٢٦ صفر ١٤٢٧هـ

كما أولم لي كذلك الزملاء السعوديون، وفريق الخبراء حفل عشاء عامر بأحد المطاعم الشهيرة بمدينة الرياض .. وكان حفلا رائعا بكل المقاييس ..

انتهى عملي في المملكة بأداء عمرة ومعي نجلي بسام، ومحمد .. تخللها زيارة لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في طيبة الطيبة .. تمتعنا والأنجال بهذه العمرة والزيارة .. وكان لها جلالها .. وهيبتها .. وروحانياتها .. التي أشبعت وازعنا الديني .. وهكذا انتهت هذه الحقبة الثرية من مسيرتي في السعودية أقول انتهت مكانيا .. لكنها لم تنته عاطفيا فمازال التواصل مع الكثير من الزملاء قائما .. ومنهم من يحضر إلى القاهرة فأقضي معه وقتا جميلا نستعيد معه ذكريات .. ونتسامر في حكايات وحواديت فقد تزاملت مع الجميع على المودة والمحبة والعمل المشترك .. كنت أود أن اذكرهم بالاسم

وخشيت النسيان، كما أن مساحة الرؤية كانت مزدحمة إلى حد ما .. فلكل من زاملته، أو تعاملت معه، كل الحب والتقدير والامتنان .. متمنيا التواصل الدائم بيننا دوما إن شاء الله.

وهكذا انتهت مسيرة عملي بالسعودية .. حاولت من خلالها تسجيل لمحاتها متقيدا بما أتيح لي من أدوار في محطات عملي بها وما رأيته وسمعته وعايشته .. قد أكون قد أسهبت في تسليط الضوء على مثل هذا الدور وإن كان هناك بعض التكرار المتعمد في عرض محاور هذا الكتاب، فقد كان ذلك مستهدفا بحكم التسلسل والتداخل في محاوره التي تشكل روابط الرؤية الذاتية في مجملها، وإن كنت اعتقد أنني لم أفرغ بعد كل ما في جعبتي من رؤية خاصة عن الملحمة التنموية التي تمر بها المملكة وما تشهده من حراك اقتصادي متسارع، وانفتاح ملموس ومنضبط، ومنطلقات أوسع من مقتضيات التحديث والتطوير والإصلاح والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

لم أقصد من كتاباتي كما أسلفت شخصنة أو شوفونية وإنما تسجيل تجربة قد تسلط الضوء وتتيح دروسا مستفادة لمن يرغب، وفي الوقت نفسه أداء حق

واجب لبلد فتح ذراعيه لكل مصري يتقي الله في علمه وعمله .. حيث شرعت للمصريين كل الأبواب في العمل وبحمد الله أثبت معظمهم وجوده وتبوأ مكانة مرموقة ومشرفة لكل مصري في السعودية كان لها أصداء مسموعة سواء على أرض الوطن مصر المحروسة أو داخل المجتمع السعودي وأعتقد بكل تواضع أنني كنت واحدا من هؤلاء، ولا أدعي أنني كنت دائما منزها عن الخطأ أو المتمرس الوحيد في عملي ... وإنما كنت أحد فرقاء عمل في كل موقع.

سجلت الوقائع والأحداث كما هي بمكانها وزمانها وشخوصها فهي خلاصة تجربة مغترب في وطن ثان.. عسى أن تشبع نهم كل من يهمه الأمر ويستخلص منها دروسا مستفادة ودراسات وبحوثا لها مداخلها المنهجية العلمية ..

قد يتصور البعض أنني كنت منعزلا في محراب العمل فقط في السعودية وبمنأى عن الأحداث في المجتمع السعودي، أو بمنأى عن المصريين في السعودية.. وأقول أن هذا لم يحدث قط، فكنت أيضا مندمجا في قلب المجتمع ومع كافة أطيافه من السعوديين والمصريين وكانت لي

صداقات وعلاقات اجتماعية مع المجتمع السعودي من قاعه إلى قمته، ومع بعض المصريين العاملين في السعودية. وأسعد باللقاء المستمر مع الجميع الذي استخلصت منه ما أثرى هذا الكتاب من موضوعات وصور ومواقف وأحداث ووقائع وطرائف ..

كنت أعتبر أن يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع هما بمثابة استراحة لي أخلو بها إلى النفس، وأنفض غبار العمل بعيدا عن دولبته، وأسعد فيهما بزيارات بعض المصريين ممن أعرفهم، وما لا أعرفهم وأيضا بعض الأصدقاء السعوديين، والقيام بجولات في بعض معالم مدينة الرياض أو المراكز التجارية أو الاستراحات أو التزاور المنزلي ..

ما أسعدني أيضا تلك المتعة الروحية المتواصلة بتأدية العمرة كل شهرين تقريبا وأحيانا كل شهر وكنت أحرص خلالها على زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة، كما كنت حريصا على أداء هذه العمرة في العشر أيام الأواخر من شهر رمضان كلما سنحت الفرصة بذلك .. كذلك أديت فريضة الحج أكثر من

مرة وكان آخرها مع ابنتي نسرين التي جاءت من القاهرة لزيارتي ..

وما دمنا بصدد الحديث عن استراحتي، استراحة المسافر أود في هذا السياق أن أشير إلى بعض الصور والمظاهر والظواهر والأحداث التي انطبعت في فكري واستلهمتها من أعماق المجتمع السعودي ومن حصيلة لقاءاتي مع بعض أبنائه وكذلك مع بعض المصريين الذين تعارفت عليهم خلال إقامتي بالسعودية ..

(١)

صور وأحداث .. من داخل المجتمع السعودي

فلنبدأ من داخل المجتمع السعودي الذي يتميز بخاصية التواصل بين أفراده فهناك مجالس يرتادها مختلف الفئات، فكل فئة تلتقي في مجلس، فالعلماء لهم مجالسهم، والأدباء لهم منتدياتهم ومجالسهم أيضا، والشباب لهم مجالسهم، ولكل فئة مجالسها .. ولكل منها ارتباطه الوجداني بوطنه الأكبر، وانتمائه إليه وكذلك علاقته المتواصلة مع مدينته أو قريته التي يعتز بها كثيرا فهي مسقط رأسه ومنبع عزوته ومنبع موروثاته ..

وينظم بعض السعوديين ما يسمى (بالدورية) في نهاية كل أسبوع يتشارك فيها مجموعة من الأصدقاء المقربين يتبادلون خلالها عزائم العشاء في منزل أحدهم بالتناوب ..

في سهراية هذه الدورية يتجاذب الجميع أطراف الحديث، والحكي في أحداث الساعة، والأدب، والشعر، والطرائف، والقفشات .. وقد لا يخلو بعضها من نميمة كما يتخلل هذه السهراية لعبة "البلوت" من قبل بعض الحضور وغير ذلك من أطروحات أخرى ..

لن أستطرد هنا في نقل جميع ما رأيته أو سمعته أثناء تواصلي مع الكثير من فئات المجتمع السعودي والتي قد تكون استثناء في بعضها ولا يمكن تعميمها على جميع السعوديين. فقد شاهدت الكثير وسمعت الكثير مكتفيا بالصور الأكثر وضوحا ..

إن السعودي حساس جدا إذا ما وجه النقد إلى وطنه ومجتمعه وإليه شخصيا، ولدى البعض منهم انطباع بأن بلده تتفوق على الكثير من الدول في كل شئ، وأن المجتمع السعودي كامل في كل الأمور، وأن لديه من العلم

والتقدم والمعرفة ما يجعله في مصاف الدول الأكثر تقدما ومعرفة.

كانت تتردد مثل هذه المقولات خاصة من بعض الشباب في جلساتنا الخاصة وكنت حريصا على أن أتبين خلسة وقع ذلك على وجوه الحاضرين من السعوديين لأعرف مدى انطباعاتهم حول هذا القول، وللحقيقة وفي إحدى هذه اللقاءات لمست أن البعض لم يتحمس لهذا التعصب ولم يرق له، وانبرى أحد مثقفيهم المتزن دائما بالحكمة والوقار موجها كلامه لهؤلاء الشباب وغيرهم كيف يستقيم هذا التعصب مع أننا نعتمد على غيرنا في كل شيء، وأصبحنا نستورد الكثير مما نأكل ونلبس ونقتني في بيوتنا من الأدوات المنزلية والكهربائية المستوردة. نحن صحيح نتفوق عليهم في ارتفاع دخل الفرد لدينا، كما أننا نعتمد على الكثير من العمالة الوافدة في مختلف المجالات العلمية والتقنية والتعليمية والطبية.. وبرغم ذلك ينظر إليهم البعض منا بنظرة دونية، رغم تفوقهم في كل شيء، وقد لا نعترف بقدرهم، ويتعامل معهم البعض بسلطوية أو إهانات واكتفينا بمهمة دفع الرواتب إليهم .. المطلوب منا هو أن نتأسى بهؤلاء ..

أعتقد أن ما سمعته من الطرفين قد جاء مبالغا فيه بعض الشيء فالمثقف الحكيم يهدف إلى تبصير هذا الشاب وأمثاله بعدم الاكتفاء بترديد مثل هذه المقولات ويود استثارتهم للعمل الجاد والانخراط في سوق العمل، وعدم الركون إلى سمعة المملكة الطيبة ونهضتها التنموية دون مشاركة جادة منهم، أما الشباب فيعتبرون أنفسهم الثروة الحقيقية للوطن والاستثمار الأول المعول عليه في المستقبل .. ولا مانع من ثقتهم بأنفسهم والفخر بثوابت وطنهم، وكان لابد من تعقيب مني وجهته إلى الطرفين أشدت فيه برؤية الشباب وفخرهم بوطنهم، ولكن لابد من رافد أساسي وعملي يتواكب مع ذلك وهو مشاركة الشباب بموضوعية ومصداقية أكثر في قضايا السعودة ومحاولة تهيئة أنفسهم للإحلال محل العمالة الوافدة في القطاع الخاص الموظف الرئيسي للعمالة بالتزام ودون عزوف عن أي عمل حرفي أو مهني ضاربا مثلا بحجم تحويلات العمالة الوافدة إلى بلدانها، وقلة مساهمة المواطنين السعوديين في إجمالي العمالة في سوق العمل .. أما كلامي للمثقف الحكيم فقد ركز على تكثيف الحوار الهادف والبناء بين المثقفين والإعلاميين وبين جيل الشباب

باعتباره أفضل الوسائل في توصيل رسالة هادفة تنير للشباب الرؤية.. وترسم له النموذج والقدوة، في إطار ثوابت المجتمع الأصيلة، ومستجدات المرحلة مضيفا بأن المملكة قد بدأت في مثل هذه الحوارات.. إلا إن ذلك يتطلب مزيدا أكثر وأعمق في توصيل رسائل هذا الحوار والتي تهدف بالدرجة الأولى إلى الاشتراك مع وزارة العمل في مواجهة الطوفان ...

إن المملكة لم تدّخر جهدا في تعظيم الاحترام لأبنائها أيا كان موقعهم.. ويكفي أن نقول أن جواز سفر السعودي يلقى كل الاحترام والتقدير في مختلف دول العالم، بل أن هناك بعض الدول ومنها مصر تعفيهم من الحصول على تأشيرة دخول .. وإذا ما واجه أي مواطن سعودي في الخارج مشكلة يجد السفارة السعودية معه دائما تبذل قصارى جهدها في حل هذه المشكلة بالطرق القانونية ..

لقد حدثني بعض السعوديين عن موقف حدث لبعض السعوديات في إحدى المطارات الألمانية، حيث تعرضت هذه المواطنة للإهانة بسبب إجبارها على نزع حجابها .. واحتجت المملكة على ذلك، فما كان من

السلطات المعنية في المطار الألماني إلا أن اعتذرت عن هذا التصرف، غير أنه اعتبره اعتذارا غير مقبول، وصدر بيان من السفارة الألمانية في الرياض يعلن فصل الموظف الألماني الذي أساء للمواطنة السعودية من العمل..

في واقعة أخرى تبرز قيمة الإنسان السعودي لدى حكومته .. فأثناء عملي في الأمانة العامة لمجس القوى العاملة، وزع علينا تعميم صادر من مجلس الوزراء يمنع استعمال "دبابيس الإبرة" في تثبيت الأوراق كإجراء احترازي خوفا من حدوث شك في أصابع من يستعملها ينتج عنه جروح دموية وقد يكون صاحبها مصابا بأمراض معدية تنتقل عن الدم الملوث كفيروس (C) أو الإيدز أو غيره .. أرأيت معي مدى الحرص على صحة الإنسان السعودي ؟

جمعتني جلسة مع بعض السعوديين، ودار الحديث حول ازدحام الشوارع، وما تشهده حركة المرور من اختناقات، ورد بعض الحاضرين قائلا ابشروا يا جماعة فإن إدارة مرور الرياض في سبيل إطلاق خدمة البث المباشر من القناة الأولى بالتليفزيون السعودي للحركة

المرورية لتحذير أصحاب المركبات من الوقوع في الاختناقات المروية، والبحث عن طرق بديلة لخط سيرهم، وسيبث يوميا تقريرا مباشرا من مركز الإدارة والتحكم المروري في الساعة السابعة صباحا ولدقائق معدودة من خلال وجود العديد من الكاميرات التي توضح كثافة السيارات وإعطاء البدائل للطرق البديلة ..

في هذا السياق فإني أشيد بنظام المرور في المملكة فعسكري المرور هو جنرال في موقعه .. الناس أمامه سواء فلا أحد يقول له أنا فلان أو ابن فلان كما أن إشارة المرور هناك كالقاضي الصامت العادل الذي لا يظلم ولا يظلم .. وإذا ما حدثت حادثة مرورية ستجد على الفور دورية المرور الراكبة في موقع الحادث إما بناء على الطلب، أو مصادفة، وتحل المشكلة سواء بالتراضي أو بتطبيق القانون .. كما أنه من الممنوع على أية ورشة إصلاح للسيارات إجراء أي إصلاح (سمكره) إلا بعد أن يقدم صاحب السيارة مستندا من إدارة المرور بالموافقة على إجراء هذا الإصلاح خوفا من قيام هذه الورش بإصلاح السيارات التي قد يكون أصحابها قد ارتكبوا أحداثا جنائية، ويا ويل الورش التي تقوم بمخالفة ذلك..

إن الحصول على رخصة قيادة سيارة ليس أمرا سهلا في السعودية، والرخصة الدولية غير معمول بها، كما أن من يحمل رخصة قيادة من بلده لابد من اختباره تحريريا، وشفويا وعمليا، وعلى جهاز الكمبيوتر للتأكد من قدرته على القيادة .. وإذا لم يجتزْ أيا من هذه المراحل فعليه أن يلتحق بمراكز تدريب القيادة التابعة لمؤسسة (دلة) والمنتشرة في جميع مناطق المملكة.. وتشرف عليه إدارات المرور في كل مكان .. وقد يستغرق ذلك أكثر من دورة في حالة الإخفاق بأي مرحلة .. ويتحمل المتدرب تكاليف الدورة ..

وفي مجال انسياب تقديم الخدمات وتأديتها بسهولة ويسر.. تبذل أجهزة المرافق والخدمات العامة جهودا كبيرة في تسهيل تقديم الخدمة للمواطنين والأجانب فعلى سبيل المثال فإن شركات الكهرباء تحرص على توزيع فاتورة الكهرباء بالمنازل بعد قراءة العدادات مباشرة وذلك لتمكين المشتركين من معرفة قيمة الاستهلاك لكل فترة خلال قراءة العداد بدلا من الانتظار لمدة ثلاثين يوما لاستلام الفاتورة وكان ذلك مثار شكوى في السابق منا جميعا ..

أما تسديد قيمة فواتير الكهرباء، والهاتف، والمياه فلا يتطلب منا الذهاب إلى البنك لتسديدها .. وإنما يتم كل ذلك وأنا جالس في بيتي عن طريق الهاتف البنكي لمن لهم حسابات جارية في البنوك، ومعظم السعوديين، والأجانب لهم مثل هذه الحسابات ..

إن فاتورة الهاتف تدفع شهريا ، وترد للمشترك بالبريد موضحا بها أرقام الهواتف الدولية ، والأخرى الخارجية بمدن المملكة وقيمة كل مكالمة ومدتها ..

لقد تردد في أحاديث الاستراحة الكثير من الحوادث منها ما يخص العمالة الوافدة أو السعوديين .. أنقل بعض وقائعها ..

ومن الجرائم التي كانت تروى من البعض أثناء الاستراحة تزايد إدمان بعض الشباب على المخدرات والمسكرات والتي قد تنتهي أحيانا بالانتحار .. وهناك بعض المستشفيات لعلاج مثل هذه الفئة وتأهيلها ..

من المظاهر المستهجنة موضوع "التفحيط" حيث يقوم بعض الشباب والمراهقين بهذه العملية بسيارته التي يقودها بطرق بهلوانية سريعة في الشوارع الخلفية أو

العامة أحيانا، وقد يكون ذلك في شكل مسابقة بين الشباب وينتج عنه حوادث مفجعة، وتحاول الشرطة مطاردة هؤلاء وتطبيق القانون بحقهم.

ومن الظواهر غير السوية التي تدعو إلى الانزعاج ظاهرة التدخين فقد دعاني الدكتور صالح المالك – رحمه الله – عندما كان عضوا بمجلس الشورى إلى حضور محاضرة سيلقيها في بلدته الأصلية "الرس" بمنطقة القصيم بمقر جمعية البر الخيرية بها وفي مركز مكافحة التدخين التابع للجمعية وموضوع المحاضرة كان "جهود المملكة في مكافحة التدخين"، وذلك في بداية عام ١٤٢٤هـ .. وكان مما أشار إليه في هذه المحاضرة نقلا عن بعض الدراسات، ومصادر منظمة الصحة العالمية ما يثير الفزع حيث جاء في المحاضرة أن نسبة السعوديين المدخنين من الذكور في عام ١٩٩٤م يبلغ ٥٣%، ٢% من الإناث، وأن ٧٠% منهم يتراوح أعمارهم بين ٢٠ – ٣٠ سنة.

من الأرقام المحزنة التي قيلت في المحاضرة أنه تبين من إحدى الدراسات لعينة من طلاب المدارس الثانوية والمتوسطة في مدينة الرياض أن حوالي ٢٢%

من طلاب الثانوية، وحوالي ١٣% من طلاب المتوسطة يدخنون، وترتفع نسبة التدخين مع زيادة العمر، كما أن ٨٠% من طلاب الثانوية المدخنين بدأوا التدخين قبل سن ١٥ سنة بينما طلاب المتوسطة بدأوه من سن ١٣ سنة. كما أشار الدكتور صالح بأن المملكة تحتل المركز الرابع بين أكبر عشر دول مستورد للسجائر في عام ١٩٩٣م، وتعتبر أكبر سوق للدخان في الخليج وبها ٥٠ صنفا من أنواع السجائر ثلثيها أمريكي الصنع، ٣٠ صنفا من الجراك، وأهمه جراك باعيشن ويمثل ٨١% من السوق المحلي، يليه المعسل البحريني المسمى "أبو تفاحة" وهو الأكثر انتشارا في البحرين، ثم المعسل المصري .. وأردف قائلا أن مدينة الرياض تستحوذ على حوالي ٢٨% من مدخني الجراك والمعسل يليها مدينة جدة بنسبة ٢٥% ثم المنطقة الشرقية بنسبة ٦%. وأضاف قائلا أن التدخين يرجع إلى عدة عوامل متداخلة منها ما يرجع إلى تركيب شخصية المدخن، وما قد يتعرض له من اضطرابات في الشخصية، وتأثير الأصدقاء والأصحاب والزملاء، ومن يعانون من مشكلات أسرية، والتغيير الاجتماعي السريع وما أدى إليه من مشكلات وهوات

وضغوط نفسية، والسفر إلى الخارج دون مرافق، بالإضافة إلى ما تبثه الفضائيات من إعلانات ترويجية، أو أدوار تمثيلية لبعض النجوم يدخنون من خلالها وتشد انتباه البعض فيقلدونهم.

وخلص الدكتور صالح من محاضرته بحقائق مفزعة ومحزنة .. وهي موت شخص من كل ثلاثة من المدخنين بأسباب يمكن تلافيها، وأنه من كل ١٠٠٠ شخص من المدخنين الشباب يموت ٢٥٠ بأسباب تتعلق مباشرة بالتدخين وأن حوادث الطرق تقتل (٦) أشخاص فقط، كما أن التدخين في الدول المتقدمة مسؤول عن ٨٥% من الوفيات بسرطان الرئة، ٧٥% من الوفيات بالالتهابات الرئوية، ٣٥% من الوفيات بأمراض القلب.

نعود إلى ظاهرة الجريمة فنتناول جرائم الأجانب في المملكة والتي كانت مدار حديث في جلساتنا منها قيام بعض الجنسيات الآسيوية بصناعة المسكرات بعيدا عن أعين الأمن .. الذي سرعان ما يكتشف مثل هذه الخلايا ويطاردها ويقدمها للمحاكمة .. كما يتم ضبط بعض الأجانب من مهربي المخدرات .. أو بائعيها وهؤلاء معظمهم من الباكستانيين الذين يحاكمون ويطبق عليهم

الحد تعزيرا بقتلهم علنا بالسيف .. رغم أن المملكة تحذر دائما من هذه الجريمة وتعلن أن عقوبتها الإعدام ..

ومن جرائم الأجانب التي حدثت ويكثر عنها الحديث في اللقاءات .. القبض على عصابة وافدة تنتحل شخصيات سعودية وتسلب العمالة الوافدة بالرياض. ومثل هذه الجريمة قام بها أيضا سعوديون حيث حكم على شابين سعوديين امتهنا السلب والسرقة بعقوبة ما بين عشرة أعوام وستة أعوام ..

وفي هذا السياق أيضا كنت في عمرة بمكة المكرمة وبعد انتهاء العمرة دعاني أحد السعوديين من زملائي في جدة لزيارته .. شهدت جدة على الطبيعة فهي عروس بحق.. تجملها عمائر شاهقة وأسواق مركزية على أحدث طراز .. وهي تشغل مساحة كبيرة ممتدة. واصطحبني الزميل في جولة على امتداد الكورنيش فوجدت مظاهر الزحام في جدة لا تطاق قياسا بالرياض ... والمرور فيها يمثل صعوبة كبيرة ..

حدثني مضيفي عن حادثة وقعت خلال الأسبوع الماضي قبل زيارتي إلى جدة وهي ضبط أوكار في حي

الفيصلية بجدة حيث تم القبض على مقيمين أجانب قاموا بالتستر على أكثر من (٢٠٠) خادمة مخالفة لأنظمة الإقامة وتشغيلهن مقابل مبالغ تصل إلى نصف الراتب الذي تتقاضاه العاملة والذي يصل إلى (١٠٠٠) ريال وتبين للشرطة أن بعضهن كن بصحبة رجال ادعوا زورا أنهن زوجاتهم .. ألا يصب ذلك في تيار الطوفان الذي تواجهه المملكة ومعها كل الحق في مواجهته؟ ..

نكتفي بهذا القدر من الصور المقلوبة ونعرج منها على الموروثات الجميلة.. وعادات وتقاليد المجتمع السعودي الأصيلة كشاهد عيان وليس كمستمع أو محلل فقط ..

ما شدني وأرجعني إلى صور الزمن الجميل وموروثات المجتمع السعودي الأصيلة هو ما شهدته من سيرة عطرة ومجدتليد في مهرجان الجنادرية الذي يقام سنويا في مدينة الرياض ويمثل في مضمونه العميق رسالة حضارية متعددة الدلالات والذي يماثل أقدم موسم كان لعرب الجزيرة العربية وهو سوق عكاظ. لقد واظبت على حضور هذا المهرجان سنويا بصحبة بعض الأصدقاء منهم سعوديين ومصريين فشاهدت الفنون

الشعبية التراثية لكافة مناطق المملكة تحكي تاريخها ومهارات شعبها العربي الأصيل، ولا تقتصر الفعاليات على عرض لوحات من الماضي وألوان من التراث الشعبي فقط بل تضيف إليها ما استجد من ملامح التجديد ولمسات الحداثة مسايرة بذلك تطورها المرحلي في التقدم والنماء والحداثة...

في هذا المنتدى يلتقي المفكرون والإعلاميون وتتلاقح فيه الآراء مما يساهم في إثراء الثقافة والفكر محليا وعربيا وإسلاميا، فهناك دوما تنوع في محاور الندوات الفكرية التي تشارك فيها نخبة مختارة من رجال الفكر والسياسة والأدب، أسماء كثيرة حقا بعطائها من جميع بلدان العالم، وتسنى لي حضور الكثير من هذه الندوات وشهدت قمم الفكر والأدب والشعر من مصر بخاصة والدول العربية والأوروبية والأفريقية والآسيوية بعامة ... شهدت فطاحل المفكرين والأدباء والشعراء المصريين الذين لم أشرف بالقرب من بعضهم في مصر كما حدث في الجنادرية ...

حقا إنه مهرجان يجعلك تعيش في الماضي الجميل ممزوجا بخلطة سحرية من الحاضر الحديث. لك أيها

السعودي والعربي أن تفتخر بهذا المهرجان السنوي أو العرس السعودي العربي ...

من العادات التي يحرص عليها السعوديون هي التمتع بإجازاتهم ووقت فراغهم، ففي فصلي الشتاء والربيع تجد الكثير منهم يتوجهون إلى البر في يومي الخميس والجمعة بخاصة.. والبر هو مناطق خلوية في الصحراء معروفة لديهم حيث يعسكر السعودي مع أسرته في خيمة يحضرها معه ضمن جميع مستلزمات الإعاشة التي تغطي احتياجات الأسرة خلال هذه الرحلة ...

وقد تسافر الأسرة أثناء إجازاتها السنوية إلى الخارج أو يسافر رب الأسرة بمفرده. ومن البلاد المحببة لهم مصر، المغرب، سوريا، لبنان، ماليزيا، تركيا، إندونيسيا، الولايات المتحدة الأمريكية، إنجلترا، فرنسا، وبعض دول الكومنولث الروسية وغير ذلك ... كما أن هناك بعض الشبان السعوديين يسافرون بمفردهم أو مع بعض أصدقائهم إلى هذه البلاد في الصيف أو الربيع ..

أما عن وقت الفراغ فيقضي البعض السهر مع أصدقائهم أو جيرانهم في التسامر والسواليف ولعبة

البلوت التي يعشقها الكثير من السعوديين رجالا كبارا وشبابا .. وقد تسنى لي مشاهداتها في إحدى الأمسيات التي قضيتها مع أحد الأصدقاء السعوديين في منزله، وكان في هذه الأمسية بعض أصدقائه وأقاربه .. وكانت لعبة البلوت هي سيد الموقف فشاهدتهم عن كثب وهم يركزون في هذه اللعبة .. وتبين لي أنها تتطلب مهارة غير عادية .. ودفعني الفضول كعادتي إلى التعرف على أوضاع هذه اللعبة .. وتصدى للرد حاذق محترف لها في الإجابة على تساؤلاتي قائلا : يا عزيزي هذه اللعبة من اللعبات المحببة لنا وقد ألف بعض السعوديين كتبا عنها، وأرجعوا منشأها منذ القدم إلى الصين، وسميت في المملكة والبحرين "البلوت" أو "الورق" وفي الكويت وبعض دول الخليج "االجنجفه" وفي اليمن "بطة" وفي المغرب والجزائر "كارطة" أما في مصر والسودان فاسمها "الكتشينة".

يمارس السعوديون لعبة "البلوت" في الفترة المسائية بمنازلهم بخاصة وقد يستمرون في لعبها إلى الفجر وربما إلى الصباح أيام الخميس والجمعة .. كما

تمارس هذه اللعبة في الاستراحات والمقاهي وتبدو أكثر ممارسة في رحلات البر، والسفر الجماعي الداخلي ..

هناك بعض الصور والأحداث الطريفة التي كانت تحكى لي في سهرات الأصدقاء السعوديين وأحدهم من الجيل القديم الذي كان يجتر ذكريات الماضي وأمجاده فحكى لي حكاية حدثت إبان عهد الملك فيصل - رحمه الله - في بداية الإرسال التلفزيوني بالمملكة.. حيث استاء بعض البدو من هذا " الصندوق السحري" كما سموه وهؤلاء البدو من أصحاب الغلو في الدين وكانت الصورة الذهنية التي ترسبت لديهم عن التلفزيون بأنه اختراع للكفرة الأجانب والمقصود به إلهاء المسلمين عن دينهم وعباداتهم وأن اختراعات الكفرة يجب أن نحاربها .. حضر هؤلاء البدو إلى الرياض وقابلوا الملك فيصل – رحمه الله – ونقلوا له رؤيتهم حول هذا الاختراع مطالبين بإيقافه فما كان من الملك فيصل إلا التظاهر بمجاراتهم والظهور بمظهر المتعاطف مع مطلبهم .. وكان يرحمه الله لماحا، وشديد الذكاء، وحكيما. وخرج البدو شاكرين للملك استجابته .. واتجهوا لركوب سياراتهم التي أتوا بها .. فلم يجدوها .. فهرعوا إلى الملك ثانية

شاكين من اختفاء سياراتهم .. فرد عليهم أليست السيارات هي الأخرى من صنع الكفرة؟ إذن لابد أن نرفضها أيضا وترحلوا إلى بلدانكم بالجمال .. وهنا تراجع هؤلاء مبدين أسفهم وأنهم لن يعارضوا وجود التلفزيون ثم انصرفوا بسياراتهم ..

واقعة أخرى حكاها لنا بعض الأصدقاء فور حدوثها وهي تجمهر بعض السيدات من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات، تقدن سياراتهن وكاشفات لوجوههن في مكان يقع وسط مدينة الرياض، ليعبرّن من خلال ذلك عن مطلبهن المتكرر بالتصريح للمرأة بقيادة السيارة .. وهنا طوقهن الأمن ومنع تقدمهن وأوقفهن لحين حضور وليهن الشرعي وأخذ التعهد اللازم عليه وعليهن بعدم العودة إلى هذا المسلك، وتقرر فصلهن من عملهن .. وعلمت فيما بعد بعودتهن إلى العمل بقرار من الدولة ..

كنت مدعوا على الإفطار في شهر رمضان المبارك وهذا الشهر في السعودية له مذاق خاص وجو روحاني ونكهة متميزة وعند بدايته تنطلق عبارات التهنئة المتبادلة بين السعوديين وأصدقائهم من الأجانب المسلمين قائلين "الشهر عليكم مبارك .." أو "كل عام وأنتم بخير

ونسأل الله أن يعيننا وإياكم على صيامه وقيامه" ..
و"رمضان مبارك"..

وللسعوديين عادات وتقاليد في شهر رمضان تسنى لي حضورها عن قرب فبعد آذان المغرب يتناولون التمر والماء والشوربة والعصائر ويسمونه "فكوك الريق". ثم يترك الجميع الطعام ويبادرون إلى الصلاة في المسجد القريب، وعقب الانتهاء من الصلاة يتوجه الجميع لتناول وجبة الإفطار الأساسية التي تتصدرها الكبسة باللحم أو الدجاج والمطبق. كما أن طبق الفول يتصدر وجبة الإفطار لدى البعض، وقد يكون هذا الفول بالسمن البلدي أو مخلوطا باللحم المفروم أو المخلوط بالبيض، وقد يكون من الفول المطبوخ بالجمر. كما تضم مائدة الإفطار السمبوسك ولقمة القاضي (اللقيمات) والمعكرونه واللبن الرائب والشورية والسلطات وعصير الفيمتو، ثم الحلويات وطبق الفاكهة الطازجة المشتملة على أنواع متعددة منها.

وبعد ذلك تدور فناجين القهوة وبيالات الشاي الأحمر" ويطوف بعض أفراد الأسرة بالمبخرة على الحاضرين، ثم يتجه الجميع رجالا ونساء إلى المسجد

لأداء صلاة العشاء ثم التراويح التي تتكون من (٢٠) ركعة وفي بعض المساجد (٨) ركعات..

بعد أن أدينا صلاة العشاء والتراويح اتجه بنا المضيف إلى مواصلة السهرة معه في منزله، وهنا حكى لنا زميل الضيافة عن واقعة طريفة فقد ورد إليه فاكس من أحد أصدقائه قرأه علينا وعنوانه **"الانتماء والمواطنة"** وأعطى كل الحاضرين صورة منه بعد ذلك. يقول الفاكس: "نهض من نومه مسرعا وترك غرفة نومه الإيطالية بالجناح الرئيسي بقصره الفخم في أحد الأحياء في مدينة الرياض، وذهب إلى الحمام التركي واستحم بالصابون اللبناني. لبس بسرعة ملابسه الداخلية من المنتجات الفرنسية، ثم لبس ثوبه المستورد قماشه من اليابان وحاكه له ترزي هندي، ثم وضع على رأسه الغترة والعقال من الصناعة الإنجليزية، وكاد أن ينسى لبس ساعته السويسرية، وخاتمه الذي أتاه هدية من الهند، ثم أتت خادمته الفلبينية وناولته حذاءه الإنجليزي، ثم مشى متبخترا على السجاد الإيراني حتى وصل إلى غرفة الطعام الذي اشتراها من بلجيكا، ثم قدمت له خادمته الإندونيسية كوب شاي سيلاني وضع فيه مكعبي سكر من

السكر السوداني، وأخذ بعد ذلك لقمة صغيرة من الجبن الدانماركي الموضوع على طبق صيني. ثم طلب من زوجته المغربية فنجان قهوة ممزوج بالزعفران الأسباني فأتت له وهي تلبس الجلابية المغربية المشهورة وقدمت له القهوة المصنوعة من البن الحبشي الذي يفضله عن البرازيلي ثم وضعت عليها الهيل الكيني.

في هذه اللحظة طلب سائقه الفلبيني ليخرج له سيارته الألمانية من الجراج فسوف يقودها بنفسه اليوم، قام مسرعا وفتح التليفزيون الياباني وأداره على القناة الأمريكية، ثم هب واقفا بسرعة حتى كاد أن يلمس برأسه الثريا الباكستانية ثم طلب من زوجته اللبنانية عمل الغداء اليوم من الأرز الهندي الفاخر الممزوج بالتوابل الأفريقية وأن تضع عليها الحمص السوري ولا تنسى التبولة اللبنانية وزيت الزيتون اليوناني.

ذهب إلى مكتبه في جناح القصر الرئيسي المصنوع من الخشب الماليزي، وقبل أن يغادر القصر أتت له خادمته الهندية بالبخور التايلاندي. وهنا أتت زوجته التركية من جناحها كي تودعه قائلة له: انتبه على نظارتك الفرنسية من حرارة البخور فلملم أوراقه وملفاته

ووضعها في حقيبته السويسرية ثم انطلق مسرعا ليلحق محاضرة سوف يلقيها هو شخصيا عن :

"تشجيع الصناعة السعودية .. انتماء ومواطنة ".

ضحكنا كثيرا على طرافة ما جاء في هذا الفاكس وقد تبدو أنها مزحة .. ولا أعتقد أن هناك مثل هذه النماذج بهذا الغلو في رفض كل وطني من منتجات بل وزوجات.. إنها نوع من الرمزية في البلاغة العربية .. قد تكون هناك نماذج قليلة قريبة من هذه الصورة ليس في السعودية وحدها وإنما في جميع الدول العربية والأخرى النامية .. وإن كان بعض الحاضرين ذكروا أنهم يعرفون قلة على شاكلة هذا النموذج المغالي في النفاق، وأن الوعي المجتمعي يكشفه سريعا ويضعه في حجمه الطبيعي ..

من المظاهر الجديرة بالتسجيل أيضا أن للمملكة زيا وطنيا وتراثياً تكاد تنفرد به هي ودول الخليج العربية بخاصة بين الدول العربية بعامة بوجود هذا الزي والذي يتألف في المملكة صيفا من ثوب من القماش الأبيض الياباني أو الإنجليزي، وفي الشتاء يكون الثوب من القماش الصوف، ولباس الرأس المكون من الشماغ

الأحمر أو الغترة البيضاء مع العقال الأسود، وقد لا يلبس رجال الدين والمطوعين عقالا، ولا يفارق البشت أو المشلخ (العباءة) الشخصيات الكبيرة الرسمية وغير الرسمية، كما يرتدي الرجال والشباب البشت أو المشلخ في المناسبات العامة، والمقابلات المهمة ..

ويتماثل هذا الزي مع الزي الوطني للدول الخليجية، وإن كانت هناك بعض العلامات الفارقة التي في إطارها يمكن التعرف على هوية مواطني كل دولة منها.

نختتم هذه الصور ببعض عادات وتقاليد السعوديين ولنبدأ بعادات الزواج وأوضاع الطلاق والعنوسة بها وما يتصل بهما من مظاهر وظواهر اجتماعية.

لقد دعيت إلى الكثير من حفلات الزواج وشهدت طقوسها عن كثب وتقام هذه الحفلات عادة في قصور للأفراح مخصصة لذلك حيث يسع القصر أعدادا هائلة قد تفوق في بعض الأحيان الألف مدعو، بعض صالات الطعام في هذه القصور مجهزة بطاولات من الرخام مثبتة والبعض الآخر بطاولات خشبية .. أما صالة جلوس

المدعوين فهي ذات حجم كبير مجهزة بأطقم الكنب والكراسي والطاولات الصغيرة، ويجلس المدعوون في مجموعات متجانسة يعرف بعضهم البعض، أو فرادى في نفس الصالة. وقد يتخلل الجلوس قيام البعض بأداء رقصة العرضة السعودية النجدية وكذلك رقصة السامري .. إلا أنني لاحظت في الفترة الأخيرة تحولا في الاستعاضة عن هذه الرقصات بفرق موسيقية لدى القلة من الناس يتخللها أغان عربية مشهورة لفنانين عرب يرقص على أنغامها الشباب السعودي، وأحيانا تلقى قصائد الشعر الحماسية.

ومن المظاهر الأخرى التي شهدتها في حفلات الزواج قيام أحد رجال الدين من ذوي المكانة بإلقاء محاضرة طويلة حول المناسبة مختتما إياها بالدعوة للعروسين وفي نهايتها يوزع مظروفا على المدعوين يحتوي على كتيبات دينية وأشرطة كاسيت لبعض الدعاة الإسلاميين، كما حضرت بعض الحفلات في فنادق خمس نجوم حيث يخصص فندق مستقل للرجال وآخر للنساء.

قبل تقديم طعام العرس يحضر العريس ويطلقون عليه (المعرس) فيسلم على المدعوين ويباركون له.. وعادة ما يلبس بشتا أبيض اللون (عباءة).

عند ذلك يدعو أصحاب العرس المدعوين إلى التوجه إلى صالة الطعام، وتكون الساعة وقتذاك قاربت منتصف الليل، ويتناول الجميع المأكولات إما بافتراش الأرض أو على الموائد في مجموعات تتراوح من خمسة إلى سبعة أفراد يشتركون في وجبة واحدة تتكون من حوالي ربع خروف مندي مع الكبسة وبعض الأطباق السعودية الأخرى كالقرصان والجريش والمرقوق واليغمش واللقيمات، كما تقدم أنواع كثيرة من الحلوى والفواكه ..

عند الانتهاء من الطعام وغسل الأيدي ورش العطور بعدها على المدعوين.. يستعد الجميع للخروج ويودعهم على بوابة القصر أصحاب الحفل شاكرين تلبية الدعوة، وكذلك حملة مباخر العود الذي يقربونه من المدعو الذي يحاول توجيه دخانه إلى صدره ..

أما النساء فلهن مكان آخر يجاور قصر الحفلات، ولا يختلط الرجال بالنساء وتقدم لهن موائد الطعام في موقعهن ويتخلل تواجد النساء – كما علمت – أغان تراثية يستقدمون لها مغنيات مخصصات لذلك، وكذلك طقاقات

من اللواتي يضربن على الدف .. وقد توجد مصورة لتصوير حفل الزفاف..

الوحيد الذي يدخل إلى مقر النساء هو العريس، وفي هذه الأثناء قد تغطي النساء وجوههن .. وعند انتهاء الحفل يأخذ العريس عروسه ويتجه إلى مسكنه وقد يسافر في اليوم التالي لقضاء شهر العسل في إحدى الدول الخارجية أو المدن الداخلية ذات الشهرة السياحية..

إن تكاليف الزواج في السعودية مغالى فيها.. فالمهور مرتفعة، وعن تكاليف الزواج حدث ولا حرج ابتداء من حفلة الحناء وهو ما يطلق عليه في بعض مناطق المملكة (العمرة) مرورا بالقاعة والعشاء والمطربات والطقاقات والكوشة والمصورة وهدايا العريس لحماته وحماه وانتهاء بشهر العسل .. ونتيجة هذه المغالاة يعزف بعض الشباب عن الزواج ومن هنا جاءت عنوسة البنات .. وخاصة في وسط الجامعيات اللاتي يبالغن في مهورهن، وشروطهن ومن ثم يعزف بعض الشباب عن الزواج من هذه الفئة التي تزداد فيها نسبة العنوسة.

ويمكن القول بأن العنوسة في المملكة قد تمثل ظاهرة، فقد أتيح لي الاطلاع على نشرة وزارة الاقتصاد والتخطيط عن الخصائص السكانية والسكنية كما جاءت في نتائج الإحصاء والتعداد العام الأخير وتبين من تحليل مضمونها أن الفتيات غير المتزوجات من سن ٣٠ فأكثر يمثلون ما يقارب ٤% من مجموع الفتيات في سن الزواج، وإن كانت هذه النسبة أقل في بعض الوثائق الأخرى ..

كان موضوع العنوسة أحد أحاديثنا التي جمعت نخبة مثقفة من السعوديين في إحدى المناسبات، وتساءلت عن أسباب انتشار العنوسة حتى وصلت إلى ظاهرة .. وتشعبت الردود فأرجعها البعض إلى غلاء المهور وتكاليف الزواج.. بينما أرجعها آخرون لنظرة الحسب والنسب والقبيلة التي ينتمي إليها الشاب أو الفتاة، وأيضا تعالي الفتيات الجامعيات والمبالغة في شروطهن، وتخوف شريحة من الشباب بالارتباط بهذه الفئة لذلك، وارجع بعض الحضور سببا يتعلق برغبة أسرة الفتاة – إذا كانت موظفة – بالاستيلاء على راتبها ..

وبدا لي أن المشكلة ذات أبعاد متعددة ،وأن مواجهتها تتطلب تنازل طرفي الزواج عن بعض الشروط المبالغ فيها غير الموضوعية، فلا يوجد من هو كامل الأوصاف إلا في أغنية المطرب الراحل عبد الحليم حافظ.. وهي من الخيال الرومانسي!!

وتحدث الحضور أيضا عن إفرازات هذه الظاهرة ومنها لجوء بعض الشباب والفتيات إلى زواج المسيار، أو قبول بعضهن بلقب الزوجة الثانية بل والثالثة والرابعة .. كما اتجه بعض الشباب إلى الزواج من الأجنبيات وبخاصة من مصر، والمغرب، ولبنان بل وأيضا الهند ..

في هذا السياق سمعت من أحد الثقاة أن فراشا بإحدى المدارس الابتدائية وتحديدا في منطقة بشمال المملكة تزوج من اثنتين من مديرات هذه المدارس العانسات..

إن ظاهرة العنوسة ليست قاصرة على السعودية فقط فهي تكاد تنتشر في معظم الدول العربية. وأنها آخذه في الانتشار بوتائر عالية في مصر، مما دعى البعض

ومنهن طالبات باللجوء إلى الزواج العرفي ويدور الجدل حاليا حول هذه الظاهرة لمواجهتها وتحجيمها ...

وهنا أيضا لا نذهب بعيدا فقد أطلعت على بعض إحصاءات وزارة الاقتصاد والتخطيط السعودية والمنشورة حديثا والتي غاب عني سنة إصدارها، هذه الإحصائية تشير إلى أن نسبة العنوسة في أوساط العربيات الوافدات إلى السعودية، واللاتي يعشن هناك كموظفات، أو مرافقات لأسرهن تبلغ ما يقرب من ٦% للفتيات من سن ٣٠ مما فما فوق ..

بحكم اهتماماتي الاجتماعية تسنى لي الاطلاع على دليل إحصائي لوزارة العدل السعودية عن عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) أترك أرقامه تتكلم كما رصدتها مفكرتي: بلغ مجموع عقود الزواج بالمملكة ٦٤٣٣٩ يقابلها ١٥٦٩٧ صك طلاق أي بنسبة ٢٤% بمعنى أن كل ثلاث حالات زواج يقابلها حالة طلاق وجاءت منطقة مكة المكرمة في المقدمة بالنسبة لحالات الزواج، يليها في المرتبة الثانية منطقة الرياض، فمنطقة المدينة المنورة، فمنطقة عسير وتتوالى باقي المناطق بعد ذلك .. أما

بالنسبة لحالات الطلاق فقد جاءت منطقة الرياض في المرتبة الرابعة بنسبة ٣٣%.

إن الزواج والطلاق والعنوسة المنتشرة في المجتمع السعودي أصبحت تمثل قضية اجتماعية ملحة تستحق الوقوف أمامها كثيرا .. لقد واجه بعض الشباب مشكلة تكاليف الزواج الباهظة وكذلك بعض الرجال المتزوجين الذين يواجهون مشكلات مع زوجاتهم ولا يرغبون في طلاقهن إلى نوع من الزواج وهو زواج "المسيار" الذي يدور حوله كثير من الجدل الفقهي بين مؤيد ومعارض.. وهذا الزواج يتفق فيه الطرفان على الرضا فتتنازل الزوجة عن المهر والسكن وإنفاق الزوج عليها كما يتفقان على عدم الإنجاب وتكتفي الزوجة بمرور الزوج عليها في مسكنها لفترة محدودة قد تكون يومية أو أقل ..

يعتقد البعض أن هذا الزواج له أركان أساسية متى توافرت كان زواجا شرعيا صحيحا.. ولا تضره بعدئذ شروط أخرى، ويقول هؤلاء بأن زواج المسيار له مثيل وقريب إلى حد ما في الشريعة الإسلامية وهو زواج المتعة الذي حرمه الإسلام. إلا أن أركان زواج المسيار

ليس له هذه الحرمة .. ويرى بعض الفقهاء أن هذا الزواج يضيع حقوق الزوجة ولا يحترم آدميتها .. ولكل حججه وبراهينه .. وإن كان بعض المؤيدين له يؤكدون أن زواج المسيار سيحل الكثير من مشاكل العنوسة التي تقابل الفتيات السعوديات كما يشجع الشباب على إكمال نصف دينهم، ويحجم في الوقت نفسه من ظاهرة الزواج من أجنبيات وما يفرزه ذلك من مشكلات اجتماعية .. هذا الجدل الديني يحسمه الفقهاء من رجال الدين الإسلامي الثقاة المشهود لهم والمخلصين لدينهم وربهم ..

في نهاية حديثي عن عادات وتقاليد المجتمع السعودي أشيد بالكرم السعودي الذي لمسته بنفسي ويعد سمة أصيلة في هذا المجتمع .. ولكن ما يدعو للأسف هو إسراف وتبذير البعض في المأكل والمشرب الذي ينتهي كثيرا منه إلى سلات القمامة كعادة الكثير من السعوديين..

وبجانب هذا الكرم والإسراف هناك شريحة قليلة من السعوديين بعضهم من كبار الأغنياء الذين يطلق عليهم مواطنوهم "البخلاء" دستورهم "عض قلبي ولا تعض رغيفي" ..

من المظاهر الأخرى في مجال الإسراف هو الإفراط في استقدام الخادمات والسائقين فقد تجد لدى بعض الأسر أكثر من خادمه وأكثر من سائق، ويعدون ذلك نوعا من الوجاهة الاجتماعية يفتخرون به أمام غيرهم .. كما أن البعض استقدمهم كنوع من التقليد حتى لا يكون في منزلة أقل من جاره أو قريبه ..

وبالنسبة لموضوع التقليد فالسعوديون لديهم الولع بحب التقليد.. نجد مظاهره في بناء القصور، أو الفيلات، أو المسابح القائمة في هذه البنايات فالطرز والتصميمات تكاد تكون متشابهة ..

بل امتد ذلك إلى الأنشطة التجارية .. فيحاكي بعضهم البعض في تماثل هذه الأنشطة وقد تكون في موقع واحد وتنتهي أحيانا بالكساد، وإنهاء النشاط وعرضه للتقبيل (للبيع) ونجد لافتات كبيرة تعلن عن هذا التقبيل ..

(٢)

مع المصريين في السعودية ..

إن تاريخ العمالة المصرية في السعودية يرجع إلى سنين طويلة فهي من أولى العمالة التي عملت بها عبر

المراحل الزمنية المختلفة التي مرت بها المملكة فقد لا تجد سعوديا من جيل الوسط وقبله إلا وتلقى العلم على يد مدرس مصري بالسعودية سواء في مدارسها أو جامعاتها، وبعضهم في الجامعات المصرية ويندر أن تقابل مواطنا سعوديا من هذه الأجيال لم يراجع طبيبا مصريا، وتدل العمارات القديمة الحديثة بخاصة في مدينة الرياض أو مدينة جدة وطرزها المعمارية على أن المهندس المصمم والإنشائي لها مصري ..

لقد كانت العمالة المصرية في السعودية تتربع على قمة الجنسيات الأخرى ووصلت في بعض الأحيان إلى ما يزيد عن مليون ونصف ..

إن العلاقة بين مصر والسعودية علاقة أزلية ويقول بعض رجالات السعودية المقربين من حكامها أن المغفور له الملك عبد العزيز – يرحمه الله – قبل وفاته أوصى أبنائه خيرا بمصر والمصريين، وحثهم على توثيق العلاقة معهم دائما ...

وهناك تلاحم عرقي بين السعوديين والمصريين، فبعض أهل مصر من قبائل الجزيرة العربية التي هاجرت

إلـى أرض الكنانــة، كمــا أن هنــاك بعـض القمـم الفكريــة والعلميـة مـن الـسعوديين جنـسيتهم الأصـلية مـصرية، كمـا توجد أعداد كبيرة من السعوديين متـزوجين مـن مـصريات وكذلك هناك بعض المصريين متزوجين من سعوديات ..

كما أن بعض المـصريين ذهبـوا إلـى الـسعودية منذ تأسيس المملكة في السعودية لأداء فريضـة الحج أو العمرة في بدايات هذه المرحلة وبقوا بها وعملوا فـي مواقـع عـدة، وبخاصــة العـسكرية منهــا واكتـسبوا الجنـسية الـسعودية. وهنــاك عــائلات معروفــة مـن رجــال الأعمــال أساســها مصري..

وإذا مـا قلبنـا صـفحات التـاريخ نجـد أن مـصر مـن أولى الدول التي وثقت علاقاتها بالسعودية. فقد تولـت منذ زمن طويل تقديم كسوة الكعبـة المشرفة كهديـة منهـا من خــلال احتفاليــة زفــة المحمــل إلــى أن أنــشأت الحكومــة السعودية مصنعا مخصصا لكسوة الكعبـة يعمل بـه الكثير مـن الفنــانين والمطـرزين المهـرة مـن الـسعوديين، وبـعض المصريين، وغيرهم من المـسلمين المتخـصصين فـي هذا الفن، كما كان لمصر منذ القدم تكية في مكـة المكرمـة تقدم المـساعدات الغذائيــة أو الرعايــة الطبيــة لحجـاج بيـت الله

الحرام من جميع بقاع العالم .. وتوقف العمل بهذه التكية بعد أن جندت المملكة كل إمكاناتها في خدمة هؤلاء الحجيج، فأقيم مصنع للمياه المثلجة بمكة المكرمة كهدية من الملك فهد – يرحمه الله – وهذا المصنع يقوم بتوزيع المياه المثلجة على زوار بيت الله الحرام بمكة المكرمة، في عبوات مجانية توزع سنويا على الحجاج وبصفة مستمرة على المعتمرين، كما أن للمؤسسات والشركات دورها المتميز في تقديم وجبات غذائية مجانية معلبة للحجاج والمعتمرين، إضافة إلى العصائر، والتمور وغير ذلك .. لقد شاهدت هذا الخير كله ومدى تدفقه في كل عمرة أو فريضة حج أديتها ..

إذا ما رجعنا إلى عمق العلاقة بين مصر والسعودية لا ننسى إهداء الملك فهد – رحمه الله – الشعب المصري مركزا طبيا متكاملا لعلاج وجراحة أمراض الكلي بمستشفى القصر العيني، وبلغت تكاليفه عشرة ملايين دولار من نفقته الخاصة كما نشرت الصحف السعودية وقتذاك، وفي استفتاء أجرته جامعة الأزهر، وقرأنا عنه في الصحف السعودية والمصرية خلال عام ١٤١٧هـ حصول الملك فهد على لقب أكثر زعماء

المسلمين مساندة لمصر وقدمت له الجامعة درع جامعة الأزهر وشهادة تقدير ..

هذه نبذة قصيرة عن مدى العلاقة الأزلية بين مصر والسعودية في حالات عدة لا تتسع لها مساحة هذه الرؤية ..

أهم تساؤل قد يشغل بال البعض ما هي أوضاع المصريين العاملين في السعودية .. مشاكلهم .. آمالهم .. مستقبلهم .. يمكن التعرف على بعض ذلك من محاور الرؤية السابقة وبقدر ما توفر لدي من علاقات مع الأخوة المصريين منهم زملاء ومنهم أصدقاء وجيران وأبناء محافظتي في مصر .. أضيف بعضا آخر من صورها ..

إن المصريين يتمركزون في سكنهم بالرياض بحي منفوحة بخاصة، وقد يكون هذا الحي قاصرا في معظمه على المصريين، ويطلق المصريون – بخفة دمهم – بعض النكت عن هذا الحي منها أن أحد الوزراء المصريين جاء للرياض في زيارة رسمية، وأعدت له السلطات السعودية إقامة في إحدى قصور الضيافة مع مرافقيه إلا أنه اعتذر قائلا أنه سيقيم في منفوحة وسط

أولاده المصريين، على أن تصرف له السعودية بدل الضيافة نقدا، كما قد تجد بعض الأحياء الأخرى مكتظة بالمصريين ومنها شارع الخزان، وشارع الوزير، والعليا..

لقد توثقت علاقتي بكثير من المصريين وكان بعضهم يزورني في سكني خاصة في نهاية الأسبوع نتجاذب أطراف الحديث، ويفضفض البعض منهم بما يواجهه من مشكلات في العمل، أو مع إخوانه المصريين، ويطلب مني النصيحة أو التوسط لدى من أعرف لحل مشكلته معتقدا أن مركزي الوظيفي قد يسمح بذلك وكأننا في مصر، وكنت أحاول على قدر إمكاناتي وعلاقاتي حل مشكلته .. وكان يحضر مع هؤلاء بعض أصدقائهم من المصريين الذين لا أعرفهم ولا يعرفوني، وكان الجميع يستأنس بحضوره لزيارتي والحديث عن أية مشكلات تواجههم، وكان البعض يطلقون علي مسمى "عمدة المصريين في الرياض"، بل إن بعضهم أطلق على مسكني "حائط المبكى" طبعا مع اختلاف الشكل والمضامين .. ويأتي ذلك انطلاقا من محاولتي التعاطف

معهم، والمساهمة في التخفيف من مشكلاتهم على قدر الإمكان .. ومشاركتهم وجدانيا فيما يتألمون منه.

كثرت الأحاديث والنميمة في هذه اللقاءات .. ولا أود أن أطيل في تلك الرؤية ففي الجعبة الكثير.. تحتوي هذه الجعبة على العديد من المشكلات والقضايا الإجتماعية التي كان يحكي عنها بعض الوافدين المصريين عند زيارتهم لي وبعضها آلمني بشدة حيث إنعكست آثارها سلباً على أسر وأبناء بعض المصريين العاملين في المملكة نتيجة إنشغال بعض الآباء عنهم وعن رعايتهم الواجبة ورقابتهم أثناء غيبتهم. فمن الآباء من ترك أسرته دون رعاية أمينة من أهله أو أقاربه وإكتفى برؤيتهم مرة سنوياً في إجازته بل والبعض كان يمكث سنوات دون هذه الرؤية ويكتفي بأداء دور المصرف المالي لأسرته. فحكى لي بعض زواري عن أمثلة المشكلات والإنحرافات التي واجهت بعض الأسر وإنخراط بعض أبنائها في صحبة رفقاء السوء فكان الإدمان.. والإنهيار الأخلاقي والأسري على نحو ما تنشره بعض الصحف المصرية أحياناً وإن كانت هذه الأمثلة قليلة جداً إلا أن الغالبية من أسر المصريين

بالخارج كانت مبهرة ومثالية وكان الأبناء قدوة حسنة في أخلاقها ودينها وتفوقها العلمي.. إلا أنني أنصح بعض الآباء بعدم الإكتفاء بدور المصرف المالي ومداومة رعاية ورقابة الأبناء وزيارتهم المستمرة في فترات لا تطول والمتابعة الهاتفية لسلوكياتهم. وطالما حقق المستهدف من سفره فلا داعي للمكوث في الغربة مُدداً طويلة إلا إذا وفر الحماية والرعاية اللازمة لأبنائه وأسرته، وأن يضع في إعتباره أن هدف السفر بالدرجة الأولى هو توفير فرص حياة كريمة للأبناء وطالما تحقق هذا الهدف.. فالأبناء لهم حقوقاً رعائية يجب ألا يقصر فيها الآباء حتى لا يحدث ما لا يُحمد عقباه ولا ينفع الندم بعد فوات الأوان كفانا الله جميعاً وكفى أولادنا من كل شر.

وهنا لا أنكر ما يواجه المصريين من مشكلات مع أصحاب العمل بعضه صحيح وأكثره مبالغ فيه ..

بالرغم من ذلك فإن العمالة المصرية – كما لمست– تحظى باحترام وتقدير السعوديين فهم أقلّ الجنسيات ارتكابا للجريمة ويتميزون عن باقي الجنسيات بتولي أعمال ذات مستويات راقية.. فمنهم أساتذة في الجامعات، وأطباء استشاريون في جميع التخصصات

الطبية، والصيادلة، والمهندسون، والمدرسون وبخاصة في مدارس القطاع الأهلي، والخبراء والباحثون في مختلف الوزارات والهيئات العلمية .. وغير ذلك من أعمال حاكمة ومحترمة بل وجدت بعض المصريين يديرون بكفاءة مؤسسات كبيرة يعتمد عليهم أصحابها الذين لا يملكون القدرة على إدارتها بنفس الكفاءة وتحقيق الربحية، وذلك بعكس بعض الجنسيات التي تعمل معظمها في أعمال دونية عادية، كأعمال النظافة، والمهن الحرفية وغيرها من المستويات المهنية التي يأنف السعوديون القيام بها ..

إن العمالة المصرية كانت إلى وقت قريب في الترتيب الأول بين الجنسيات الأخرى إلا أن الهنود حاليا احتلوا هذه المرتبة وأصبحت العمالة المصرية في الترتيب الثاني وبلغ عددها ما يزيد عن المليون بقليل .. أي بنسبة تبلغ حوالي ٤٧% من إجمالي العمالة في المملكة وفي دراسة شاركت فيها عندما كنت بالأمانة العامة لمجلس القوى العاملة تبين أن متوسط التحويلات الفردية للعمالة الأجنبية في السعودية تبلغ ٢٧٦١ دولار أمريكي أي ما يعادل حوالي (١١٠٠٠) ريال سنويا وذلك

نقلا عن دراسة قامت بها الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية عام ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م) وينطبق هذا المتوسط الفردي بالطبع على العمالة المصرية مضروبا في عددها السابق الإشارة إليه حيث يمكن القول بأن مجموع تحويلات العمالة المصرية في السعودية سنويا فقط تصل إلى حوالي (١٤) مليار ريال أي ما يعادل (٢٠) مليار جنيه سنويا، وهذه الأرقام قابلة للزيادة أو النقصان تقريبا ..، وتتعلق فقط بالتحويلات عبر القنوات الرسمية

ذكر بعض المصريين الذي كانوا يواظبون على زيارتي مع بعض معارفهم.. وقائع وأحداث يندى لها الجبين حدثت لبعض المصريين في مصر، سمعت من أحدهم الذي لم يسبق أن تعرفت عليه قائلا لي يا أستاذ : المصري في السعودية أو أي دولة عربية أخرى غلبان تفرض عليه جباية طوعية أو إجبارية داخل بلده فعندما يسافر في أجازة لابد أن يكون محملا بالهدايا لأسرته وأقاربه وأصدقائه وإلا انفض الجميع من حوله .. والتي يقدمها لهم وهو يعرف أن سيف الحياء كان يفرض عليه ذلك. بالإضافة إلى ابتزازه إذا كان موظفا في تسديد

تبرعات يقال عنها تلقائية وهي إجبارية في مضمونها وذلك لصندوق الزمالة في جهة عمله أو صندوق الخدمات في محافظته .. ناهيك عن تسديد قيمة حصته في المعاشات والتأمينات، بالإضافة إلى رسوم تصاريح العمل وغير ذلك .. ألم أقل لك يا أستاذ أننا غلابة ومطمع للجميع ويستخدم البعض معنا سيف الحياء .. وكأننا نغرف من منجم ..!!

وهنا انفجر أحدهم الذي لم يسبق لي معرفته وكانت زيارته لي أيضا للمرة الأولى قائلا سأحكي لك مأساة بكل المقاييس.. بطلها رئيسي في جهة عملي بمصر وهو شخصية كبيرة في موقعه – وتكتم على اسمه ومقر عمله ربما خوفا.. مضيفا أنه كان يصعب عليه قبل سفره مقابلته في مكتبه .. إلى أن أتيح لي السفر وكان لابد من الحصول على أجازة بدون مرتب .. وعندما عرضت عليه الأوراق استدعاني لمكتبه، وقابلني بابتسامة عريضة .. وطلب مني عنوان عملي في المملكة، ورقم التليفون لأنه ربما يحتاجه.. وفرحت جدا لاهتمامه بذلك ..

المهم نفاجئ وزملاء العمل المصريين الذين يعملون في السعودية أنه يفعل ذلك مع كل المسافرين

للعمل في السعودية وغيرها حيث تبين لنا أن المدير كان يرتب لقدومه للحج والعمرة والتي كانت لثلاث مرات لأداء عمرة، ومرة أخرى للحج،وكان يهدف من ذلك أيضا ابتزازنا بهذه الحجة، حيث يحمل معه قائمة لكل أبناء المصلحة الذين يعملون في السعودية فيتصل بمجموعة منهم بحجة الاطمئنان عليهم، وفي نهاية المكالمة يطلب منهم بكل أسف ــ كما يقول ــ مبلغا كسلفة قد تبدأ من خمسمائة ريال إلى ألفي ريال حسب وظيفة ووضع كل منهم حتى لو كان عاملا صغيرا .. بحجة أنه أعجب ببعض السلع ويود شراءها ولكن ما لديه من نقود لا يكفي وهكذا تتواصل طلباته طبقا لدورية لابد من أن تمر تباعا على جميع موظفي المصلحة في السعودية .. فقد يدفع البعض بسيف الحياء مرتين في السنة، أو أكثر خوفا من عدم موافقته علي تجديد أجازته ويحاول التموية قائلا بأن المبلغ الذي يطلبه هو سلفه سترد له عند عودته في الإجازة .. وطبعا سلفة لا ترد .. ودرج على هذا الابتزاز سنويا ..

إن هذه المظاهر ما هي إلا مجرد تصرفات فردية واستثنائية وقد تكون موجودة في مجتمعات أخرى غير مصر فالخير والشر هو سمة موجودة في كل المجتمعات.

لقد قابلت أحدهم صدفة في أحد المراكز التجارية بالقاهرة وتقدم يصافحني وكنت قد نسيت شكله فعرفني بنفسه قائلاً أنه أنهى عمله في السعودية وذكرني بحديثه السابق معي من أنه كان كريما جدا يوزع الهدايا يمينا وشمالا .. وأردف شاكياً لي من أنه عندما رجع وتوقفت عطاياه انفض عنه المرتزقة من الذين نافقوه وشبعوا من هداياه، والذين كانوا يظهرون له الود والحب بل ويراسلونه دائما لطلب بعض الأغراض بل والنقود التي كان يستجيب لها حياء وخجلاً ... وبادرته بالسؤال ماذا لو هيئ لك السفر ثانية .. هل ستتواصل مثل هذه العطايا والهدايا للناس كما في السابق .. قال هذه كانت غلطة كبيرة فقد أعطيت بعض ما أملك لمن لا يستحق بسيف الحياء .. فعندما توقفت العطايا والهدايا أشاحوا بوجوههم المزيفة عني .. حتى لم يحاولوا مكالمتي تليفونيا رغم سابقة مكالماتهم المتكررة لي في السعودية، ومصر ..وأن أحدهم كان لا يمل مراسلتي ومهاتفتي طالباً الكثير من

الأغراض وكنت أقدم لـه مطلبه دون مقابل بل وزاد عن ذلك قائلاً عندما إحتجت لهذا الشخص في خدمة يملكها أشاح بوجهه عني متناسياً ما سبق أن قدمت لـه من عطايا وهدايا، وأردف هذا الشخص الذي لا أعرف عنه الكثير قائلاً حقاً إتق شر من أحسنت إليه وحسبي الله ونعم الوكيل.

وهنا أوجه نصيحة لكل المصريين العاملين في الخارج أن إتقوا الله في أموالكم وأولادكم ولا توزعوها يميناً وشمالاً دون ضابط أو رابط فما يحتاجها البيت يحرم على الجامع كماتقول الحكمة. ولا يعني ذلك أن تقتروا أو تعزفوا عن تقديم الخير لمن يستحق والأقربون أولى بالمعروف كما أن أبواب الصدقات في مصر مفتوحة على مصراعيها لمن يرغب بدلاً من بعثرتها على من لا يستحقون من أمثال هؤلاء المنافقين والمبتزين.

أود أن اكتفي بذلك فما أوردته من وقائع قد تكون عبرة ينبغي أن يتأسى بها كل مغترب في السعودية أو غيرها .. ورغم ذلك فلم تكن الصورة كلها كالحة فهناك الكثير من النماذج التي تعد قدوة طيبة في خلقها ودينها ونشأتها الأسرية الصالحة..، وأن ما ذكر هو مجرد

حالات فردية استثنائية قد تتواجد في أي مجتمع من المجتمعات ..

من الأخبار التي سعدت بها وحكاها لي بعض المصريين هو أن سفارة القاهرة في المملكة العربية السعودية أبلغت وزارة الخارجية المصرية نقلا عن المسؤولين في الجهات المعنية بالرياض بأنه صدر قرار في عام ١٤٠٥هـ تقريبا يقضي بأنه يحق للمصريين الذي كانوا يعملون في السعودية في تاريخ ١٣ مارس ١٩٨٧م أن يستردوا نسبة الـ ٥% التي كانت تستقطع منهم للتأمينات الاجتماعية حتى ذلك التاريخ وتتخذ الإجراءات من خلال مكتب التمثيل العمالي للسفارة المصرية بالرياض، وعبر التواجد في المملكة عن طريق وزارة الخارجية المصرية ولم أتابع هذا الموضوع فيما بعد .. ولا أعرف ماذا تم فقد مضى على ذلك ما يقرب من ربع قرن من الزمن كذلك مما يدعو لفخر المصريين واعتزازهم هو صدارة بعض أبناء وبنات المصريين في السعودية المراتب العشرة الأوائل في الشهادات الإعدادية والثانوية العامة حيث أن معظم هؤلاء العشرة من المصريين الذين يشرفون وجه مصر وكل المصريين..

أنهي رؤيتي بمسك الختام حيث أعلن في مصر
أوائل عام ٢٠٠٨م بأن مركز المعلومات ودعم اتخاذ
القرار بمجلس الوزراء المصري أجرى دراسة حكومية
عن اتجاهات السكان نحو الدول الأخرى ومنها السعودية،
تبين منها أن المملكة جاءت في الترتيب الأول بين الدول
الأخرى، وأن ٨٨% من المصريين يحبون السعودية،
ويعتبرونها دولة صديقة جدا.. والكمال لله وحده من قبل
ومن بعد ..

الملحق

المملكة العربية السعودية
وزارة العمل

الدليل الإرشادي

للعمال الوافدين للعمل في المملكة العربية السعودية

في طبعته الثانية

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

المحتويات

تقديم

ترحب وزارة العمل بالمملكة العربية السعودية بجميع القادمين للعمل بها وتتمنى لهم قضاء فترة عمل موفقة إلى أن يعودوا إلى بلادهم بعد انتهاء فترة عملهم.

وتود الوزارة وجميع الجهات المعنية أن تؤكد لجميع العمال بأنهم ضيوف عليها وتحرص على رعايتهم وفق مبادئ الشريعة الإسلامية والأنظمة المعمول بها والمواثيق الدولية.

لقد أعدت وزارة العمل هذا الدليل الإرشادي للعمال الوافدين للعمل بالمملكة العربية السعودية بهدف توفير معلومات أساسية عن المملكة وتوضيح أحكام نظام العمل واللوائح والقرارات الصادرة بمقتضاه التي تحدد العلاقة بين العامل وصاحب العمل بما يوفر البيئة المناسبة لعمل العمالة الوافدة وحفظ حقوقها، وإيجاد علاقات عمل مناسبة بين طرفي الإنتاج، كما أنه يؤدي إلى تفهم أفضل لسوق العمل في المملكة.

ترجو وزارة العمل أن يحقق هذا الدليل الاستفادة المرجوة والهدف المنشود، وأن يجد العامل الوافد إلى المملكة بين طياته الإجابة عما يتبادر إلى ذهنه من تساؤلات، وتهيئته للتعرف على بيئة العمل في المملكة ومن ثم التعايش معها عند قدومه.

هذا ومن المأمول أ تقوم السفارات والقنصليات العاملة ي المملكة العربية السعودية بالتنسيق مع الجهات المختصة في بلدانها نحو اعتبار هذا الدليل مرشدا أساسيا للعمالة الوافدة يمكنهم من خلاله التعرف على مالهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

مع تمنيات وزارة العمل للجميع بفترة عمل ناجحة وموفقة.

وزارة العمل

الجزء الأول

معلومات أساسية عن المملكة العربية السعودية

المملكة العربية السعودية تتكون من ثلاث عشرة منطقة وهي :

١ ـ منطقة الرياض. ٢ـ منطقة مكة المكرمة.

٣ ـ المنطقة الشرقية. ٤ ـ منطقة المدينة المنورة.

٥ ـ منطقة القصيم. ٦ ـ منطقة عسير.

٧ ـ منطقة جازان. ٨ـ منطقة نجران.

٩ ـ منطقة تبوك. ١٠ ـ منطقة الحدود الشمالية.

١١ ـ منطقة حائل. ١٢ ـ منطقة الباحة.

١٣ ـ منطقة الجوف.

- العاصمة : الرياض.
- السكان : يبلغ عدد السكان حوالي (٢٢.٦ مليون نسمة).

- الديانة : الإسلام.
- اللغة : اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة.
- اليوم الوطني : الأول من برج الميزان الموافق ٢٣ سبتمبر.
- العمالة : الريال ويقسم إلى (١٠٠) هللة (١ دولار أمريكي = ٣.٧٥ ريال).
- تتبع الدولة نهج اقتصاد السوق الحرة وتفتح أبوابها للعمل من جميع الجنسيات، دون قيد في حال مطابقة الشروط الصحية والمهنية والتعليمية والتدريبية، ويتمتع أصحاب الأعمال بحرية استقدام العمال من كافة أنحاء العالم في إطار أحكام نظام العمل واللوائح والقرارات المنفذة له، والأنظمة الأخرى المعمول بها ذات العلاقة.

الجزء الثاني

توجيهات عامة

نظام العمل في المملكة العربية السعودية هو المنظم لكل جوانب علاقات العمل وهو نظام متوازن يحقق للعمال وأصحاب الأعمال ما ينظم علاقات العمل بينهم، ويطبق هذا النظام على جميع العمال دون استثناء سواء كانوا سعوديين أم غير سعوديين.

إن احترام الأنظمة ومراعاة أحكامها يساعد في استقرار علاقات العمل وهذا الاستقرار هو مفتاح التقدم والنمو، وبناء على هذا المفهوم تصدر وزارة العمل هذا الدليل للعمال ولجميع المعنيين بعلاقات العمل في المملكة، وتنصح العمال بصفة خاصة باتباع ما يلي :

١- الحرص على أن يكون عقد العمل مكتوبا.

٢- الحرص على احترام مواعيد العمل.

٣- الحرص على عدم التغيب عن العمل بدون إذن مسبق أو عذر مقبول.

٤- الحرص على إطاعة أوامر الرؤساء في العمل.

٥- الحرص على عدم التعدي على الرؤساء أو المدير المسؤول سواء بالقول أو بالفعل.

٦- الحرص على عدم إدعاء المرض.

٧- الحرص على التقيد بالتعليمات الخاصة بالصحة والسلامة المهنية.

٨- الحرص على عدم العبث في المعدات والآلات الخاصة بالمنشأة ومواقع العمل.

٩- الحرص على عدم الهرب من مكان العمل إلا في حالات الطوارئ.

١٠- الحرص على عدم التخلف عن العودة للعمل بعد انتهاء فترة الإجازة السنوية أو غيرها من الإجازات.

١١- بعد الدخول للمملكة العربية السعودية تأكد من أن صاحب العمل قد بدأ بإجراءات استخراج

رخصة العمل والإقامة خلال (٩٠) يوما من تاريخ الوصول، ولا يغني عن رخصة العمل أي تصريح أو ترخيص يكون مطلوبا من جهة أخرى لممارسة العمل والمهنة.

١٢- عدم العمل عند غير صاحب العمل الذي استقدم العامل لأن ذلك يعتبر مخالفا للنظام، إلا بعد إتباع الإجراءات الرسمية.

١٣- عدم العمل في مهنة غير المهنة المدونة في رخصة العمل قبل اتخذا الإجراءات القانونية.

١٤- في حال واجهتك أي مشكلة أو مظلمة من الأشخاص المعنيين داخل المنشأة التي تعمل بها ولم تتمكن من حلها وديا عندئذ تقدم إلى مكتب العمل المختص في منطقة عملك.

١٥- إن المتاجرة بالأشخاص أو المتاجرة بالتأشيرات ممارسة خاطئة يعاقب عليها النظام.

١٦- تتحمل المنشاة تكاليف العلاج الطبي للعاملين بها وفق نظام العمل ولائحة تنظيم العمل للمنشأة التي تعتمد من وزارة العمل.

١٧- على المنشاة الاشتراك عن جميع العاملين في فرع الأخطار المهنية، ويطبق في شأن إصابات العمل والأمراض المهنية أحكام فرع الأخطار المهنية من نظام التأمينات الاجتماعية.

الجزء الثالث

رخصة العمل ورخصة الإقامة وتكاليف الاستقدام

١ - يجب على صاحب العمل الحصول على رخصة العمل ورخصة الإقامة للعامل الذي يستقدمه خلال (٩٠) يوما من تاريخ وصول العامل إلى المملكة، وفي حالة عدم استخراج رخصة العمل ورخصة الإقامة يكون صاحب العمل مسؤولا عن الغرامات المترتبة على ذلك، ويكون عمل العامل في هذه الحالة قد تم بصورة مخالفة للنظام والقرارات المنظمة لاستخدام غير السعوديين، وعل العمال في مثل هذه الظروف أن يبلغوا مكتب العمل المختص بالأمر لاتخاذ الإجراء اللازم نحو صاحب العمل.

٢ - يجب أن يكون العامل لائقا طبيا للعمل المستقدم لأدائه، وخاليا من الأمراض بموجب شهادة طبية خاصة بكل عامل صادرة من إحدى الجهات

الطبية المختصة في المملكة وفقا للتعليمات الصادرة في هذا الشأن.

٣- تصدر رخصة العمل لمدة سنة أو سنتين قابلة للتجديد لمدة مماثلة وبموافقة صاحب العمل والعامل على التجديد، وفي هذه الحالة يجب تجديدها فورا من تاريخ انتهاء صلاحيتها. وإذا تأخر صاحب العمل عن تجديد رخصة العمل ورخصة الإقامة فستطبق بحقه الغرامات المقررة في النظام لمخالفي أنظمة الإقامة والعمل، وبما أن العامل هو المتضرر لعدم تجديد ذلك فعليه أن يطالب صاحب العمل بتجديد رخصة العمل ورخصة الإقامة طالما ظلت علاقة العمل مستمرة، وإذا لم يستجيب صاحب العمل لذلك فعلى العامل إخطار مكتب العمل المختص بالأمر لاتخاذ الإجراء المناسب نحو صاحب العمل.

٤- يلتزم صاحب العمل بتحمل رسوم استقدام العامل للعمل وكذلك الرسوم الخاصة برخصة الإقامة ورخصة العمل وتجديدهما وما يترتب على تأخير ذلك من غرامات ونقل خدمات العامل لغرض

العمل ورسوم تغيير المهنة وتأشيرة الخروج والعودة.

٥- يجب على جميع العمال حمل رخصة العمل ورخصة الإقامة عند تنقلهم داخل المملكة وإبرازهما للمختصين في الجهات الحكومية ذات العلاقة ومنها مكاتب العمل والجوازات.

كيف يتم الحصول على رخصة العمل ؟ وعلى رخصة الإقامة ؟

رخصة العمل :

تصدر رخصة العمل من وزارة العمل (مكاتب العمل) وفقا لشروط محددة، ومن جانب العامل لابد من استيفاء الشروط التالية :

١ - أن يكون دخول العامل للمملكة بطريقة شرعية.

٢ - أن يكون متعاقدا مع صاحب عمل سعودي أو صاحب عمل غير سعودي مصرح له بموجب نظام الاستثمار.

٣- أن يكون للعامل جواز سفر ساري المفعول لمدة ستة أشهر على الأقل.

٤- أن يكون العامل من ذوي الكفاءة المهنية أو المؤهلات الدراسية التي تحتاج إليها البلاد.

٥- يجب أن يكون العامل لائقا صحيا وخاليا من الأمراض.

رخصة الإقامة :

تصدر رخصة الإقامة عن طريق إدارات الجوازات بمختلف مناطق المملكة وفق شروط محددة لدى هذه الإدارات.

الجزء الرابع

عقد العمل

١ـ عقد العمل هو عقد مبرم بين صاحب العمل والعامل يتعهد الأخير بموجبه أن يعمل تحت إدارة صاحب العمل وإشرافه مقابل أجر، ويتضمن شروط العمل المتفق عليها بينهما.

٢ـ قبل الوصول إلى المملكة ينبغي أن يحصل العامل على عقد عمل يوقعه مع صاحب العمل الذي سيعمل لديه أو وكيله، ويحرر هذا العقد باللغة العربية ويجوز أن يحرر بلغة أخرى إلى جانب اللغة العربية علما أن النص العربي هو المعتمد، ولا يجوز توقيع أي عقد عمل آخر.

٣ـ على العامل التأكد من حصوله على نسخته من العقد ويجب عليه الاحتفاظ بها طوال فترة عمله في المملكة.

٤- يحدد في عقد العمل بوجه خاص تاريخ إبرامه وتاريخ بدء العمل ومحله ومدته ومقدار الأجر والبدلات، كما يوضح به مهنة العامل، كما يجب أن يكون عقد عمل غير السعودي مكتوبا ومحدد المدة وإذا خلا العقد من بيان مدته تعد مدة رخصة العمل هي مدة العقد.

٥- إذا كان العامل خاضعا لفترة تجربة وجب النص على ذلك صراحة في عقد العمل، وتحديدها بوضوح بحيث لا تزيد على تسعين يوما، ولا تدخل في حساب فترة التجربة إجازة عيدي الفطر والأضحى والإجازة المرضية، ويكون لكل من الطرفين الحق في إنهاء العقد خلال هذه الفترة ما لم يتضمن العقد نصا يعطي الحق في الإنهاء لأحدهما، ولا يجوز وضع العامل تحت التجربة أكثر من مرة واحدة لدى صاحب عمل واحد، واستثناء من ذلك يجوز باتفاق طرفي العقد إخضاع العامل لفترة تجربة ثانية لا تتجاوز مدتها تسعين يوما، بشرط أن تكون في مهنة أخرى أو

عمل آخر، وإذا انهي العقد خلال فترة التجربة فإن أيا من الطرفين لا يستحق تعويضا، كما لا يستحق العامل مكافأة نهاية الخدمة عن ذلك.

الجزء الخامس

ساعات العمل والإجازات

١- الحد الأقصى لساعات العمل العادية هو ثماني ساعات في اليوم أو (٤٨) ساعة في الأسبوع، ويجوز زيادة ساعات العمل، أو تخفيضها بموافقة وزارة العمل حسب أحكام نظام العمل، ويعتمد ذلك على نوعية النشاط وطبيعة العمل. وتخفيض ساعات العمل العادية ساعتين خلال شهر رمضان للعمال الذين يؤدون فريضة الصوم، ولا تحتسب ضمن ساعات العمل الفترات التي يقضيها العامل في الانتقال بين محل سكنه ومكان العمل، وكذلك فترات الراحة والصلاة.

٢- يتقاضى العامل عن ساعات العمل الإضافية أجرا إضافيا يوازي أجره في اليوم العادي مضافا إليه (٥٠%) حيث أن أجر الساعة الإضافية هو (١٥٠%).

٣- يوم الجمعة هو يوم العطلة الرسمية (يوم راحة بأجر كامل، ويجوز لصاحب العمل بعد إبلاغ مكتب العمل المختص أن يستبدل هذا اليوم لبعض عماله بأي يوم من أيام الأسبوع، على ألا تزيد أيام العمل في الأسبوع عن ستة أيام، وعلى أن يتاح للعمال في جميع الأحوال القيام بواجباتهم الدينية.

٤- يستحق العامل إجازة سنوية لا تقل مدتها عن واحد وعشرين يوما إذا أمضى في خدمة صاحب العمل عاما كاملا بأجر كامل يدفع مقدما، وتزداد الإجازة إلى ثلاثين يوما متى أمضى العامل خمس سنوات متصلة في خدمة صاحب العمل، ويجوز الاتفاق على أكثر من هذه الفترات إذا نص على ذلك في عقد العمل، أو لائحة تنظيم العمل للمنشأة، ويحق لصاحب العمل أن يحدد بداية هذه الإجازات حسب حاجة العمل، ويجوز للعامل بعد موافقة صاحب العمل الحصول على إجازة دون أجر، يتفق الطرفان على تحديد مدتها ويعد عقد العمل موقوفاً خلال هذه الإجازة فيما زاد على عشرين يوما، ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك.

٥- يستحق العامل إجازة مرضية بأجر كامل عن الثلاثين يوما الأولى من مرضه وبثلاثة أرباع الأجر عن الستين يوما التالية وبدون أجر عن الثلاثين يوما الأخيرة خلال السنة الواحدة، وذلك بموجب شهادة طبية صادرة من طبيب مختص اعتمده صاحب العمل فإن لم يكن لصاحب العمل طبيب معتمد فمن طبيب تعينه الجهة المختصة في الحكومة، ولا يجوز لصاحب العمل إنهاء خدمة العامل بسبب المرض، قبل استنفاذ المدة المحددة للإجازة المنصوص عليها ي هذا النظام، وللعامل الحق في أن يطلب وصل إجازته السنوية بالمرضية.

٦- يتمتع العامل أو العاملة بإجازات أخرى مدفوعة الأجر على النحو التالي :

- ثلاثة أيام في حالة زواجه أو وفاة زوجه أو حد أصوله أو فروعه.
- يوم واحد في حالة ولادة طفل له.

- إجازة عيد الفطر وتحدد بأربعة أيام ابتداء من اليوم التالي لليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان.
- إجازة عيد الأضحى وتحدد بأربعة أيام ابتداء من يوم الوقوف بعرفة وتزاد إلى عشرة أيام إذا أراد العامل الحج لمرة واحدة خلال خدمته لدى صاحب العمل بشرط ألا يكون أداها من قبل وأن يكون أمضى في خدمته لدى صاحب العمل سنتين.
- إجازة اليوم الوطني للمملكة في أول الميزان (٢٣ سبتمبر).
- لصاحب العمل الحق في زيادة إجازات الأعياد عما هو مذكور أعلاه إذا رغب في ذلك قبل أو بعد الوقت المحدد.
- إجازة الحمل والولادة بالنسبة للنساء مفصلة كالآتي:

- تستحق المرأة العاملة إجازة لمدة عشرة أسابيع تكون أربعة أسابيع منها قبل التاريخ المتوقع للولادة، وستة أسابيع بعد الولادة، ويحدد التاريخ المتوقع للولادة بواسطة طبيب المنشأة أو

بموجب شهادة طبيبة مصدقة من جهة صحية، ولا يجوز لأي صاحب عمل تشغيل أي امرأة خلال الأسابيع الستة التالية مباشرة لولادتها، وتدفع للعاملات أثناء غيابهن بإجازة الحمل والولادة نصف الأجرة إذا كان لهن في خدمة صاحب العمل سنة فأكثر والأجرة الكاملة إذا كانت خدمة المرأة العاملة ثلاث سنوات فأكثر يوم بدء الإجازة.

- يحق للمرأة العاملة بعد عودتها لمزاولة عملها بعد الولادة أن تأخذ فترات للاستراحة لا تزيد على الساعة في اليوم الواحد بقصد رضاعة مولودها، وذلك علاوة على فترات الراحة الممنوحة لجميع العمال.
- يتحمل صاحب العمل مصاريف الفحص الطبي ونفقات العلاج والولادة.
- لا يجوز لصاحب العمل فصل المرأة العاملة أثناء تمتعها بإجازة الحمل والولادة.

- للمرأة العاملة التي يتوفى زوجها الحق في إجازة بأجر كامل مدة لا تقل عن خمسة عشر يوماً.

الجزء السادس

انتهاء عقد العمل

١- ينتهي عقد العمل المبرم بين العامل وصاحب العمل في أي من الأحوال الآتية :

- إذا اتفق الطرفان على إنهائه شريطة أن تكون موافقة العامل كتابية.
- إذا انتهت المدة المحددة في العقد.
- بلوغ العامل سن التقاعد المنصوص عليها نظاماً.
- بناء على إرادة أحد الطرفين في العقود غير المحددة المدة.
- القوة القاهرة.

٢- يجوز لصاحب العمل أن يفسخ العقد دون مكافأة أو إشعار العامل أو تعويضه في الحالات الآتية شريطة أن يتيح الفرصة للعامل لكي يبدي أسباب معارضته للفسخ :

- إذا وقع من العامل اعتداء على صاحب العامل أو المدير المسؤول أو أحد رؤسائه أثناء العمل أو بسببه.
- إذا لم يؤد العامل التزاماته الجوهرية المترتبة على عقد العمل أولم يطع الأوامر المشروعة أو لم يراع عمداً التعليمات. المعلن عنها في مكان ظاهر من قبل صاحب العمل. الخاصة بسلامة العمل والعمال رغم إنذاره كتابة.
- إذا ثبت إتباعه سلوكا سيئا أو ارتكابه عملا مخلا بالشرف أو الأمانة.
- إذا وقع من العامل عمداً أي فعل أو تقصير يقصد به إلحاق خسارة مادية بصاحب العمل على شرط أن يبلغ صاحب العمل الجهات المختصة بالحادث خلال أربع وعشرين ساعة من وقت علمه بوقوعه.
- إذا ثبت أن العامل لجأ إلى التزوير ليحصل على العمل.
- إذا كان العامل معينا تحت الاختبار.

- إذا تغيب العامل دون سبب مشروع أكثر من عشرين يوما خلال السنة الواحدة أو أكثر من عشرة أيام متتالية، على أن يسبق الفصل إنذار كتابي من صاحب العمل للعامل بعد غيابه عشرة أيام في الحالة الأولى وانقطاعه خمسة أيام في الحالة الثانية.
- إذا ثبت أن العامل استغل مركزه الوظيفي بطريقة غير مشروعة للحصول على نتائج ومكاسب شخصية.
- إذا ثبت أن العامل أفشى الأسرار الصناعية أو التجارية الخاصة بالعمل الذي يعمل فيه.

- يحق للعامل أن يترك العمل دون إشعار، مع احتفاظه بحقوقه النظامية كلها، وذلك في أي من الحالات الآتية:

- إذا لم يقم صاحب العمل بالوفاء بالتزاماته العقدية أو النظامية الجوهرية إزاء العامل.

- إذا ثبت أن صاحب العمل أو من يمثله قد أدخل عليه الغش وقت التعاقد فيما يتعلق بشروط العمل وظروفه.

- إذا كلفه صاحب العمل دون رضاه بعمل يختلف جوهريا عن العمل المتفق عليه، وخلافاً لما تقرره المادة الستون من نظام العمل.

- إذا وقع من صاحب العمل أو من أحد أفراد أسرته، أو من المدير المسؤول اعتداء يتسم بالعنف، أو سلوك مخل بالآداب نحو العامل أو أحد أفراد أسرته.

- إذا اتسمت معاملة صاحب العمل أو المدير المسؤول بمظاهر من القسوة والجور أو الإهانة.

- إذا كان في مقر العمل خطر جسيم يهدد سلامة العامل أو صحته، بشرط أن يكون صاحب العمل قد علم بوجوده ولم يتخذ من الإجراءات ما يدل على إزالته.

- إذا كان صاحب العمل أو من يمثله قد دفع العامل بتصرفاته وعلى الأخص بمعاملته الجائرة أو

بمخالفته شروط العقد إلى أن يكون العامل في الظاهر هو الذي أنهى العقد.

٤- لا يجوز فصل العامل من العمل لغير سبب مشروع، وفي حالة الفصل لغير سبب مشروع يلجأ العامل لمكتب العمل المختص.

٥- بعد انتهاء عقد العمل فإن المبدأ هو عودة العامل إلى بلده بعد حصوله على جميع حقوقه، وإذا لم يلتزم صاحب العمل بتسليم العامل جميع حقوقه، فإن على العامل إبلاغ ذلك إلى أي من مكاتب العمل المنتشرة في المملكة.

٦- تقضي التعليمات بعدم إمكانية الحصول عل تأشيرة سفر لأي عامل أو عاملة ما لم يقدم صاحب العمل ما يثبت أن العامل قد حصل على جميع مستحقاته.

الجزء السابع

مكاتب الاستقدام الأهلية

١ - يوجد عدد من مكاتب الاستقدام الأهلية المرخصة في المملكة والمصرح لها بالتوسط لاستقدام العمال من خارج المملكة.

٢ - تعمل هذه المكاتب وفق شروط محددة، وهي ممنوعة من تقاضي أي رسوم من العمال نظير التوسط لاستقدامهم، وتتقاضى هذه المكاتب أتعابها من أصحاب العمل الذين يطلبون منها التوسط لاستقدام عمال لهم من الخارج، ويكون ذلك باتفاق بين الطرفين (أي بين المكتب المرخص له وصاحب العمل).

٣ - في حالة قيام أي مكتب استقدام أهلي سعودي بتقاضي أي مبالغ مالية من أي عامل كرسوم لاستقدم العامل فعلى العامل إبلاغ أقرب مكتب عمل في المملكة، وذلك لاتخاذ الإجراءات اللازمة

نحو صاحب المكتب المعني، وذلك لأنه ممنوع على هذه المكاتب تقاضي أي رسوم من العمال حسب أحكام نظام العمل والتعليمات المنظمة لعمل مكاتب الاستقدام الأهلية.

٤- يجوز لمكاتب الاستقدام الأهلية استقدام عمال لحسابها الخاص، وتحت إشرافها بهدف توفير العمالة (خدمات عمالية) لتزويد أصحاب العمل الراغبين بذلك لفترة محددة وفق التعليمات المنظمة لذلك، على أن تكون العمالة التي توفرها مكاتب الاستقدام الأهلية من العمال الرجال فقط، ولا ينطبق ذلك على العاملات من النساء.

٥- هناك ضوابط لتقديم الخدمات العمالية من أهمها :

- توفير السكن المناسب للعمال.
- أن ينص العقد المبرم بين العامل المستقدم، ومكتب الاستقدام على حق المكتب في تشغيل العامل تحت إشرافه لتقديم خدمات عمالية لأصحاب العمل الراغبين بذلك.

- الالتزام بجميع الالتزامات التي يفرضها نظام العمل ونظام التأمينات الاجتماعية واللوائح والقرارات الصادرة تنفيذا لهما.
- أن يكون تقديم الخدمات العمالية بالأجور المناسبة.

الجزء الثامن

مكاتب العمل وهيئات تسوية الخلافات العمالية

يوجد في المملكة العربية السعودية سبعة وثلاثون مكتب عمل موزعة على جميع مناطقها ومعظم المحافظات حسب الجدول المبين في نهاية هذا الدليل، ويحق لكل عامل في المملكة مراجعة أي من هذه المكاتب والاستفسار عن أي موضوع يتعلق بعلاقته العمالية مع صاحب العمل وتبصيره بواجباته وحقوقه. كما يحق للعامل التقدم بشكواه لمكتب العمل الأقرب لمقر عمله.

وتنظر مكاتب العمل في جميع النزاعات العمالية وتسعى إلى تسوية هذه النزاعات وديا بين العامل وصاحب العمل، وإن لم تتمكن من ذلك تقوم برفع الدعوى إلى الهيئات العمالية المختصة، وهذه الهيئات بمثابة محاكم خاصة للنظر في القضايا العمالية والبت فيها حسب نظام العمل وهذه الهيئات هي :

١- الهيئات الابتدائية لتسوية العلاقات العمالية.

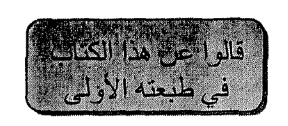
٢- الهيئة العليا لتسوية الخلافات العمالية.

الجـزء التاسع

قائمة بمكاتب العمل بالمملكة حسب المناطق والمحافظات وهواتفها، وهاتف إدارة رعاية العمالة الوافدة بالوزارة.

مكتب العمل	رقم الهاتف	مكتب العمل	رقم الهاتف
مكتب العمل بمنطقة الرياض	٠١/٤٠٣٩٨٥٧	مكتب العمل (الدمام)	٠٣/٥٨٢٢٨٠١
مكتب العمل بمحافظة الخرج	٠١/٤٥٤٨٢٣١	مكتب العمل بمحافظة الأحساء	٠٣/٧٢٢٠٢٢٠
مكتب العمل بمحافظة الدوادمي	٠١/٦٤٢٠٩٢٠	مكتب العمل بمحافظة حفر الباطن	٠٣/٨٦٤١٥٤١
مكتب العمل بمحافظة المجمعة	٠٦/٤٣٢١٧٢٤	مكتب العمل بمحافظة الخبر	٠٣/٥٦٦١٣٢٤
مكتب العمل بمحافظة وادي الدواسر	٠١/٧٨٤٠٢٦٤	مكتب العمل بمحافظة بقيق	٠٣/٣٦٢٠١٥٠
مكتب العمل بمحافظة الزلفي	٠٦/٤٢٢٠٢٣٥	مكتب العمل بمحافظة الجبيل	٠٣/٧٦٦٠٣٨٠
مكتب العمل بمحافظة شقراء	٠١/٦٢٢١٣٤٢	مكتب العمل بمحافظة الخفجي	٠٣/٦٦٧٠٤٢٤

مكتب العمل بمدينة مكة المكرمة	٠٢/٥٤٢٠٧٤٥	مكتب العمل بمحافظة رأس تنورة	٠٧/٢٢٤٢١٢٨
مكتب العمل بمحافظة جدة	٠٢/٦٣١١٦٨٧	مكتب العمل بمنطقة عسيرة (ابها)	٠٧/٦٢٢٦٧١٨
مكتب العمل بمحافظة الطائف	٠٢/٧٤٦١٦١٦	مكتب العمل بمحافظة بيشة	٠٧/٧٢٥٣٢٤٠
مكتب العمل بمحافظة القنفذة	٠٧/٧٣٢٠٧٦١	مكتب العمل بمنطقة الباحة	٠٧/٥٢٢٤٩٩٥
مكتب العمل بمنطقة المدينة المنورة	٠٤/٨٦٥٤٤١٦	مكتب العمل بمنطقة نجران	٠٧/٣٢١٣٦٧١
مكتب العمل بمحافظة ينبع	٠٤/٣٢٢٢٦٨٨	مكتب العمل بمنطقة جازان	٠٤/٦٢٤١٧٦٦
مكتب العمل بمحافظة العلا	٠٤/٨٨٤٠٨٣٠	مكتب العمل بمنطقة الجوف	٠٤/٦٤٢١١٠٨
مكتب العمل بمنطقة القصيم (بريدة)	٠٦/٣٢٥٠٣٨٧	مكتب العمل بمحافظة القريات	٠٤/٤٢٢١١٨١
مكتب العمل بمحافظة عنيزة	٠٦/٣٦٤٠٢٨٥	مكتب العمل بمنطقة تبوك	٠٤/٤٤٢١٩٧٠
مكتب العمل بمحافظة الرس	٠٦/٣٣٣٣٥٠٢	مكتب العمل بمحافظة الوجه	٠٤/٦٦٢٧١٢٨
مكتب العمل بمحافظة حائل	٠٦/٥٣٢١١٣٩	مكتب العمل بمنطقة الحدود الشمالية (عرعر)	٠٤/٦٥٢١٠٢٩
مكتب العمل بالمنطقة الشرقية	٠٣/٨٢٦١٤١٩	إدارة رعاية العمالة الوافدة	٠١/٤٧٣٩١٦٨



لما كانت تجربة مؤلف كتاب "كنت في السعودية – رؤية ذاتية بعيون مصرية" شهادة خبير اجتماعي مصري عمل بالمملكة العربية السعودية حوالي ربع قرن سجل من خلالها قصة حضارة المملكة بين الأصالة والمعاصرة، ونهضتها التنموية الرائدة غير المسبوقة بكل تفاصيلها الإيجابية في مسيرتها دون إغفال لما واجه هذه المسيرة من تحديات تم التغلب على الكثير منها، كما رصد في إطارها انطباعاته عن واقع المجتمع السعودي بأطيافه المختلفة، وامتدت علاقاته مع أبناء وطنه من المصريين العاملين في السعودية.

لقد لاقى هذا الكتب اهتماما من بعض دور النشر والقراء المهتمين بالمملكة والمبهورين بمسيرتها التنموية، وحرصت بعض دور النشر على عرضه بخاصة في معرض القاهرة الدولي للكتاب الذي أقيم في شهر فبراير عام ٢٠١٠م.

نقتطف في هذه العجالة بعض النماذج التي وردت من القراء للمؤلف عن انطباعاتها حول هذه التجربة... ولا أود أن أسترسل في رصد كل ما ورد إلي من انطباعات والتي قد تتشابه في كثير من الرؤى..

معالي سفير المملكة العربية السعودية
الأستاذ هشام محي الدين ناظر

سعادة الأستاذ أحمد عبده القاضي
المحترم
خبير إجتماعي
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
بالإشارة إلى خطابكم المرفق بطيه كتاب "كنت في السعودية.. رؤية ذاتية بعيون مصرية" من تأليفكم.
يطيب لي بأن أشكركم على تزويدي بإصداركم الشامل على مشاعركم الصادقة تجاه المملكة والمجتمع السعودي وعلى حرصكم على إبراز الحقائق التي لمستموها أثناء عملكم في المملكة متمنياً لكم دوام التوفيق والنجاح.
وتقبلوا أطيب تحياتي.

السفير

هشام محي الدين ناظر
٦ /١١/١٤٣٠هـ الموافق ٢٥/١٠/٢٠٠٩م
الرقم ٧٤١١/٢/٣٠٢

الأستاذ جمال الدين محمود
الخبير الاقتصادي بجامعة الملك سعود (سابقاً)
١٤/٢/٢٠٠٩م

الأستاذ الفاضل أحمد عبده القاضي
سهرت ليلتين حتى أتممت قراءة كتاب من تأليفك معنون "كنت في السعودية، رؤية ذاتية بعيون مصرية"، استمتعت بكل سطر يسلمني بسلاسة إلى ما بعده ومن موضوع لما يليه، عشت مع الموضوعات المتناولة بلغة راقية وأسلوب شيق "٣١٣ صفحة" كيف لا وكنت شاهداً على طفرات نمو المملكة خلال هذه الحقبة، مشاركاً فيها عبر جامعة الملك سعود "الرياض سابقاً" وبحكم عمل زوجتي كمعلمة في مدارس الرياض للبنات، تخرج على يديها الكثيرات ممن تقلدن مناصب مرموقة وساهمن في قيادة كتائب التطوير لما يزيد على اثنين وعشرين عاماً، أعاد إلى ذاكرتي المتنزهات والأماكن التي طرقتها وأسرتي عدة مرات.
أفخر كمصري بالأستاذ أحمد القاضي الذي بخبراته المتراكمة ترك بصمة مشرفة فيمن تعامل معهم من المسؤولين بالمملكة، وفيما ساهم من دراسات وأبحاث متواصلة أثمرت العديد من الإنجازات التي أدت إلى الإصرار على استقدامه عدة مرات للاستعانة بخبراته

وإخلاصه في العمل الدءوب، وسعى رؤسائه إلى إزالة العقبات التي واجهته ليتفرغ لعمله الذي أضاف الكثير، كما أفخر به كمصري لم ينس المصريين العاملين بالمملكة معايشاً مشاكلهم مساهماً في حلها، وأفخر به كمساهم في مد الجسور بين المسؤولين بالمملكة والمسؤولين بمصر.

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد ٣٩٠٢ بتاريخ ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٩

خبير التنمية الإجتماعية والبشرية أحمد عبد القاضي مضى في السعودية أكثر من ربع قرن معاراً من وزارة الشؤون الإجتماعية المصرية للمشاركة في مجال التنمية الريفية والقروية السعودية، حيث أسهم هو ومجموعة من السعوديين في هذا المجال، وقد وضع تجربته في كتاب بعنوان "كنت في السعودية.. رؤية ذاتية بعيون مصرية".

مجلة آخر ساعة
العدد ٣٩٣٤ بتاريخ ١٧ مارس ٢٠١٠م
الموافق أول ربيع الآخر ١٤٣١هـ

الأستاذ حسن علام
في عموده الأسبوعي "عندي كلام"
ربع قرن خارج الحدود

عاد إلى أحضان الوطن بعد غيبة طالت ٢٥ عاماً قضاها كخبير اجتماعي معار من وزارة الشؤون الاجتماعية في مصر إلى السعودية، وسجل تجربته في كتاب أهداه لي عنوانه "كنت في السعودية "، رصد فيه انطباعاته عن واقع المجتمع السعودي بأطيافه المختلفة، ورؤيته عن الدور التنموي ودور العمالة المصرية في السعودية، وحرص على أن يقدم دليلاً إرشادياً للعمال الوافدين للعمل هناك لينير الطريق أمام الجميع، ويدرأ بعض ما قد يحدث من مقاطعات بين أطراف العمل من العمال وأصحاب العمل، وتحديد الحقوق والواجبات لكل منهما، والمظلة القانونية لكليهما.

يتحدث الخبير الاجتماعي أحمد عبده القاضي في كتابه عن سوق العمل السعودي ومتغيراته وتداعياته المستقبلية، وما يعانيه من تشوهات كالبطالة واختلاف في العلاقة التقليدية بين جانبي العرض والطلب، واستمرار الاستقدام، وفجوة التعليم والتدريب وسوق العمل، والإنتاجية والأجور، وبيئة العمل، وتوجهات الاستثمار، والخصخصة، والعولمة، والانضمام لمنظمة التجارة العالمية، ومعايير العمل الدولية والعربية، والتقنية ومستجداتها.

وناقش أهم المشاكل والتحديات في مجال العمل وأهمها المتاجرة في التأشيرات وظاهرة التستر التجاري، بأن يشتري العمال المصريون تأشيرة يطلقون عليها"تأشيرة حرة" رغم عدم وجود تأشيرة للعمال بهذا المسمى، ويتراوح ثمنها ما بين عشرة الآف إلى خمسة الآف ريال، ويأتي العامل فلا يجد عملاً لدى السعودي الذي تعاقد معه وقبض منه ثمن التأشيرة عن طريق بعض الوسطاء، بل ويأخذ منه جواز سفره ، ويبلغه بأنه يمكن أن يعمل في السوق ما يشاء، وإذا ما وجد العمل يأخذ منه السعودي نسبة شهرية يتفق عليها، وإتاوة أخرى عند الحصول على

تأشيرة الخروج والعودة، أو إذا سمح له بنقل كفالته، لدرجة أن بعض السعوديين يديرون محلاً يستأجرونه لهذه العمالة التي تقوم بتجهيزه وتسديد قيمة إيجاره، ويمارسون فيه بعض الأعمال المهنية نظير نسبة أيضاً للسعودي الذي استقدمهم.

وبحكم مصريته، والتواصل مع بعض المصريين نمى إليه علم الكثير من هذه التصرفات التي تعرضوا لها، ومن تعنت أصحاب العمل ومعهم وابتزازهم فنصحهم باللجوء إلى مكاتب العمل لتصحيح أوضاعهم، وهذه المواقف ليست مقصورة على العمالة المصرية فقط، وإنما لها أمثلة قد تكون أكثر من العمالة الأجنبية الأخرى وبخاصة الآسيوية.

الأستاذ علي جمال الدين
وكالة الأنباء الأمريكية (الأسوشيتد برس)

عودة إلى الأيام الخوالي

أعادتني هذه الرحلة الشيقة التي رواها الكاتب الأستاذ أحمد القاضي في كتابه – كنت في السعودية - إلى أجواء عشتها في المملكة العربية السعودية خلال العقدين الماضيين. أجواء تركت في نفسي عظيم الأثر لما شهدته خلالها من نهضة تنموية تضع بصماتها في مختلف المجالات يوما بعد يوم.

ولكن رحلة الكاتب هذه تكشف خبايا عن مرحلة النهضة السعودية لم يكن لي أن أعرفها. وهي تضع يد القارئ بحق على عناصر مكنت المملكة من صناعة معجزات أثارت ذهول المتابعين على المستويين الإقليمي والدولي.

الأستاذ مسعد جلال
الصحفي بمجلة الإذاعة والتلفزيون

ليس بالنفط وحده تنهض الأمم

كمحرر اقتصادي مصري، كنت أحاول معرفة ما يقف وراء هذا الإنجاز الذي حققته المملكة على مدار السنوات الماضية. فليس من الإنصاف القول بأن ثروة النفط وحدها كانت كفيلة بإنجاز تلك الثمرات في عدد من حقول التنمية، وأهمها التنمية على المستوى الاجتماعي والبشري. ذلك لأن بإمكان دول كثيرة أن تملك الثروة دون أن تعرف الوجه الأمثل لاستثمارها بما يعود بالنفع على ساكنيها، أو دون أن تتحقق هذه الاستفادة على الوجه الأمثل.

وقد مكنني هذا الكتاب "كنت في السعودية" لمؤلفه الأستاذ أحمد القاضي بحق من أن أتصفح تجربة المملكة كما لو كانت ماثلة أمام عيني، وأن أتعرف على ملامح إنسانية رائعة تفصلها عن رائحة النفط مسافات بعيدة، وتكشف

مدى وعي قادة هذه البلاد بأهمية تحقيق التنمية بمعناها الشامل والدائم حتى يستفيد منها العنصر البشري في النهاية الذي يعد الهدف الأول من أي عملية تنمية تتم في أي مكان من العالم.

استدراك...

وداعاً رمز العطاء...
ودعاءً بالتوفيق...

حملت إلينا الأنباء بتاريخ ٥ رمضان ١٤٣١ هـ الموافق ١٥من أغسطس ٢٠١٠ م - في وقت كنت أعد فيه لهذه الطبعة الثانية – خبراً مأساوياً وهو انتقال معالي الدكتور غازي القصيبي إلي رحمة الله ، حيث نقل التليفزيون السعودي بياناً من الديوان الملكي نعي فيه "فقيد الوطن ورجل من رجالات الدولة الذين خدموا دينهم ومليكهم وبلادهم بكل تفان وإخلاص- وجاء فيه أنه - تقلد عدة مناصب كان آخرها وزيراً للعمل تغمده الله بواسع رحمته ومغفرته وأسكنه فسيح جناته".

إن الدكتور غازي القصيبي– كما أسلفنا في كتابنا هذا – ظاهرة متفردة فقد كان له إسهمات متميزة أثناء توليه وتأسيسه وزارة العمل وكذلك في مجالات عمله المختلفة الإداري منها والسياسي، وجمع بين الحزم والمرونة والتعامل الإنساني ، فقد كان رحمه الله موسوعة تجده

مصلحاً اجتماعياً وكاتباً مبدعاً وشاعراً ملهماً وإدارياً ناجحاً ، ودبلوماسياً محنكاً ، وكما قالت عنه بعض وسائل الإعلام أنه مجموعة رجال في رجل واحد...

إن وزارة العمل – في عهده - شهدت خططاً وقرارات أسهمت في قضية السعودة التي جعل منها هاجساً وطنياً بمفهوم علمي وعملي لمسته عن كثب إبان عملي في الوزارة – رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - .

وهنا لا يسعني إلا الدعاء بالتوفيق لمن تولي الأمانة من بعده لقيادة وزارة العمل معالي المهندس عادل فقيه وزير العمل حيث صدر أمر ملكي بتاريخ ٨ رمضان ١٤٣١ هـ الموافق ١٨ أغسطس ٢٠١٠ م بتعيين معاليه وزيراً للعمل.

إن معاليه غني عن التعريف فقد جاء إلي الوزارة محملاً بزخيرة من الخبرة الطويلة في القطاعين العام والخاص وله إنجازاته المتميزة وبخاصة في عمله أميناً لمحافظة جده التي شهدت في عهده طفرة غير مسبوقة من التعمير والبناء والتنمية فأصبحت من أروع المدن الزاخرة بالعمران المتناهي في الجمال أو (العروس) التي

يتباهي بها ساكنيها ، وكلل ذلك كله بوضع خطة استراتيجية للعشرين عاماً القادمة لتطوير محافظة جده، ولمجهوداته المتميزة صدر له أمر ملكي بالتجديد لفترة ثانية قبل توليه وزارة العمل.

وفقه الله في قيادة وزارة العمل وأن يكون خير خلف لخير سلف...

للتواصل...

خبير اجتماعي

أحمد عبده القاضي

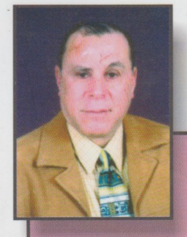
هاتف: ٢٢٦٣٧٣٣٠(٠٠٢٠٢) القاهرة

محمول: ٠١٠٥٣٥٥٠٣٨(٠٠٢)

بريد الكتروني:

ahmed_el_kady7@hotmail.com

رقم الإيداع : ٢٠١١/١٥٢٢



هذا الكتاب

هذا الكتاب يجمع بين التجربة الشخصية، والمتابعة الدءوبة لخبير شغوف إلى حدّ العشق لعمله فى مجال التنمية الاجتماعية والبشرية، وتطبيقاتها لأكثر من ربع قرن، بالمملكة العربية السعودية..

تقرؤه من الصفحة الأولى فتعيش مع صاحبه إلى نهايته .. كصديق يجلس إلى صديق السرد الودود الصادق هو المعنى البارز على طول صفحات هذا الكتاب ..

والإخلاص المتناهي للعمل هو الصفة التى تراها فى تجربته الفريدة .. فإذا رضي عن شئ فهو الرضا الصادق، وإذا سخط فله الحق ..

وبختصار فأنه يمكن القول، رغم أن كلّ من يقرؤه سيجد فيه تجربة فريدة، ومفيدة، ويجد فيه نفسه أيضا، كتجربة إنسانية لها طعم خاص .. لكنه بكل الصدق كتاب يسجل بأسلوب شيق وجذاب قصة حضارة المملكة العربية السعودية بين الأصالة والمعاصرة وتجربتها الرائدة، فى مجال التنمية الشاملة، ب... الإيجابية والسلبية .. بقلم خبير دولى فى هذا ا... المملكة: مدنها ، وقراها، وهجرها، وتعامل مع كل ... تنمية المملكة من قيادات وخبراء على كل المستويات ... علاقاته مع أبناء وطنه من المصريين العاملين فى ال...

إنه كتاب يستحق القراءة .. ويدفع إلى الأمل .. ... العقبات..

عماد عاشور